

التاريخ السياسي
لآل محمد الجربا و شمر
في نجد وارض الجزيرة
١٥٠٠ - ١٩٢١ م



تأليف
الدكتور
ثائر حامد محمد صوفي خضر

التاريخ السياسي لآل محمد الجبريا
وشمر في نجد وامرض الجنزارة

١٥٠٠-١٩٢١م



التاريخ السياسي
لآل محمد الجربا وشمز
في نجد وارض الجزيرة
١٥٠٠-١٩٢١م

بِإِذْنِ
الْمَدِينَةِ

الدكتور

ثائر حامد محمد صوفي خضر

قسم التاريخ، كلية التربية

جامعة الموصل

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

جميع الحقوق محفوظة

للمؤلف

يحذر من طبع أو تصوير أو ترجمة
أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ
أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو
إدخاله على الحاسوب أو برمجته على
أسطوانات ضوئية إلا بموافقة المؤلف
خطياً، ومن يتجاوز على هذه الحقوق
فسوف يتعرض للمسائلة القانونية

الموصل

٢٠١٣م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق

ببغداد ٣٦٢ لسنة ٢٠٠٢م


الدلة للطباعة والنشر


الموصل / العراق

بسم الله الرحمن الرحيم


توثيق


تمت قراءة نصوص هذا الكتاب واقر مادونه الكاتب في مرافقه من احداث
تاريخية من قبل الشيوخ :


١ - حمدي عجيل الجاور . 


٢ - مدلول محمد المظلك . 


٣ - رديف الجار الله . 


٤ - سعود الفيصل . 

٥ - شعلان بنان الشلال . 

٦ - اسعد الزيد . 

٧ - فلاح الراكان . 

٨ - برجس الدويش . 

٩ - حمود السوعان . 

١٠ - اصلي صطام الفهد . 

الاستاذ الدكتور محمد
عبد الله
المؤلف

دكتور حامد محمد صوري مختصر

١٩٩٧ / ٦ / ١

الإهداء

إلى:

الزوجة والأبناء... ليث علي عبد العزيز

إلى روح الشهيد... أخي عامر حامد

والشيخ شعلان منيف

الفيصل

جنرل الوفاء وخالص العرفان

مقدمة الطبعة الثانية

بدا نفتتح بالصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله عليه افضل الصلاة والتسليم، وعلى آل بيته الأطهار وصحبه الأبرار وبعد: لقد تأخرت كثيرا في إصدار الطبعة الثانية من هذا المؤلف بعد أن كان قد تم نشره وطباعته في بيروت عام ٢٠٠٢م من قبل الدار العربية للموسوعات، ورغم أن المطبوع لم يصل إلى يد المؤلف لنكوث صاحب الدار بتعهداته في إرسال النسخ كعادته، والباحث لم يوافق على نشر الكتاب في هذه الدار إلا بعد أن تبين له أن إحدى مسودات الكتاب قد وصلت إلى صاحب الدار، وهو يعمل على تنقيدها دون علم المؤلف.

كما أن تدخل أحد مشايخ الجربا القاطنين في المملكة العربية السعودية (عبد الكريم مشعان الفيصل) ساهم في عدم انتشار الكتاب، كما وتم سرقة فصول منه لتطبع في كتاب آخر عام ٢٠٠٤م بعنوان آل الجربا ومشاهير قبيلة شمر في الجزيرة العربية قام بإعداده خالد العاني صاحب الدار العربية للموسوعات، وتحت نظر وإشراف الشيخ عبد الكريم مشعان الفيصل، والمؤلف ليس فيه من جهد سوى سرقة جهود الغير، ولأجل أن يكون كتابا دعائيا لهذا الشيخ ليكتب له مجدا وتاريخا على حساب جهود وتعب الآخرين.

لذا كان لزاما على الباحث أن يعيد طباعة هذا الكتاب بعد أن أضاف إليه الكثير من النصوص والمعلومات خلال المدة الفاصلة بين نشره الأول وخروج هذه الطبعة إلى القارئ الكريم، خاصة وأن مادته التاريخية أصبحت مطلوبة لكثير من القراء بعد ما أصبح الشيخ غازي مشعل عجیل الياور رئيسا مؤقتا للعراق لمدة سنة فقط، والمنعطفات التاريخية التي مر وبمر بها هذا البلد في الوقت الحاضر، والرغبة الصادقة التي كانت لدى العراقيين في أن يكون للمنصب الذي صار إليه الشيخ، والعمق الكبير الذي يملكه من ارث تاريخي لشمر سنداً ودليل عمل له في إدارة البلاد ولم الشمل، لكنه خيب الآمال إلى حد ما ولم يعمل إلا بمنظار ضيق لا يتعدى خدمة مصالح خاصة، ونسي آمال العراقيين إن لم أكن مخطأ.

فكان إن أعيد طبع الكتاب بعد أن استقر الهيكل السياسي للدولة العراقية الجديدة، وخروج الشيخ غازي الياور من رئاسة العراق كي أكون حياديا أمام كل هذه المتغيرات، كما أن ما كتب على صفحات الشبكة العنكبوتية (الانترنت) عن الطبعة الأولى للكتاب ومادته التاريخية، وعن نسب الجريا إلى الهاشم: جعلني مطمئن إلى ما ذكرته في الفصل الأول من صحة هذا الانتساب، خاصة وإن الأشراف أنفسهم قد أكدوا هذا النسب، كما أن الديوان الهاشمي في الأردن قد وثق هذا النسب وقره للشيخ الشهيد شعلان منيف فيصل الجريا، فليقل من يقول ما شاء فقد حسم أمر هذا الموضوع، ومن لا يريد من آل محمد الجريا هذا النسب الذي أقر فلينتسب إلى من يشاء فإنه هو الخاسر الوحيد، لأنه سيكون وحده في طريق صحراوي ليس له نهاية.

كما أن كثيرا من الروايات والأشعار التي ظهرت على صفحات المنتديات القبلية في الشبكة العنكبوتية قد شاب أغلبها السطحية، وعدم معرفة بالتفاصيل والتحريف الكبير عن الأصول التي تروى، وهذا حافز آخر دعانا إلى أن نعيد الطبع لما في هذا المؤلف من كنوز شعرية نبطية لشمر، ومستودع تاريخي ضخم لتاريخها يعد بحق أرضية صالحة تنهل منها الأجيال القادمة لمن يريد منهم أن يكون له تصورا واضحا عن تكوين هذا التجمع القبلي ومساره التاريخي حتى بدايات القرن العشرين.

وختاماً أود أن أقدم جزيل الشكر والامتنان إلى من عاون في إخراج هذا المؤلف للقراء، من مد يد المساعدة في تتبع النصوص والروايات، مع قضاء الساعات الطويلة في قراءتها ومناقشتها مع الباحث لأكثر من عشر سنوات، بعد أن كان العديد من شيوخ شمر من آل الجريا قد قاموا بهذا العمل في طبعته الأولى، متمثلاً في شخص الشيخ خالد احمد صفوك الفيصل الذي اعان بفكره وماله وتوجيهاته السديدة من أجل لم الشمل وتركيز الحديث عن شمر قبل المشيخة، وعن العراق قبل الجزيرة، وإنشاء نمط حوارى بناء في ربط النصوص الكتابية، والتأكيد الحريص والجاد على الباحث بأن يجعل من الحقيقة هدفه الأسمى، وإن يكون هذا المؤلف دستوراً للأجيال القادمة من أبناء بيت المشيخة وعموم شمر، فضلاً عن كونه يمثل حيزاً واسع المساحة من

تاريخ العروبة العريق، وأنموذجا وضاء للفروسية والنخوة ونكران الذات لدى الإنسان العربي الأصيل في انتمائه لأرضه وأبناء جلدته، ومن الله المنة والعون والرضا.

المؤلف
الدكتور
ثائر حامد محمد صوفي خضر
الموصل
٢٠١٣/٥/١ م

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد وعلى آله وصحبه وبعد: فلنبدأ نود أن نشير إلى أن الكتابة في المواضيع التاريخية الاجتماعية المعقدة التي تختص بالتجمعات القبلية العربية ليست بالأمر الهين، بل على العكس إذ غالباً ما يتجنب الباحثون العرب والأجانب على السواء الخوض في مثل هذه الموضوعات، ونستطيع القول أن الكتابة فيها أشبه ما تكون بالمغامرة، فقد لا يخرج الباحث بنتائج واضحة ومعلومات مؤكدة عن موضوع دراسته إذ تتداخل فيه الحقيقة مع الخيال والأسطورة مع الواقعة التاريخية، وتلعب العواطف والميول لعبتها في طرح الحدث التاريخي.

وهذا الجهد العلمي الذي بين يدي القارئ الكريم هو ثمرة جهد كتابي جاد خاضه الباحث واستمر فيه أكثر من أربع عشرة سنة، كان تردد الكاتب كبيراً قبل البدء به، بالرغم من أن الباحث كانت له معرفة بمادة موضوع بحثه، وتجول في خلجات نفسه محبة واحترام لآل محمد الجربا وشمر منذ الصغر، ومعايش لأخبارهم وفي تماس مباشر بالبنانية من خلال أسرته.

فكان أن هيات له الظروف بمشيئة الله تعالى أن يلتقي الباحث ببعض من شيوخ الجربا. ودار حديث طويل عن تاريخ شمر التجمع القبلي العربي العريق مذ رحيلها عبر مساحات الأرض العربية بين نجد وأراضي الجزيرة الفراتية في العراق وسوريا، وحاجة المكتبة العربية إلى بحث في هذا الموضوع التاريخي بأسلوب علمي موثق يبرز الجوانب القومية والوطنية لشمر، وما سجلته من أحداث تاريخية على هذه الأرض العربية. فكان هذا الحوار بمثابة رنين الجرس الذي أوقد في حس الباحث تلكم المشاعر والأحاسيس الساكنة في صدره، وأضحى الطريق أمامه مههداً كي يجمع ويبحث ويدقق فيما دون وكتب عن الموضوع فضلاً عن قيامه بالتنصي والتجوال لأجل جمع الروايات والتحقق من صحة الأخبار والأشعار التي

قيلت ودونت، فكان خروج هذا البحث ثمرة الجهد والعمل الدؤوب الذي وجد الكاتب التفاني فيه لذةً وبالبحث عن مدوناته شرفاً وعزاً، نقلت الباحث خلاله إلى عالم آخر غير عالم المدينة والمدينة إلى عالم البداوة والصحراء والعروبة الحقّة والنفس العربي الأصيل لدى شمر وشيوخها الجربا عبر التاريخ الحديث والمعاصر للعراق والأمة العربية.

لقد عني الباحث بجمع كل ما استطاع جمعه من معلومات حول موضوع دراسته وتقصى ما استطاع الوصول إليه من مصادر ومراجع ومدونات، ضمن حدود الواقع السياسي وظروفه الذي يعيش فيه وطنه مع الجوار والعالم، مقتنياً اثر باحثين ساروا من قبل في هذا الدرب الصحراوي، وكتبوا قمماً في عملهم أمثال موزيل (Mussel) الذي دفع حياته ثمناً لبحثه عن قبيلة الرولة من عزة بعد أن عاش بينهم عدة سنوات، والبارون ماكس اوبنهايم (Max oppenheim) الذي وضع كتاباً عن رحلته التي قام بها في أراضي سوريا والعراق^(١)، وآخر يقع في أربع مجلدات بعنوان البدو^(٢)، وقبلهما كتبت السيدة آن بلنت (Anne Blunt) قد وضعت كتاباً عن قبائل الفرات^(٣)، وغيرهم من الباحثين والرحلة.

لقد حاول الباحث في دراسته هذه أن يجمع بجدية ونشاط دؤوب بلا كلل ما استطاع الوصول إليه من مدونات ومعلومات خطية وروايات شفهية، باحثاً عن صحة الرواية وحقيقتها بين تلكم الأشعار والأخبار المدونة والمحفوظة هنا وهناك في ثلثيا الكتب والمخطوطات. فضلاً عن ما تحفظه صدور الرجال بالرغم من ضياع الكثير مما حفظ من أخبار الماضين وأشعارهم، خاصة في الفترة النجدية من حياة هذه الأسرة النبيلة وشمر. وبإطار أكاديمي ينشد الجدية في تدوين النص والدقة في البحث عن الحقيقة، والابتعاد جهد المستطاع عن العاطفة والميل في الكتابة، كي يسمو هذا الجهد

(1). Max Von Oppenheim, Yom Mittelmeer zum Golf, Vol. -1-2 (Berleem: 1900).

(2). Max Von Oppenheim, Die Beduinen, Vol. 1 (Leipzig: 1939).

(3). Lady Anne Blunt, Edouin Tribes of the Euphrates, Vol. 1-2 (London: 1878).

الكتابي في نصوصه ومدوناته إلى المستوى الذي يليق بمن حوى أخبارهم بين طبقاته كسجل تاريخي موثق لأجيالهم القادمة.

أشتمل الكتاب على مقدمة وستة فصول، درس الفصل الأول منه نسب آل الجربا شيوخ شمر وأصل هذه التسمية (الجربا). ومن ثم الموطن الأول لشيوخ شمر، وتكوين هذا التجمع القبلي العربي المعروف بشمر على أرض نجد، مع الإشارة إلى أهم الأحداث التي عايشتها شمر في منطقة جبل شمر حتى وفاة الشيخ حميدي الأمسح.

وثاني الفصول جاء الحديث فيه عن مشيخة الشيخ مطلق الجربا وبعض من مآثره وأوضاع شمر على أرض نجد والصدام الدامي مع آل سعود وأتباعهم الوهابية وما رافق ذلك من أحداث حتى مقتل الشيخ مطلق.

أما الفصل الثالث فالحديث فيه جاء عن مشيخة فارس الجربا ورحيل شمر عن نجد إلى جنوب العراق، ومن ثم إلى أرض الجزيرة الفراتية، وطبيعة العلاقة التي كانت بين شمر والدولة العثمانية حتى رحيل الشيخ فارس وقبله ابن أخيه الشيخ بنية. ثم تطرق هذا الفصل إلى التقسيم القبلي لشمر بشكل عام.

والفصل الرابع قد تناولنا فيه فترة مشيخة سلطان البر الشيخ صفوك المحزم وما رافق مشيخته من أحداث استمرت حوالي ثلاثة عقود من الزمن، وتعد هذه الحقبة من تاريخ شمر من أدق الحقب التاريخية على أرض الجزيرة الفراتية. إذ تصدت شمر لعدوانين إيرانيين على العراق، وساعدت علي رضا باشا في قضائه على حكم المماليك للعراق، كما أن أولى التوجهات القومية لشيوخ عربي في العراق كانت للشيخ صفوك الجربا وما قام به لأجل تكوين كيان عربي على أرض الجزيرة الفراتية والعراق وتخليصهما من السيطرة العثمانية، متعاوناً في ذلك مع القيادة المصرية في الشام، ومن ثم دور الشيخ صفوك في تكوين إمارة آل رشيد في حائل. كما وقد أشار هذا الفصل إلى أهم الوقائع التي حدثت بين شمر وعزة في هذه الحقبة الزمنية، ومن ثم جاء الحديث فيه عن فترة نفى الشيخ صفوك إلى اسطنبول واثار ذلك على شمر، مع بيان يد السلطات البريطانية في ذلك والدور الذي لعبته في أرض الجزيرة أثناء غياب الشيخ صفوك عن شمر والمنطقة، ثم ينتقل الحديث بعد ذلك إلى أوضاع شمر في أربعينات القرن التاسع عشر حتى مقتل الشيخ صفوك عام ١٨٤٧م.

والفصل الخامس من هذا المؤلف حوى في اسطره حقبة مشيخة الياسا فرحان وما راقفها من أحداث ضمن العلاقات العثمانية الشمرية، وثورة أبي خوزه الشيخ عبد الكريم الجربا. والاستقرار الريفي الأول لشمر في أرض العراق، ليقتينا الحديث بعد ذلك على بدايات التقسيم الحقيقي للمشيخة على شمر بين أبناء الشيخ صفوك.

ثم يكون الفصل السادس، الذي هو خاتمة البحث. إذ يعرض هذا الفصل لأوضاع شمر الداخلية بعد وفاة الشيخ فرحان، ومن ثم الشيخ فارس راعي الببل، وموقف السلطات العثمانية من شمر. ومحاولتهم القضاء على وحدة هذا التجمع القبلي من خلال زرع الفتن الداخلية والصراعات بين شمر وما جاورها من أقاليم وتجمعات سكانية. ومن ثم يتعرض الفصل لعلاقة شمر وشيوخها الجربا بالثورة العربية الكبرى التي انطلقت من الحجاز عام ١٩١٦م وحمايتهم للآثر من، ودور الشيخ فيصل الفرخان في هذا الجانب فضلا عن موقف شمر من الاحتلال البريطاني للعراق، وإسهامهم الفاعل في ثورة العشرين، وظهور كل من الشيخين عجيل اليلور وإدهام الهادي على مسرح الأحداث. لينتهي هذا الفصل بقيام الحكم الملكي في العراق عام ١٩٢١م.

تضمن هذا المؤلف العديد من الخرائط والمصورات التي وضعت توكيداً وتوثيقاً لما دون وحفظاً لتراث آل محمد ولشمر، كما حوى في طياته على العديد من الأشعار والقصائد النبطية التي تعود إلى الحقب الزمنية التي عاش فيها الجربان شيوخ شمر على أرض الجزيرة العربية والجزيرة الفراتية، حفاظاً عليها وعلى قيمتها الأدبية والتاريخية من الضياع، التي حاول الباحث جمعها وتدوينها رغم صعوبة مثل هذا العمل لضياع أبيات كثيرة منها أو لوجود التحريف والإضافة فيها نتيجة لتباعد الزمن وتناقلها من خلال الذاكرة من جيل لآخر عبر تباعد الزمان حتى وصولها إلى أيامنا هذه.

نود ونحن ندون هذه الأسطر أن نشير إلى جهود من سبقنا في محاولة القيام بجمع تراث شمر وتدوينه من أهل هذا البيت النبيل (آل محمد). يأتي في مقدمتهم الشيخ صفوك عجيل اليلور، ثم ما وجه به الشيخ أحمد العجيل إلى السيد أحمد السوري وغيرهم، لكن جهودهم لم تثمر عن عمل ظهر للعيان، ولم يبق الزمن لنا من جهودهم سوى بعض الكراسات الشعرية وأشرطة التسجيل التي حوت بعض الأشعار والقصائد القديمة التي كان قد جمعها الشيخ عبد العزيز الراكا.

وختاماً فإن الباحث لا يسعه إلا أن يسدي جزيل شكره وامتنانه إلى كل من مد يد العون وساهم بما لديه لأجل إخراج هذا العمل إلى القارئ الكريم، من أهل بيت المشيخة وعموم شمر، شاكراً لهم ما قدموه من مدونات ومعلومات تاريخية وشعرية، فضلاً عن الحفاوة والتقدير الذي لمسه الباحث من لدن الجربا شيوخ شمر خاصة ومن عموم أبناء شمر أثناء قيام الباحث بجمع الوثائق والتحقيق من الأخبار عند مرحلة إعداد الكتاب. كما ويسجل شكره وامتنانه إلى كل العاملين في المكتبات العراقية ويخص منهم العاملين في المكتبة الوطنية ببغداد ومكتبة المتحف العراقي ومتحف الموصل الحضاري فضلاً عن المكتبة المركزية لجامعة بغداد والموصل. مع خالص امتنانه إلى كل من قرأ النص أو ترجم للباحث نصوصاً أجنبية أو أسدى نصحاً وإرشاداً له لأجل الوصول إلى ما صار إليه هذا العمل المتواضع حتى خرج من المطابع إلى القارئ الكريم، سائلاً المولى القدير عز وجل أن أكون قد أدت الأمانة التي حملتها على عاتقي تجاه شمر وشيوخها آل محمد وتجاه هذا الوطن الغالي وتاريخه المجيد، لأجل حفظ هذا التراث البدوي الأصيل والله الموفق لما فيه خير الجميع.

المؤلف

الدكتور

ثائر حامد محمد صوفي خضر

٢٠٠٠/١/١ م

ضوء على ما كتب

قبل الدخول في صلب موضوع الدراسة المتعلقة بشمر وشيوخها الجربا علينا أن نعرض لبعض الكتابات التي تطرقت لهذا الموضوع وعلمت بعض جوانبه بشكل أو بآخر سواء العربية منها أو الغربية، ويأتي في مقدمة باحثينا العرب الذين تطرقوا في كتاباتهم إلى شمر وشيوخها الجربا: المحامي والمؤرخ الأستاذ عباس العزاوي فيما دونه من خلال موسوعته المعنونة عشائر العراق التي تقع في أربعة مجلدات^(٤)، لعل شمر وشيوخها الجربا اخنوا فيها حيزاً واسعاً في الجزء الأول من هذه الموسوعة التي كان العزاوي صادقاً ومنصفاً فيما دون، ثم ما كتبه السيد وصفي زكريا عن عشائر الشام^(٥)، وقد ركز زكريا في كتابته على شمر وشيوخها الجربا في القطر السوري الشقيق.

واتت كتابات الدكتور عبد العزيز سليمان نوار في كتابيه داود باشا^(٦)، وتاريخ العراق الحديث^(٧)، والبحث القيم الذي صدر له عن آل محمد الذي نشر عام ١٩٦٩م^(٨)، فقد كان الدكتور نوار دقيقاً عند تكوينه للحدث التاريخي، واضحاً في إعطاء الصورة عن دور شمر وشيوخها الجربا السياسي على أرض الجزيرة الفراتية، لكن ما دونه كان ضمن عمل أشمل تمثل في تاريخ العراق الحديث سوى بحثه عن آل محمد الذي حاول فيه أن يعطي الحدث التاريخي حقه بما توفر لديه من وثائق وكتابات، وثمة باحث آخر أشار ضمن بحثه عن أنساب الأشراف والسادة الحسينيين والحسينيين هو

(٤) عباس العزاوي، عشائر العراق (بغداد: ١٩٣٧) ج ١-ج ٤.

(٥) وصفي زكريا، عشائر الشام (دمشق: ١٩٤٦).

(٦) د. عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا ولي بغداد (لقاهرة: ١٩٦٧).

(٧) د. عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم منحت باشا (لقاهرة: ١٩٦٩).

(٨) د. عبد العزيز سليمان نوار، آل محمد بيت الرئاسة على قبائل شمر، المجلة التاريخية المصرية (لقاهرة: ١٩٦٩م) المجلد ١٥.

الشيخ محمد بن صالح البرادعي في كتابه الدرر السنية^(٩)، وقد ثبت فيه نسب آل محمد الجربا وحققه ضمن الأشراف الحسينيين.

ويتقدم الزمان إلى أيامنا هذه ونرى أن ما خرج من المطابع عن شمر وشيوخها آل محمد الجربا ودورهم في مواجهة الحكم العثماني من كتابات لا ترقى إلى ما تم التنويه عنه، بل على العكس من ذلك فقد ضعف القلم الكتابي إلى مستوى متدنٍ في بعض الأحيان، فكتاب الظاهري عن آل الجرباء في التاريخ والأدب^(١٠) كتب ضمن توجه فكري خاص بمؤلفه جعل الكتب مجبراً على إخفاء بعض الحقائق التاريخية الثابتة أو تحريفها إرضاءً لذلك التوجه الفكري لمؤلفه بالرغم من أن الكتاب قد خرج من المملكة العربية السعودية، ومع محاولات الكتب الجادة في جمع الروايات وما وصلت إليه يدها من أشعار وكتابات حول مؤلفه، لكنه وقع في كثير من المطبات التاريخية، ومنها عند بحثه عن نسب آل محمد الجرباء، إذ يذهب بعيداً عن الصواب حينما يجعل نسب الجربا من الضياع، فضلاً عن أخطائه الأخرى التي وقع فيها خاصة عند نقله لبعض الأشعار كان غير موفق. فقد ينسبها إلى غير أهلها أو ينقلها ناقصة أو محرفة، كل هذا جطنا نفق أمام هذا المؤلف موقف الناقد الحذر رغم ما فيه من جهد كتابي وفائدة معرفية.

أما مؤلف الدكتور المعاضيدي عن بعض أنساب العرب^(١١) الذي خرج منه إلى الآن ثلاثة أجزاء، فإن وقوفاً عنده لن يكون طويلاً، لأن القصص الشعبي الذي لا يستند إلى أسس علمية واضحة كان الإطار العام لهذا المؤلف، وكان تحقق الباحث من الحدث التاريخي هامشياً فيما يخص التجمعات القبلية وبيوتاتها، بل أن الكتب وضع هدفاً أسمى له تمثل في تمجيد المعاضيد من شمر في جزئه الأول، وتعداد رجال البيوتات من القبائل العراقية وأفخاذها في الثاني والثالث فضلاً عن تصحيح ما وقع فيه من أخطاء في الجزء الأول في الثاني والثالث بأخطاء أكبر^(١٢)، وعليه فإن مؤلف المعاضيدي لا يعد من كتب

(٩) محمد بن صالح البرادعي، الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية (مكة المكرمة: ١٩٥٦).

(١٠) د. خاشع المعاضيدي، بعض من أنساب العرب (بغداد: ١٩٨٦) ج ١-ج ٣.

(١١) نفسه، ج ١-ج ٣، نظر صفحات عدة.

النسب قياساً بالأسلوبية التي عرفت عند مؤرخي الأنساب في تاريخنا العربي الإسلامي ومن سار على نهجهم، كما أن هذا المؤلف قد غابت عنه العديد من المصادر والمراجع والبحوث التي تخص موضوع بحثه، ومنها ما يخص شمر وقبائلها وشيوخها الجربا، فضلا عن القبائل الرئيسية الأخرى في العراق، مما جعلت بحثه تحف به الضبابية وعدم الوضوح والاعتماد عليه فيما يتعلق بنسب الجربا وتاريخ شمر في العراق يعد مجازفة تكتنفها الكثير من الأخطاء وأسطورية الرواية وبعدا عن الحقيقة.

ثم خرج إلى القارئ الكريم مؤلف السيد جاسم ذويب المعنون قبيلة شمر^(١٢) وهو عمل يؤسفنا القول: أن هذا العمل الكتابي لا ينتمي إلى أساليب البحث العلمي الرصين، فهو جمع للمعلومات وكتابة غير موفقة على الإطلاق، إذ الخطط والخطأ الطمیان صفة الكتاب المميزة وعنوانه البارز، ومصدر الباحث المقتبس عنه الكثير مؤلف الدكتور المعاضيدي. وما دونه ذويب عن آل محمد شيوخ شمر فيه خلط وتصحيف في الأسماء والتواريخ، ومداخلات بين الآباء والأبناء لا يمكن لأي باحث السكوت عنها دونما تصحيح وتثبيت لصوابها^(١٣).

سار السيد جاسم على مسار الدكتور المعاضيدي في تقسيماته لبطون وقبائل شمر في المسميات^(١٤) خطأ إلى شمر عبده، وشمر الصليح الخ، فهذا اجتهاد غير صحيح ويشوه هذا التجمع القبلي، لأن عبده وزوبع واسلم من شمر، وتكون مسمياتها هذه فقط فضلا عن ما وقع فيه السيد جاسم ذويب بقصد أو دون قصد: عندما وضع بعض الصور ودون على واحدة من هذه

(١٢) جاسم محمود ذويب، قبيلة شمر (بغداد: ١٩٩٢).

(١٣) نفسه، حيث يضع ابناً للشيخ فرحان باشا اسمه حاجم، ولكل يعلم أن الشيخ حاجم هو ابن الشيخ لعاصي ابن الشيخ فرحان، ص ٢٣، ويجعل وفاة الشيخ عجیل فیاور عام ١٩٧٢م، ص ٢٧، والحقيقة أن الشيخ عجیل فیاور قد توفي في ١٣/١١/١٩٤٠م، ويذكر أن الشيخ أحمد العجيل كان على مشيخة شمر منذ عام ١٩١٧م، والواقع أن أحمد العجيل من مواليد ١٩٢٥م، ص ٥٤، كما ويذكر أن الشيخ فارس راقي قبل ابن الشيخ صفوك ابناً للشيخ عبد الكريم الجربا وهو أخوه وليس لئنه، ص ٥٢.

(١٤) نفسه، ص ٤٤، ٥٨، المعاضيدي، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣.

الصور التي هي لرئيس الصبحي إحدى قبائل شمر وتخص كنعان الصديد مدونا عبارة (شيخ شمر)^(١٥)، وهو أمر لا يقره أي بدوي على أرض الجزيرة ونجد يجهل القراءة والكتابة، مع كل الاحترام لآل صديد. ولكن يجب أن يعطى كل ذي حق حقه ومكنته، فلماذا هذا الخلط في الأنساب وإدخال بيوتات الحملل بعضها ببعض.^(١٦)

أما كتابات الشيخ يونس السامرائي^(١٧) والعامري عن العشائر العراقية^(١٨) فلا تستحق الوقوف عندهما لأنها نقل غير أمين عن العزاوي وغيره، وتصحيف للأسماء والأنساب لا يمكن للبحوث التي تنشد جدية العمل الاعتماد عليها. خاصة مؤلف السيد العامري الذي لا يستند إلى أي مصدر مدون، واعتماده الكلي في الكتابة على الروايات الشفهية وغير الحقيقة التي تنتقل إلى الصدق والمسؤولية في طرح الأخبار والأنساب، والهدف الأساسي من وراء جمعه لهذا الكتاب هو الكسب المادي وليس التوثيق العلمي الرصين، وهو في الحقيقة ثمرة الحصار الذي كان مفروضا على العراق.

ثم ظهر إلى القراء كتاب السيد أنور عبد الحميد السباهي شمر وأمرأها^(١٩)، اختص بشمر وشيوخها الجربا المتواجدين في القطر السوري الشقيق حاليًا، وهو في الحقيقة عمل تجميعي وليس تأليفًا، إذ اجتزأ مقالات من كتب وبحوث ثم اعتبرها فصولاً في كتابه، ليتحول الكتاب بعدها إلى مجموعة من الصور وأسماء أصحابها.

ثم كان صدور كتاب الأستاذ هشال عبد العزيز الخريصي المعنون قبيلة شمر متابعه وتحليل^(٢٠)، وهو في الواقع مجموعة من الخواطر والمشاعر النبيلة تجاه شمر كتبت بأسلوب أدبي رائع. لم يكن التوثيق التاريخي ذا تواجد واضح فيه، ولكن هذا العمل النبيل لم يسلم من السرقة إذ

(١٥) نوب، مرجع سابق، ص ٥٨.

(١٦) زكريا، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٨٠، وأيد هذا الرأي لمرحوم خالد عجبل من قضاء شمر من الصابح.

(١٧) للشيخ يونس السامرائي، القبائل العراقية (بغداد: ١٩٨٩) ج ١-ج ٢.

(١٨) تأمر عبد الحسن العامري، موسوعة العشائر العراقية (بغداد: ١٩٩٥) ج ١-ج ٩.

(١٩) أنور السباهي، شمر وأمرأها (بيروت: ١٩٩٥).

(٢٠) هشال عبد العزيز الخريصي، قبيلة شمر متابعه وتحليل (لندن: ١٩٩٨).

قام المدعو عليان السكب بسرقه نص كتاب الأستاذ الخريصي ووضع له عنوان قبيلة شمر الطائية^(٢١) دون أننى خجل من مثل هذا العمل.

وان آخر عملي كتابي اطلع عليه الباحث مكتوباً بلغة الضاد هو المؤلف الهش في البناء الفكري والنصي الذي ألفه السيد عبد الطيف الجبوري عن الشيخ عجيل الياور^(٢٢)، والجبوري في كتابه هذا ليس بعيداً عن عليان السكب في سرقة النصوص الكتابية من مصادر ها دون الإشارة إلى جهود من ألف هذه الكتب، ثم انه يذكر في كتابه مصادر ووثائق هو ابعد ما يكون بإمكانه الوصول إليها، خاصة إذا علمنا انه لا يجيد ابسط قواعد البحث العلمي ومنها على سبيل المثال لا الحصر كيفية الإشارة إلى المصادر والمراجع التي كانت جلية للعيان في كتابه، وقد شوه الكاتب رغم الدعم الذي حضني به من لدن أحفاد الشيخ عجيل الياور صورة هذا الرجل وتاريخه على مشيخة شمر وكأن الكتاب لم يقرأ من قبل أسرة الشيخ عجيل الياور وهو في مرحلة المسودة قبل الطبع.

أما الدراسات التي ظهرت بعد العام ٢٠٠٨م التي اقتصت بالتجمعات القبلية سواء في العراق أو ببلاد الشام، والتي اطلعنا عليها فيما يخص شمر أو غيرها من الحملات العربية، فهي لا تعدو في كتاباتها أسلوب كتابات السامرائي والعامري وعبد اللطيف الجبوري. لا تستحق منا ذكرها أو الوقوف عندها، لأن الكسب المادي هو اسما غايات كتابها.

أنت أدق الدراسات الغربية الرصينة التي علجت تاريخ شمر بحسب علمنا ما قام به الباحث الأميركي ويليمسن (Williamson) من إنجاز أطروحة دكتوراه عن التاريخ السياسي لشمر الجربا على ارض الجزيرة الفراتية ما بين عامي ١٨٠٠-١٩٥٨م^(٢٣)، ضمن الدراسات المتعلقة بالتجمعات القبلية، وهذه الدراسة تعد بحق من الدراسات القيمة التي كتبت عن

(٢١) عليان السكب، قبيلة شمر الطائية، ليس على الكتاب أية معلومات أخرى تخص النشر، لدى الباحث نسخة منه.

(٢٢) عبد الطيف عيسى الجبوري، عجيل الياور أمير بادية الجزيرة (بغداد: ٢٠٠٠).

(23) John Williamson A Political History of The Shammar Jarba Tribe of Al-Jazirah, 1800-1958. (USA: 1974)

شمر لولا بعض النقص الذي فيها، لأن الباحث لم يزر أرض شمر ويعايش أفرادها، بل جعل اعتماده الكلي على المؤلفات والوثائق، مما جعل بحثه فيه بعض النقص في توضيح الأحداث التاريخية، ونظراته الكتابية أضحت وثائقية المنهج في طرحه لأرائه فيما دون، وفيها الكثير من القسوة والتجني في اللغة التي كتب بها الباحث عن شمر وشيوخها الجربا.

ترجمت الأطروحة إلى العربية من قبل مير شاؤول بصري ترجمة غير موفقة للغاية، بعد أن حذف منها بعض النصوص^(٢٤)، لذا لم نعتمدها في بحثنا هذا، وبقي اعتمادنا على النص الإنكليزي الذي كتبت به الأطروحة أصلاً، ومن ثم نشرنا لاحقاً الترجمة الكاملة لها التي قام بها الدكتور جوزيف نادر بولص، وقدم لها وعلق على نصوصها كتب هذه المصطور^(٢٥) وكان قد أعيد طبع ترجمة مير بصري من قبل مدير الدار العربية للموسوعات خالد عبد المنعم العاني بعد أن سطت عليها دار النشر هذه دون موافقة دار النشر الأولى للكتاب، مع إضافة نصوص كتابية إليها وجعلها جزءاً من النص الأصلي وهو في الحقيقة تزوير للنص لم يرق ولم يمس بكتابته، مع إبقاء الدار على الأخطاء الطباعية التي كانت في طبعة بصري الأولى دون مراجعة لها أو فحص النص المطبوع، لأن الكسب المادي لمصاحب الدار لص المطبوعات خالد العاني كان الهدف الأساس من وراء إعادة طبع النص في بيروت.

(٢٤) جون وليمنسن، قبيلة شمر العربية مكانتها وتاريخها السياسي ١٨٠٠-١٩٥٨م، ترجمة مير بصري (لندن: ١٩٩٩)، أعادت الدار العربية للموسوعات طبع الكتاب بنفس العنوان والترجمة ببيروت عام ٢٠٠٠م.

(٢٥) جون وليمنسن، لتاريخ سياسي لشمر الجربا قبيلة من الجزيرة ١٨٠٠-١٩٥٨م، ترجمة د. جوزيف نادر بولص، تقديم وتعليق د. نائر حامد محمد (عمان: ٢٠١٠م).

الفصل الأول

الجدور

مدخل

قل عَزَمَن قَاتِل فِي قِرْآنِهِ الْمَجِيد: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم)^(١)، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ انه قال: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم. فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثرة في المال منسأة في الأثر مرضاة للرب).^(٢)

وعلم الأنساب من العلوم العربية الخالصة التي لم تعرفها أمة من الأمم قبلهم، بحيث أن العرب قسموا مجتمعهم إلى شعوب وقبائل وعوائل وأفخاذ الخ، ووضعوا السلاسل النسبية لها معتمدين في ذلك على الروايات الشفهية والمكتوبة موزعين العرب بين قحطان وعذنان.. يقول النويري في هذا العلم: (ومعرفة انساب الأمم اقتضت به العرب على العجم لأنها احترزت على معرفة نسبها. وتمسكت بمتين حسبها. وعرفت جماهير قوتها وشعبها، وأفصح عن قبائلها لسان شاعرها وخطيبها، وتحدث برهطها وفصائلها وعشائرها وحالت إلى أفخاذها وبطونها وعوائلها)^(٣).



- (١). القرآن الكريم، سورة الحجرات: آية ١٢.
- (٢). ابن حزم الأندلسي، جمهرة انساب العرب (لقاهرة: ١٩٨٢) ص ٣، لحمد بن حنبل مسند الإمام أحمد (بيروت: ٢٠٠٤) ج ٥، حديث رقم ٨٨٦٨.
- (٣). سمير قطب، انساب قبائل العرب (بيروت: ١٩٨٤) ص ١٣.

جزور نسب الجربا

إذا ما أردنا الخوض في بحر هذا العلم اللجب بأسماء قبائله وأفخاذها أسلين من ذلك الوصول إلى نسب آل محمد الجربا قادة شمر وبيت الرئاسة عليها بدأ في بحثنا لتأريخ شمر: تمر أمامنا عدة روايات إخبارية أتت عبر الرواية المدونة في ثنانيا الكتب، أو بالمشافهة، صبت آراؤها في عدة مناهل سنحاول عرضها وإخضاعها إلى النقد العلمي دونما أدنى تحزب لرأي على حساب الآخر.

أولها: ارجع نسب هذا البيت إلى القبيلة العربية القحطانية (طي)^(١) إما بشكل مباشر أو بربط نسبهم بقحطان عبر قبيلة عبدة القحطانية من خلال الضياغم أحد فروعها^(٢)، وعند مناقشة هذا الرأي فإننا نراه يرجع نسب هذا البيت إلى قحطان عبر خطين يلتقيان في اليمانية عند جدهم الأعلى قحطان، والربط بطي مباشرة رأي عام لا تؤيده الوثائق التي توفرت لدينا وسوف نأتي عليها فيما بعد، ولكن لسخاء أيادي أهل هذا البيت وعلو منزلة الكرم لديهم شبهوا بكرم الطائي حاتم، خاصة وأن لآل محمد الجربا صلة نسب قوية بطي لأن جدهم سالم الذي تبلور على يديه كيان شمر الحالي أخواله الفضول من بني لام من طي.

أما الخط الثاني فيتسم بدقة أكثر حينما يتخذ من إحدى القبائل الشمرية القحطانية عبدة منطلقاً من الضياغم الأصل الذي يلتحق به آل محمد الجربا، وهذا الرأي ارتجالي لا يستند إلى مصدر مدون موثوق فضلاً على أن قفاله لا يملك شجرة نسبية تثبت من خلالها صدق ما ذهب إليه في فرضيته هذه،

(٤). عثمان ابن سند الوائلي، مطالع السعود في طبخ أخبار الوزير دلود (بغداد: ١٩٩١) ص ٢٨٦، المعاصيدي، مرجع سابق، ج ١، ص ٣١، الظاهري، مرجع سابق، ص ٢٠، ١٧.

(٥). الظاهري، مرجع سابق، ص ٢٠، ٥٥.

وإنما جاء عمله لخدمة أغراض خاصة به^(٦) لا يهمننا الخوض فيها، ومما يضعف هذا الرأي بشقيه مع اعترافا بكون مكتبة طلي وعبدية العربيتين الأصيلتين، أن التراث الشعري البدوي يتف بعيدا عنه ولا يؤيده ببيت شعري واحد صحيح موثوق، ونضيف إلى ما تقدم أن قبيلة عبدة هي القبيلة الشمرية الأولى في نجد حالياً وخرج من بيوتاتها (آل علي) وآل رشيد حكام حائل الرؤساء على شمر نجد خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولكن الجربا هم شيوخ شمر أينما وجدوا سواء في العراق وبلاد الشام أو في نجد، أو أينما كان لشمر منزل، فهم الشيوخ على عبدة فكيف يكونون قد خرجوا من أحد فروعها ورضي آل علي برأستهم، فزعامتهم هي لكافة قبائل شمر، وكلامهم مسموع من قبل كل أجداد شمر سواء في أرض الجزيرة الفراتية أو في نجد.

وثمة رأي لم نرد ذكره لولا أنه متداول على نطاق محدود على أرض الجزيرة الفراتية، وخاصة من قبل الأقوام غير العربية الساكنة مع شمر، إذ ترجع نسب آل محمد الجربا إلى البرامكة الفرس دون ذكر للسند أو الطريق الذي يربط نسب هذا البيت الكريم بهذه الأسرة القديمة. ولكننا وبعد البحث والتقصي تبين لنا أن هذا القول موجود في أرض الجزيرة الفراتية منذ قرون على لسان ساكنها، ولكن وبحسب ما يروي المؤرخون كالصفدي^(٧) وابن خلدون في كتابه العبر^(٨) والقفطندي في كتابه قلائد الجمان^(٩)، فإن أسرة آل ربيعة الطائيون بيت المشيخة على (طلي) كانوا يروون هذا النسب

(٦). نفسه، ص ٥٥.

(٧). خليل بن ليك الصفدي، الوفيات (بيروت: ٢٠٠٠م) ج ٦، ص ١٨٨-١٨٩.

(٨). عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر (بيروت: ٢٠٠٠م) ج ٥، ص ٤٩٩-٥٠٠.

(٩). أبو العباس أحمد بن علي القفطندي، قلائد الجمان في تعريف بعرب الزمان (بيروت: ١٩٨٢م) ص ٧٣-٧٤.

لمن يسألهم عن جذور نسب اسرتهم، فيقولون انهم من ولد العباسة اخت هارون الرشيد من جعفر البرمكي، وقد اعاب المؤرخون هذا القول عليهم وبينوا انهم اصل العرب ولبهم من القحطانية ورأس ارومة طي، ولا يمكن ان يرجعوا بنسبهم هذا الى الفرس، كما ان رواية زواج العباسة من جعفر البرمكي هي رواية من نسج خيال الفرس للطعن في الأنساب العربية النبيلة وليست حقيقة تاريخية.

اذن فلقد اتضح لنا كيف كان جذر هذه الرواية تاريخياً، وعندما جاءت شمر وشيوخها الجربا الى ارض الجزيرة الفراتية، وتزوج الشيخ صفوك من الشبيخة عمشة الحسين بنت شيخ طي، اخذ بعض المغرضين ممن يدفعون الخوة لشمر خاصة من بعض القوميات غير العربية والقبائل العربية الضعيفة يلمزون اسرة آل محمد بهذا النسب، في حين ان كرم اهل هذا البيت النبيل الذي شبه بكرم البرامكة المذكور في كتب التراث الادبي الإسلامي، وبهذا يكون قد حل هذا اللغز وتبين انه لا صلة لأل محمد الجربا به، والنمز به لهم على ارض الجزيرة الفراتية وهو مقرون بمشيخة طي على هذه الأرض من خلال قول اسلافهم، ولا اصل لهذا الخبر مع شمر وشيوخها الجربا على ارض نجد.

والرأي التالي يرجع نسب آل محمد الجربا إلى أشرف مكة من آل قتادة الذين هم من نسل الإمام علي (عليه السلام) من ابنه الحسن (عليه السلام)، وقد ذكره وتحقق من صحته المؤرخ الشريف محمد بن صالح البرادعي في كتابه الموسوم: الحرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية إذ يقول: ومن ذرية محمد بن بركات آل محمد وعدادهم في شمر، ويعرفون بالجربا. (١٠) وكذلك أكد عميد الأشراف في مكة المكرمة

(١٠). البرادعي، مرجع سابق، ص ٢٩، لحمد عبد الرضا كريم، الأنساب المنقطعة (القاهرة: ١٩٩٩م) ص ٢٣٠ إذ يؤكد ما ذهب إليه البرادعي من صحة نسب الجربا إلى هؤلاء الحسنيين.

الشريف علي بن احمد بن منصور الكيريتي في وثيقته المؤرخة في المحرم من عام ١٣٨٤ هـ ايار من عام ١٩٦٤ م. وجاء فيها:

(بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين)

أما بعد: انه بمقتضى ما عرضه علينا الأشراف من بركات الذي جلى من مكة المكرمة إلى نجد الشمالي وسكن جبلي أجا وسلمى وصح أن بركات المنوه عنه كان أميراً في مكة في ذلك العصر وجلى إلى نجد الشمالية واستوطن جبل أجا، ونجد نسبهم حتى سالم بن محمد بن بركات هذا صحيح لا ريب فيه، لأن بركات انف الذكر ثابت اسمه لدينا في شجرة الأشراف أهل مكة والحجاز، ولما تحقق عندنا ذلك النسب لذا نكون قد أدبنا واجبنا تجاه أبناء عمومتنا لاعتماد ذلك النسب وتخليده. وأختارنا في ذلك عمدة وبالله الاعتماد^(١١).

الشريف محمد شرف، الشريف علي بن احمد بن منصور، الشريف محمد سند الجودي.

وأضاف الكيريتي عيد أشراف مكة المكرمة بقوله: (أنا علي بن احمد بن منصور قد آتانا الجربان من نزية الشريف سالم بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان، وان المذكورين ينتسبوا إلى بركات وهذا نسبه صحيح عندنا مدون في نسبه)^(١٢).

كما أكد هذا النسب كذلك كلاً من المحامي عباس العزاوي في مخطوطته عن نجد، وأشار إليه كذلك في كتابه عشائر العراق^(١٣) والدكتور عماد عبد السلام رؤوف في كتابه عن إدارة العراق الذي اعتمد في تأليفه

(١١). عبد اللطيف الشيخ علي المحاميد، من شجر الأنساب (سوريا: ١٩٩٨ م) ج ١، ص ١١٢-١١٣، وقد قام فباحث بتدقيق الأسماء الواردة في النص وضبطها.

(١٢). نفسه، ص ١١٣.

(١٣). عباس العزاوي، المجموعة الكبرى مخطوط في المركز الوطني للمخطوطات، بغداد تحت رقم ١٠٦٥٧، ورقة ٣، عشائر العراق، ج ١، ص ١٣٢، ١٣٥.

على مخطوط السهروردي بشكل كبير^(١٤)، كما ذكر هذا النسب البارون ماكس أوبنهايم ولكنه أرجع نسبهم إلى العباس بن عبد المطلب^(١٥)، وفي خبر آخر أرجعهم إلى الأنصار من أهل المدينة^(١٦)، فضلاً عن توثيق الديوان الهاشمي في الأردن نسب الجربا إلى الهواشم للشيخ الشهيد شعلان منيف الفيصلي^(١٧).

ومما يزيد في تأكيد الموطن الحجازي للجربا: وصف كاتب لقيادة شمر بالصفات الحضارية المدنية التي عكستها على بداوة الصحراء، وعلى أفراد شمر. وجسدها هذا البيت ببخورهم المكية ونسبهم الهاشمي في أسلوب القيادة إذ يقول: كانت قيادة شمر والعقلانية عند مشايخهم ذات شكل هادئ يسوده الحوار، وطريقة مثالية قد لا تنتهي بالحسم العاجل، وهي من خلال كل المؤشرات تتعدى الإطار والأسلوب القبلي حيث يتوافر في الموقف عندهم أبعاد ونتائج مرحلية وذات بعدٍ مستقبلي^(١٨).

فضلاً عما يتناقله أهل هذا البيت جيلاً بعد آخر من أنهم ينتسبون إلى الأشراف الحسينيين^(١٩)، ليشي الشعر البدوي ويؤكد هذا الرأي عبر مدح الشعراء لأهل هذا البيت وذكرهم لبطولاتهم وأمجادهم فيذكر نسبهم الشريف ومنها قول الشاعر عامر السمن في الشيخ مطلق الجربا المتوفى في عام ١٧٩٨م:

سيد من سيد متمسلي ما بين طه والبتول والولي^(٢٠)

(١٤). د. عماد عبد السلام رؤوف، إدارة العراق في العهد العثماني (بغداد: ١٩٩٢م) ص ١٤٣.

(١٥). البارون ماكس أوبنهايم، البدو، ترجمة مشيل كيلو ولخرون (لندن: ٢٠٠٤م) ص ٢٥٣.

(١٦). البارون ماكس أوبنهايم، رحلتي من البحر المتوسط إلى الخليج، ترجمة محمود كيبو (لندن: ٢٠٠٤م) ج ٢، ص ٨٢.

(١٧). مقابلة شخصية مع المرحوم الشهيد الشيخ شعلان منيف الفيصلي ٢٠٠٣م.

(١٨). الفريسي، مرجع سابق، ص ٥٣.

(١٩). البرادعي، مرجع سابق، ص ٢٩، المعاضدي، مرجع سابق، ح ١، ص ٣٢-٣٣.

(٢٠). من فنرائ الشعر الشعبي.

وقول الشاعر محمد بن ربيعة في الشيخ صفوك الجربا الذي قتل
غدرأ علم ١٨٤٧م:

الله يار كـب تكـلـل هميمه

عوجوا اركـاب الهـجـن يار كـب لمجـيم

لـبن الكـرام الهاشمـية الكـريمـة

يار كـب روحيـوا بالتحـيرة وتسـليم^(٢١)

وكان قبلهما الشريف محمد الحراث قد أشار في قصيدته التي قالها
بعد أن حارب عبدة ومن ثم باقي أباداد شمر في حدود عام ١٦٨٠م وانتصروا
عليه، ووقع في أسر شمر فعزز وكرم كما بينت لنا أبيات القصيدة التي سوف
نوردها كاملة فيما بعد، فيذكر فيها: صلة النسب بينه وبين الجربا وبعض من
أباداد شمر فقال:

ضيبي بني عمي مكارم لابتني

ارجوا على كبدي حاميات المخاطر

وحلف الشريف محمد الحراث أن لا يغزو ارض شمر بعد هذه المعركة مرة
أخرى وهم أهله وأبناء عمومته.

وهذا الرأي هو الأصل في نسب أهل هذا البيت العربي لما فيه من
صواب الأئمة التي يتقدمها قول الأشراف في إثبات صلة العمومة بهم وفي
مقدمتهم الديوان الهاشمي في الأردن، مضافا اليه ما يتمتع به آل الجربا من
احترام ومكتة لدى القبائل العربية. وعلى الأخص قبائل شمر ما يماثل
احترامهم لبني هاشم من السادة والأشراف أو يزيد^(٢٢)، ويؤكد مؤرخ العشائر
الشامية وصفي زكريا بقوله فيهم: "إن آل الجربا من الأصول الراسخة

(٢١). نفسه.

(٢٢). لاحظ الباحث هذا عند نجوله بين مناطق شمر فتي تقع في إقليم الجزيرة الفرتية.

والأمجاد الباذخة وذبوع الصيت وأتساع الملك والثروة والنفوذ وصدق
المواقف الوطنية^(٢٣).

ولآل الجربا أعراف وعادات لا نجد لها في الغالب ألا عند الهواشم من
قريش، خاصة عند آل علي بن أبي طالب (ع) عنهم. ومنها على سبيل
المثال لا الحصر: أن ليس للمحمدي دية إذ ما قتل، لأن مكانته النسبية الشريفة
لا يعوضها مال مهما كان حجمه^(٢٤)، وفي العرف السائد بين أفراد شمر أنه
إذا ما قام طفل صغير من آل محمد بضرب شمري فإن الأخير لا يجزؤ على
أن يرفع يده ويرد على الضربة^(٢٥)، كما أن في العادة أن آل محمد الجربا لا
يزوجون بناتهم خارج أهل هذا البيت وهو عرف قديم عند بني هاشم.



(٢٣). زكريا، مرجع سابق، ج ١، ص ١٨٩.

(٢٤). نفسه، ج ٢، ص ٦٢٩-٦٣٠.

(٢٥). لوينهايم، ليدو، ج ١، ص ٢٣٤.

في أرض الحجاز

في الجنوب الغربي لقارة آسيا استقرت الأرض التي عرفها العالم بشبه الجزيرة العربية جغرافيا وبلاد العرب تاريخياً، لقد خرجت عن هذه الأرض عبر حقب التاريخ موجات ثلج الموعات من القبائل العربية المهاجرة إلى العراق وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا. قسم الجغرافيون العرب القدامى أرض شبه الجزيرة العربية إلى ستة أقاليم (الحجاز، اليمن، حضرموت، عمان، الإحساء ونجد)^(٢٧).

سكن أجداد آل الجربا بيت الرئاسة على شمر إقليم الحجاز الذي يحتل الجزء الغربي من أرض شبه الجزيرة العربية^(٢٨)، ويعرف الجغرافيون العرب الحجاز بلقائها: الجبال الحاجزة بين الأرض العالية في الشرق (نجد) والسهل الواطئ في الغرب (تهامة)، وبناءً على ما تقدم فإن الحجاز تمتد من خليج العقبة شمالاً إلى عسير جنوباً، والسائد أن تهامة من ضمن أرضها^(٢٩). يبلغ طول هذا الإقليم من الشمال إلى الجنوب ٧٠٠ ميل، ومن الشرق إلى الغرب ٢٥٠ ميل^(٣٠)، وهو كثير الجبال والوديان والشعاب، واهم مدنه مكة المكرمة، المدينة المنورة، الطائف وينبع. وتعد مكة المكرمة أقدس بقعة على وجه الأرض لما خصها الله عز وجل عندما أمر نبيه إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ببناء الكعبة المشرفة على أرضها التي أصبحت (مأبى للناس وأماناً)^(٣١).

(٢٦). إسماعيل حقي جارشلي، أمراء مكة لمكرمة في العهد العثماني، ترجمة د خليل علي مراد (البصرة: ١٩٨٥) ص ٩.

(٢٧). نفسه.

(٢٨). نفسه.

(٢٩). الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب (بغداد: ١٩٨٩) ص ١٠.

(٣٠). القرآن الكريم، البقرة، آية ١٢٥.

سكنت قبيلة قريش العناتية هذه الأرض المباركة، واستطاع كبيرها قصي بن كلاب أن يجعل من قريش سيدة على القبائل العربية بلا منازع من خلال إشرافهم الكامل على رعاية الحجيج وخدمة البيت العتيق قبل الإسلام، لتسمو مكانتها بمبعث فخر الكائنات محمد بن عبد الله من بني هاشم أنبل بطون قريش، وبعد انتشار الإسلام وتوسع الدولة العربية الإسلامية خلال العصرين الراشدي والأموي، ونزوح الكثير من القبائل العربية إلى الأمصار، بقي من أحفاد علي بن أبي طالب (عليه السلام) من نسل ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) عنهما في مكة المكرمة ولم يغلدروها، ومنهم سلف آل محمد الجربا من نسل الحسن السبط (عليه السلام) الذين سنروي عنهم ما وفره لنا التأريخ المدون والخبري ما كان بالمستطاع جمعه وتدوينه من بين ثلثيا المصادر والمراجع. الذي سيكون لنا المدخل للوصول إلى التكوين الأولي لتجمع شمر الحالي ورئاسة أهل هذا البيت الكريم عليها، متوخين في بحثنا هذا استقراء ما دونته لنا المصادر التاريخية، متخذين من الموضوعية العلمية منهجاً في استخدام تلك النصوص المدونة هنا وهناك في هذه الكتب والمرويات.



تراث الجهاد

بعد ما قدمنا الآراء التي ذكرت عن نسب آل محمد الجربا سندخل في صلب نسبهم المدون، معتمدين في ذلك على ما لدى الأشراف في مكة المكرمة من سلسلة نسبية، وعلى ما قدمته لنا كتب التاريخ من أخبار، فضلاً عن ما أكتته الرواية الشفهية بعد إخضاعها للنقد الخبري الدقيق، ومبتدأ سلسلة آل محمد حسبما نراه أن يدون هو من:

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، توفي عام: ٤١ هـ/٦٦١ م.

الحسن السبط (عليه السلام)، توفي عام: ٤٩ هـ/٦٧٠ م.

الحسن المثنى، توفي عام: ٨٢ هـ/٧٠١ م.

عبد الله المحض، توفي عام: ١٤٥ هـ/٧٦٢ م.

موسى الجون، توفي عام: ١٨٠ هـ/٧٩٦ م.

يكنى أبا الحسن، وقيل أبا عبد الله، وهو أخو محمد ذو النفس الزكية وإبراهيم وأُمهم هي هند بنت عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن عبد المطلب^(٢١)، كان أسمر اللون فلقبته أمه بالجون، وكانت ترقصه وهو طفل وتقول:

إنك أن تكون جوناً أفزعاً يوشك أن تسودهم وتبرعاً^(٢٢)

عبد الله الشيخ الصالح، توفي عام: ٢٤٨ هـ/٨٦٢ م.

كان يلقب بلرضي صالحاً تقياً ورعاً

موسى الثاني، توفي عام: ٢٥٦ هـ/٨٧٠ م.

يكنى أبي عمرو، وكان زاهداً متعبداً ورعاً راوياً للحديث، مات

مسموماً

محمد الثالث، توفي عام: ٢٥٦ هـ/٨٧٠ م.

(٢١). ابن عنبه، عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب (النجف: ١٩٧٠م) ص ١٠٢.

(٢٢). البرادعي، مرجع سابق، ص ١٩.

وهو محمد الأكبر، لقب بالثائر لأنه خرج ثائراً على الخليفة المهدي بعد موت أبيه عام ٢٥٦ هـ / ٨٧١ م. وقد قتل في نفس السنة من قبل أحد القادة الأتراك وهو في طريق حمله إلى الخليفة المهدي^(٢٣) بعد أن خرج عليه عام ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م، ويكنى بأبي جعفر.

عبد الله الأكبر:

محمد المعروف بنعلب ويكنى بأبي جعفر:

عبد الله:

علي:

يكنى بابن السلمية لأن أمه بنت رجال السلمي.

سليمان.

الحسين.

عيسى.

عبد الكريم.

مطاعن.

إدريس. (٢٤)

أبو عزيز الشريف قتادة الأكبر، توفي عام: ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م.

ولد أبو عزيز بينبع ثم أصبح حاكماً عليها بعد أن كان هو وأهله ينزلون عند نهر الطقمة من وادي ينبع، وكانوا ظعنات بادية، فقام الشريف قتادة (النليغة) كما يسمى، جمع أهله وقومه من نوي مطاعن واركبهم الخيول وكانوا أهل حرب، واستطاع أن يدخل مكة ويأخذها من بني فليته أولاد عمومتهم عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م، ليسيطر بعد ذلك على كامل الجزء الغربي لشبه الجزيرة العربية واليمن، فضلاً عن نجد، بجيشه المكون من العرب والترك وكان ممن يعتقدون المذهب الزيدي.^(٢٥)

(٢٣). أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين (بيروت: ١٩٦٥ م) ص ٢٢٣.

(٢٤). البردعي، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٢٥). نفسه، ص ٢٧.

ووصفه المؤرخ القلقشندي قائل: "ملك مكة من يد الهواشم بعد أن ملك ينبع والصفراء...، لم يقدم على أحد من الخلفاء والملوك، وكان يتعاضم على الناصر لدين الله الخليفة العباسي ويقول: أنا أحق بالخلافة منه، وكتب إليه الناصر يستدعيه إليه في بعض المنين فكتب في جوابه هذه الأبيات:

بلادي وإن هانت عليك عزيزة	ولو أنني أعري بها وأجوع
ولي كف ضرغام لذل بيطشها	وأشري بها بين الوري وأبيع
تظل ملوك الأرض تلم ظهورها	وفي بطنها للمجدين ربيع
أجعلها تحت الرحى ثم ابتغي	خلاصاً لها إني إن لوضيع
ومما آتسا إلا المسك في كل بلدة	يفوح وأما عندهم فأضيع ^(٣٦)

توفي الشريف قتادة عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م.^(٣٧) وبقيت الإمارة على مكة في عقبه إلى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م عندما تنازل عنها الأمير علي بن الشريف الحسين إلى الملك عبد العزيز آل سعود.

علي الأكبر،

الحسن توفي عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م.

بقي أميراً على مكة من عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م ثم إلى عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م^(٣٨)، لقد حدث صراع مرير بين الأشراف والحكام الأيوبيين في اليمن، ومن ثم مع ممالك مصر حول إمارة الحجاز منذ عهد الحسن ومن أتى بعده، سفكت خلالها دماء غريرة، استطاع أشراف مكة الحسنيون من أحفاد قتادة أن يحافظوا على منصب إمارة مكة والحجاز في أيديهم.^(٣٩)

(٣٦). القلقشندي، قلند الجمال، ص ١٦٢.

(٣٧). زمباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في لتاريخ الإسلامي، ترجمة د زكي محمد حسن (بيروت: ١٩٨٠م) ص ٣١.

(٣٨). نفسه، ص ٣١.

(٣٩). جارثلي، مرجع سابق، ص ١٠٠.

والشريف الحسن يكنى بأبي سعد. ^(٤٠) وكان فلتكاً جريئاً شجاعاً، توفي مقتولاً من قبل أحد أبناء عمومته.

محمد أبو نمي الأكبر، توفي عام: ١٣٠٢هـ/١٧٠١م.

يكنى نجم الدين تولى إمارة مكة لفترات امتدت من عام ٦٥٢ إلى ٧٠١هـ/١٢٥٤ - ١٣٠٢م. وتوفي بعد أن ترك ٣٠ ولداً بين ذكرٍ وأنثى. ^(٤١)

ريمته، توفي عام: ١٣٤٥هـ/١٧٤٦م.

أبو المغيث، منجد ويلقب أسد الدين. تولى إمارة مكة لفترات امتدت من عام: ٧١٠ إلى ٧٤٦هـ/١٣٠٢ - ١٣٤٥م. ^(٤٢)

عجلان، توفي عام: ١٣٧٥هـ/١٧٧٧م.

عز الدين أبو سريع، تولى إمارة مكة بين عامي ٧٤٦ إلى ٧٧٧هـ/١٣٤٥ إلى ١٣٧٥م. كان مطاعاً مهلباً عند أهل مكة، قتل أخاه الشريف احمد في العراق فمنع الشريف عجلان الحاج العراقي من المجيء إلى مكة مع محملهم، فبقي الحجاج العراقي ٧ أعوام يقفون مع المحمل الشامي إلى مكة للحج، ثم أرسل الشريف عجلان إلى العراق بعد مراسلات جرت بينه وبين والي العراق أبو الحسن الجلاني ابنه الشريف الخرص وتم الصلح بين الشريف عجلان وأهل العراق، وعاد الشريف الخرص من العراق ومعه أموال عمه احمد التي له في العراق فعاد الحاج العراقي يأتي بمحملة إلى الحج. ^(٤٣)

لعل الشريف الخرص هذا هو جد الخرصة من شمر الذين خرجوا مع الشريف محمد الجربا من مكة، وهم اقرب البيوتات من شمر إلى آل محمد الجربا حتى أيامنا هذه. ^(٤٤)

(٤٠). لبرالدي، مرجع سابق، ص ٢٨، السيد أحمد ابن زيني دحلان، كراء البلد الحرم (بيروت: دون تاريخ) ص ٣٩-٤٢.

(٤١). زيباور، مرجع سابق، ص ٣١، دحلان، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٤٢). زيباور، مرجع سابق، ص ٣١.

(٤٣). ابن عنبه، مرجع سابق، ص ١٤٦-١٤٨، أحمد بن علي الدلودي الحسيني، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب (بيروت: دون تاريخ) ص ١٢٢.

(٤٤). هذا الرأي من استنتاج الباحث ولعله هو لصواب في نسب لخرصة من شمر.

الحسن، توفي عام: ٨٢٩هـ/١٤٢٦م.

تولى إمارة مكة من عام ٧٩٨ إلى ٨٢٩هـ/١٣٩٦ إلى ١٤٢٦م، وكنت ولاية مكة بعد موت عجلان قد تناقلت بين أبناء عجلان أحمد وعلي وأبناء عمومتهم، إلى أن جاء الشريف الحسن ودخل مكة عام ٨٢٩هـ/١٣٩٦م بعد مقتل أخيه علي.^(٤٥)

بركات، توفي عام: ٨٥٩هـ/١٤٥٥م.

كان على إمارة مكة بين عامي: ٨٠٩ إلى ٨٥٩هـ/١٤٠٦ إلى ١٤٥٥م، منفرداً ومشاركاً، وكان الشريف بركات أنيباً فاضلاً مثلاً بالطبع إلى العلماء والأخذ عنهم.^(٤٦)

محمد، توفي عام: ٩٠٣هـ/١٤٩٨م.

تولى الإمارة على مكة بين عامي: ٨٥٩ إلى ٩٠٣هـ/١٤٥٥ إلى ١٤٩٨م، كان جم الفضائل شريف الشمائل، مظهر العدل في الرعية، دانت له العباد واتسع ملكه وتصرفه في البلاد، ومن ذرية محمد بن بركات آل محمد وعدادهم في شمر ويعرفون بالجربا.^(٤٧)

وقد أكد السيد جمال الراوي الباحث المتخصص في الأنساب جليس السجادة الرفاعية ما بيناه من سلسلة نسب آل محمد الجربا، وأشار في بحثه المستفيض عن بعض انساب البيوتات العراقية ومنها بحثه عن نسب آل محمد الجربا إلى أن للشريف محمد الجربا أخ ثلثي اسمه حسن وهما من ذرية الشريف محمد بن بركات.^(٤٨)

بركات الثاني، توفي عام: ٩٣١هـ/١٥٢٥م.

(٤٥). الدلاوي، مرجع سابق، ص ١٢٢، دحلان، مرجع سابق، ص ٥٠ - ٥٤.

(٤٦). زمبابور، مرجع سابق، ص ٣٢، دحلان، مرجع سابق، ص ٦١.

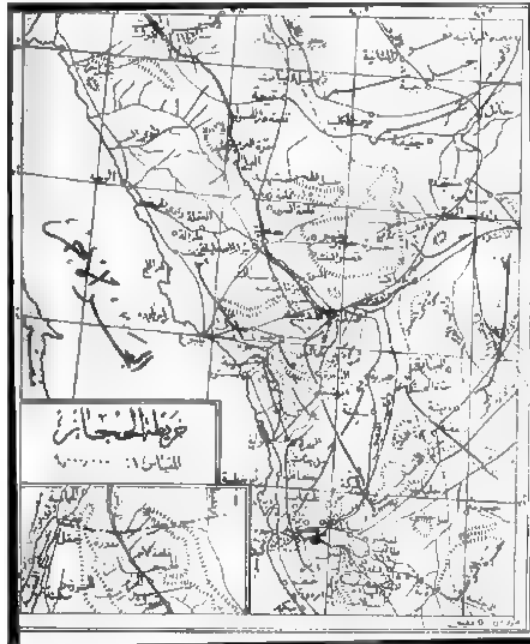
(٤٧). الفيلادعي، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٤٨). السيد جمال الراوي، بحث عن نسب بعض البيوتات العراقية، مخطوط قدم إلى

وزارة الثقافة والأعلام العراقية بتاريخ ١٧/٨/١٩٩٧م، لدينا صورة مصورة منه ورقة

٧-٦، كريم، مرجع سابق، ص ٣٣٠.

تولى الشريف بركات الثاني إمارة مكة مع أبيه، وبعد وفاة أبيه اشترك معه أخوته في حكم الإمارة، تخلله صراع وقتال مرير بينهم انتهى بوفاة آخر شريك له من بينهم قتيبي سنة ٩١٨ هـ/١٥١٢ م^(٤٩)، وكان خروج الشريف محمد الجريا عن مكة المكرمة وبداية مشيخة الجريا وتكوين شمر الحالية الذي تبلور كيائها على أيديهم خلال حكم الشريف بركات.



(٤٩). زمباور، مرجع سابق، ص ٣٢، جارشلي، مرجع سابق، ص ١٠١، البرادعي، مرجع سابق، ص ٢٩.

الشريف محمد الجربا وتكوين شعره الحمالي

الشريف محمد: الجد الأعلى للجربا بيت الرئاسة على شمر، الذي ينحدر نسبه من الشريف بركات^(٥٠)، عاش إلى ما بعد منتصف القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي بحسب التلملح الزمني لسلالة نسبه الشريفه، وعند البحث عن حياة هذا الشريف الحسيني الطوي الهاشمي القرشي لم تسعفنا المدونات المكتوبة بشيء عنه، فما استطعنا جمعه من أخبار كان منقولاً من خلال الروايات الشفهية المتناثرة التي أخضعناها للنقد والتحليل قبل أن تدون. خاصة أن أغلب الذين كتبو مع الشريف محمد ممن كانوا في سن يمكننا فيه أن نقبل بأخبارهم قد قتلوا مع الشريف الجربا في المعركة التي قتل فيها، لذا تنالت الأخبار عنه في فترة ضعف التدوين فيها بشكل كبير في بوادي شبه الجزيرة العربية^(٥١).

عاش الشريف محمد الجربا كباقي أفراد أسرته على أرض مكة المكرمة وفي تماس مباشر لما كان يجري فيها من أحداث، وكان الشريف من محبي حياة البداوة والعيش في الفلاة خارج مدينة مكة مبتعداً بذلك عن صخب عيشها وأخذت هذه الحياة من وقته الكثير، وكان إقليم نجد خلال تلك الفترة تابعاً للحجاز، وسكانه يدفعون الزكاة لشريف مكة وأميرها^(٥٢)، لأن نجد ومنذ العصور العباسية المتأخرة أصبحت خارج سيادة الدول العربية الإسلامية المتعاقبة.

إن القبائل العربية على أرض نجد مستقلة بشكل تام ولا تعرف سلطناً لحكم عربي سوى أشراف الحجاز أمراء مكة، الذين كانوا يعتبرون أرض نجد جزءاً من أملاكهم ويشنون بين فترة وأخرى الغزوات على قبائلها

(٥٠). البرادعي، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٥١). د محمد بن صالح العثيمين، نجد منذ القرن العاشر حتى ظهور شيوخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة الدعوة، الرياض، العدد ٤، لسنة ١، كانون الأول ١٩٧٥م، ص ٦٨،

د منير الحجيلاني، بلاد العربية السعودية (بيروت: دون تاريخ) ص ٦٠.

(٥٢). جارثلي، مرجع سابق، ص ١٠١-١٠٣، لظاهري، مرجع سابق، ص ٨٧.

لتحصيل الإتاوات، ولمعاقبة القبائل المتمردة على سلطان حكمهم وكذلك لتحصيل الزكاة من شيوخ نجد كجزء من واجبات الطاعة لأمراء مكة^(٥٦).

كما أن نجد كانت ملاذاً للكثير من أشراف مكة وأتباعهم الذين كانوا يدخلون في خصومات سياسية مع أولاد عمومته من الأشراف والسادات تصل في كثير من الأحيان إلى القتل المسلح بينهم، وعليه فإن قسماً من القبائل النجدية التي كان موطنها من نجد في شمال وادي الرمة على طريق الحج بين البصرة والمدينة وأبعد من ذلك جنوباً باتجاه اليمن^(٥٧) التي منها شمر أحد بطون العرب كما سماها القلقشندي منذ الربع الأول من القرن التاسع الهجري العاشر الميلادي ولم ينسبها إلى أي من القبائل العربية^(٥٨)، وكذلك ما ذكره صاحب كتاب جهان نامة من أن الجبل ملك لشمر التي اطلب بطونها من طي^(٥٩)، وكان سكناها عند جبل اجا^(٦٠) تأتي ارض الحجاز للرعي بالقرب من مكة أو للعمل فيها أثناء موسم الحج، فكان الشريف محمد الشاب الطموح إلى الوجاهة والرياسة، المحب للبدو والبدواة. يأتي إلى هذه القبائل ويمكث عند شيوخها طالما بقيت على ارض الحجاز بالقرب من مكة. ثم يعود بعد رحيلها إلى قصر الإمارة بعد أن يكون قد قضى عدة أشهر من السنة بينها في البادية

لقد حدث في إحدى السنين خلاف بين الشريف محمد الجربا وأخوته وأبناء عمومته في الغالب على منصب الإمارة لمكة المكرمة^(٦١) كما تناقلته الأخبار المروية مما دعاه هذا الحال في النهاية إلى ترك ارض مكة واتجه مع أخ وأخت له وخاصته ومن كان بجوار مكة ممن تبقى من بطن شمر ولم

(٥٣). محمد بن عمر الفاخري، تاريخ الفاخري، تحقيق د عبد الله بن يوسف الشبل

(لرياض: ١٩٨٩م) ص ١١-١٣.

(٥٤). مس بل، فصول من تأريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط، (بغداد: ١٩٧١م)، هامش ص ١٣٢.

(٥٥). القلقشندي، مرجع سابق، ص ٣٠٨.

(٥٦). أوبنهايم، فبدو، ج ١، ص ٢١٢.

(٥٧). نفسه، ج ١، ص ٢١٢.

(٥٨). أنظر جدول الإمارة عند زمباور، مرجع سابق، ص ٣١-٣٢، جارشلي، مرجع

سابق، ص ١٠٠-١٠١.

يرحل إلى شمال الحجاز ونزل ارض (الجرباء) التي تلفظ عند أهل نجد بلجربا أو جريبه^(٥٩)، والجرباء قرية صغيرة تقع ضمن ارض معان على الطريق الروماني القديم بين بصرى من ارض غسان والبحر الأحمر قرب جبل السراة الحجازية^(٦٠) ضمن ارض الجوف من شبه الجزيرة العربية^(٦١)، وعن هذه القرية جاء لقب الشريف محمد وال بيته فيما بعد بالجربا.

أما ما ذهبت إليه بعض الروايات من أن زوج الشريف محمد وآم ولده سالم لقبت بالجرباء^(٦٢) وفي رواية أخرى أن أم الشيخ فارس الذي دخل العراق من أحفاده كانت قد أصيبت بالجذري وبقيت آثار هذا المرض بادية على وجهها بعد شفائها بما يشبه الجرب فلقبت بالجرباء وتلقب آل بيتها بهذا اللقب عنها^(٦٣)، فالرواية الأولى التي قالت بأن زوج الشريف محمد وهي بنت شيخ قبائل الفضول المسمى وديد البيبي من آل جاسر^(٦٤) كانت آية في حسنها وجمالها لا تجاريها فتاة في حسنها إذا ما وقفت إلى جوارها فتحاشتها النساء ولقبتها بلجربا تقبيلاً لحسنها، وهذا الأسلوب موجود في تراث العرب اللغوي^(٦٥) وقاس من يؤمن بهذه الرواية على الجرباء بنت قسامة الطائية جدة محمد نو النفس الزكية لأمه بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) عنهم وأخو موسى الجون جد آل الجربا.^(٦٦)

هذه الروايات بعيدة عن الموضوعية إذ أن الذي لقب بلجربا هو محمد وليس فارساً ولدينا أسماء من شيوخ آل محمد قبل الشيخ فارس بأكثر

(٥٩). هكذا تلفظ عند شمر في العراق أيضاً.

(٦٠). مجموعة مؤلفين، دائرة لمعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشلتاوي وآخرون (لخاهة: ١٩٣٣م) ج ٦، ص ٣٢٩-٣٣٠.

(٦١). وهي الآن ضمن أراضي المملكة الأردنية الهاشمية..

(٦٢). عراق الفريسي لجربا، الموق في الأنساب (دمشق: ٢٠٠٤م) ج ١، ص ٥٠.

(٦٣). الظاهري، مرجع سابق، ص ٨٧-٨٨، عبد الجبار الروي، لبادية (بغداد: ١٩٤٧م)، ص ٩٩.

(٦٤). لجربا، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٠.

(٦٥). ابن منظور، لسان العرب (بيروت: ١٩٧٨م) ج ١، ص ٢٦٠، ذويب، مرجع سابق، ص ٤١.

(٦٦). الأصفهاني، مرجع سابق، ص ٣٢٢.

من ١٠٠ عام أشارت إليهم مصادر تاريخية قديمة^(٦٧) وهم عمار والموح الجربا فضلا عن مسلط الجربا الذي لا نعلم عنه سوى انه قتل عام ١١٠٤ هـ/١٦٩٢م في يوم مشهود على ارض نجد اقرن به مقتلته هو يوم البنوان^(٦٨) وكلهم يتلقبون بالجربا قبل الشيخ فارس مما ينفي رواية أم الشيخ فارس أو زوجته كلياً.

كما أن العرف السائد بين القبائل العربية أنهم لا يتلقبون بأسماء أمهاتهم في مسميات قبائلهم، ولكن ينتخون بأسماء النساء تعبيراً عن الرجولة والحمية، فكيف يقر لشريف هاشمي أن يتكفى بلقب زوجته خاصة وان هذا اللقب لا يدل على معنى جميل، فهذه الروايات قد جاءت حسب اعتقادنا كنتيجة حتمية لاتباع الزمن بين الشريف محمد الجربا وأحفاده وتناقل الروايات دونما تحييص، فضلاً عما تتصف به حياة البداوة من البساطة وتناقل الأخبار على علاتها.

عاش الشريف محمد في أرض الجرباء مع أتباعه ومن خرج معه من أرض مكة ممن عرفتهم قبائل شمر فيما بعد بالخرصة أحفاد الشريف الخرص بن عجلان كما نعتقد، مع زوجه وآم ولده سالم بنت الشيخ البيبي شيخ الفضول إحدى القبائل العربية العريقة في نجد، وذات السلطان الواسع على أرضها في ذلك الزمن^(٦٩)، والتي ترجع في نسبها إلى بني لام من طي وهي من حملات جبلي طي أجا وسلمى البارزة، وامتد سلطتها باتجاه المدينة المنورة ومشيختهم في آل جاسر من آل غزي، وأشهر بطونهم آل صلال فضلا عن آل غزي، الذين كتوا مستقرين في الجبل منذ القرن الرابع عشر الميلادي^(٧٠)، وقد تركوا أرض نجد والجبل واتجهوا إلى الشرق باتجاه بوادي

(٦٧). لحمد بن منقور، تاريخ لشيخ لحمد بن منقور (الرياض: ١٩٨٠م) ص ٦٩، عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد (الرياض: ١٩٨٠م) ج ١، ص ٩٩.

(٦٨). ابن منقور، مرجع سابق، ص ٦٩، الفاخري، مرجع سابق، ص ٨٥، عثمان بن بشر، مرجع سابق، ج ١، ص ٩٩.

(٦٩). جيمس بلي فريزر، رحلة فريزر إلى العراق، ترجمة جعفر خياط (بغداد: ١٩٦٤م) ص ١٣٦.

(٧٠). لوينهايم، ليدو، ج ١، ص ٢٣٦.

العراق في حدود عام ١٦٧٤م بعد تعدد النكبات والمجاعات التي لحقت بهم في نجد^(١).

كان زواج الشريف محمد الجربا من أم سالم الفضلية بعد أن استقر في الجرباء لأجل توطيد علاقته بالبادية النجدية وحملاتها، وليكون أكثر التصاقاً بالقبائل العربية المحيطة به كي يبعد عن مكة ومن فيها، وتلقب بالجربا الموضع الذي نزل فيه وجعله مستقراً له ولمن معه، واخذ في تكوين أحلاف وتجمعات قبلية جديدة على أرض الجزيرة العربية لأجل تقوية مركزه وسلطته في وجه أبناء عمومته حكام الحجاز وغيرهم من شيوخ القبائل العربية الأخرى، التي ما انفكت عن الاقتتال والتناحر فيما بينها لأجل الحصول على الأرض والكلاء والغنيمة.

لم يسلم الشريف محمد من الحروب والمنازعات القبلية التي كانت تسود أرض الجزيرة العربية على الرغم من تطرف المنطقة التي كان يسكن فيها، فقد أجبرته تحرشات القبائل العربية المجاورة له على الدخول في حروب معها دفاعاً عن أرضه وأتباعه، محافظاً على مكانته وشرف نسبه أمام الذين يحاولون النيل منه أو من أتباعه من شيوخ القبائل واستطاع أن يمد سلطانه بعد تحالفه مع الفضول إلى أجزاء واسعة من نجد مما جعل القبائل العربية الأخرى التي هي في عدااء مع الفضول أن تتحد مع بني خالد وتتجه نحو لشريف محمد الجربا ومن معه املاً في كسر القوة التي معه ويكون بذلك كسراً للفضول حلفائه من بني لام.

حدثت المواجهة بين الشريف محمد وبين هذا التحالف القوي الذي حاول فرض سلطانه على الجربا وآل غزي وأن تدفع لهم الزكاة، فرفض الشريف محمد الجربا ذلك بالطبع وهو الهاشمي القرشي، فحدثت معركة شرمة بين الطرفين كان من نتيجتها أن دفع الشريف محمد الجربا حياته ثمناً

(٧١). محمد بن حمد البسام، لدرر المفاهر في أخبار العرب الأواخر (بغداد: ١٩٨٩م) ص ٥٦، ابن منقور، مرجع سابق، ص ٥٧، عبد الرحمن بن زيد المغيرة، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب (قطر: دون تاريخ) ص ١٦١، عبد الله قبيلي، تاريخ نجد، ترجمة عمر الديري (بيروت: دون تاريخ) ص ٢٣، خلف بن حديد، قساب قبائل العرب (الكويت: دون تاريخ) ص ١٦٠، ١٧٨.

أرض نجر وجبل شمر

لعلنا قبل الحديث عن شمر ومشيجتها وتكوين هذا العنصر البشري المتجانس اجتماعياً علينا أن نتحدث عن الأرض التي نشأ عليها هذا الكيان والظروف البيئية التي خدمت تكوينه.

يعد إقليم نجد أكبر قسم من بلاد العرب إذ يشتمل على الهضبة الوسطى لشبه جزيرة العرب، أما حدود هذا الإقليم فلا يمكن أن نحدد بشكل واضح عبر التاريخ الطويل لهذه الأرض، ولكن يمكن أن تكون الحدود الحالية مجالاً للتحديد إذ أن إقليم نجد اليوم يشتمل على الأراضي الممتدة من قريات الملح شمالاً إلى وادي الدواسر جنوباً ومن الإحساء شرقاً إلى الحجاز غرباً^(٧٣). وفي هذا الإقليم كثير من الأودية أهمها وادي حنيفة الذي يعد أكبر أودية شبه الجزيرة العربية ووادي الرمة الذي يبدأ قريباً من المدينة المنورة ماراً بالقصيم ومتجهاً نحو الشمال^(٧٤).

تمتد هضبة نجد التي تعني لغة الأرض الصلبة أو المشرفة منها بين خطي ٢٣. ٥ شمالاً و ٥١. ٤٧ درجة شرقاً وهذا يعني أنها تقع في النطاق الصحراوي الجاف وضمن منطقة الضغط المرتفع المداري شتاءً، ولهذا يتميز مناخها بالجفاف على مدار السنة وبارتفاع درجة الحرارة خاصة في فصل الصيف وأمطارها محلية قليلة ولا تشتمل على كل مناطقها إذا ما سقطت^(٧٥). وأشهر مناطق نجد من الجنوب إلى الشمال وادي الدواسر، الأحلاف، الحريق، الخرج، العارض القصيم، الوشم، جبل شمر، الجوف، قريات الملح،

(٧٣). حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين (القاهرة: دون تاريخ) ص ٤١.

(٧٤). د. عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى (القاهرة: ١٩٦٩م) ص ٦٩.

(٧٥). صالح بن علي الحبيري، موقف الدولة العثمانية من الدولة السعودية الأولى،

١٧٩٨-١٨١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب،

(الموصل: ١٩٩٦م) ص ١٥.

وامتداد هذا الإقليم من الشمال إلى الجنوب نحو ٨٠٠ ميل وعرضه من الغرب إلى الشرق أي من الوشج إلى سدير نحو ٢٢٠ ميلاً.^(٧٦)

يعد جبل شمر الذي يحتل المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية من نجد والذي يعرف فيما سبق الحرب العالمية الأولى بأمانة آل رشيد التي كانت عاصمتها حائل. الموطن الذي نزلته وسكنته قبائل شمر بعد أن كان هذا الإقليم لقبيلة طي العربية التي اشتهرت في التاريخ قبل الإسلام وبعده بجبليها أجا وسلمى، أما جبل شمر فهو السهل الواسع الممتد بين جبلي أجا وسلمى ويبلغ طول هذا الإقليم ٥ مراحل وعرضه مساوي لطوله وهذا يساوي ١٢ فرسخاً^(٧٧) وفي شعاب هذين الجبلين والوادي الفسيح بينهما منابع وفيرة للمياه تحت طبقات الرمال والصخور فضلاً عن الخصوبة العالية التي تتمتع بها تربة هذا الإقليم من أرض نجد^(٧٨)، لذا فإن أهل نجد يطلقون على هذا الإقليم (شام نجد)^(٧٩).

تحدثت المصادر التاريخية كثيراً عن طي القبيلة العربية القحطانية ونزوحها من اليمن والسكن في هذا الإقليم، وأضحى جبلاً أجا وسلمى يطلق عليهما قبل تمكن شمر من هذا الإقليم بجبلي طي، إلى أن حلت شمر بقبائلها في هذا الإقليم وغلبت عليه، أتت أول إشارة عن تواجد شمر على أرض نجد في قرية توارن من قرى جبل أجا التي هي لبني شمر بن زهير من طي عند ياقوت الحموي في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي^(٨٠) ولعل هذا هو الأصل الذي يربط شمر بطي الذي اخذ به العديد من الكتاب في أن شمر من طي، وهو في الواقع تعميم واسع لأنه لا يشمل إلا جزءاً من بطن شمر الذي يعود في جذوره إلى طي. وشمر أوسع من ذلك في التكوين.

(٧٦). وهبة، جزيرة العرب، ص ٤١.

(٧٧). مؤلف مجهول، لمع الشهاب (القاهرة: ١٩٦٧م)، ص ١٤٢.

(٧٨). وهبة، جزيرة العرب، ص ٤١.

(٧٩). مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص ١٤٢.

(٨٠). ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: ١٩٦٥م) ح ١، ص ٩٥-٩٩.

ثم اخذ هذا الاسم يتسع في معناه حتى أضحي في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي يطلق على بطون من بطون العرب في الجبلين ليس له ارتباط بغيره من القبائل العربية كما قال ذلك الفقهندي: ولم ينسبهم إلى أي من القبائل الأخرى، بل عد شمر كياناً قلماً بذاته في الجبلين^(٨١)، أي أصبحت شمر كتلة عشائرية قائمة بذاتها في منطقة الجبل انضوت تحت القيادة التي سوف تجعل منها تجمعاً قلمياً سجل تاريخاً حافلاً بالأحداث على أرض الجبل ونجد، ثم على أرض الجزيرة الفراتية لأكثر من أربعة قرون.

إذن فإن شمر، هذا الكيان القبلي قد مر بعدة مراحل في تكوين كيانه في منطقة شبه متحضرة ألا وهي جبل شمر، لأنها تقع على طريق الحج العراقي. وكنت قريتا فيد وسميراء من قرى الجبل فضلاً عن حائل بمثابة منازل للحجاج العراقيين عبر تاريخها العربي الإسلامي^(٨٢)، ويصف لنا أحد الحجاج المارين في هذا الطريق في بدايات القرن السابع عشر بقوله: وآتينا على جبل شمر والكل من أنيل الانشراح شمر، وهناك قرية تسمى حائل ذات نخيل وأشجار، وعيون وآبار، وطيور وأزهار، وبساتين واسعة وثمار. كأنها روضة من رياض الجنان، فيها من كل فاكهة زوجان، وأهلها أعراب كرام شمل كرمهم الخاص والعام. لم نلق فيهم غير شجاع عظيم وجواد كريم.^(٨٣)

لقد أنشأ الشمامسة حصوناً لهم في الجبلين هي شمر الذي يشير أحد الباحثين إلى أن شمر الحالية جاءت تسميتها بشمر نتيجة بناء هذا الحصن حيث أنه بعد أن اكتمل بناءه وظهر صرحه تنادى الأفراد الذين بنوه بينهم شمر الحصن شمر بمعنى ظهر وبان، فسموا أهل شمر وغلبت التسمية عليهم^(٨٤) أي على الجبلين أجا وسلمى فسميا جبل شمر تيمناً بهذا الحصن،

(٨١). الفقهندي، نهاية الأرب، ص ٣٠٨.

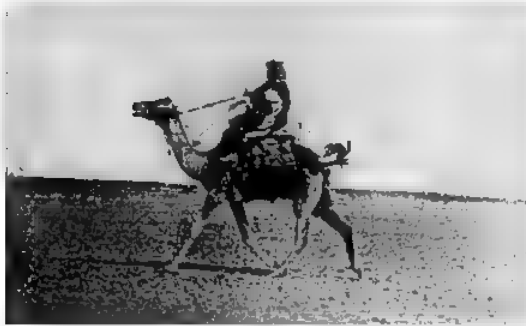
(٨٢). محمد بن أحمد بن جببر، رحلة ابن جببر (بيروت: ١٩٨٥م) ص ١٥٠، محمد بن عبد الله بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (بيروت: ١٩٦٨م) ص ١٦٩-١٧٠.

(٨٣). عباس بن علي لمكي الحسيني، نزهة الجليس (فلسطينية: ١٨٧٦م) ص ٦١.

(٨٤). سليمان الحذيل، القول السديد في إمارة الرشيد، مخطوط في المركز الوطني للمخطوطات، بغداد، تحت رقم ١٣٤٤، ورقة ٦.

وكذلك حصنا حوشان وشممان وعقدة^(٨٥) فضلا عن استخدامهم حصن مناع الذي كان موجوداً أصلاً في جبل أجأ.^(٨٦)

ونتيجة لكثرة هذه الحصون ومنعتها فقد لقب أهل الجبل ومن ثم الجربا بالعصاة لمنعة هذه الحصون وشدة بلاء رجالها، لتأتي أول إشارة إلى أن الشامرة قد أنشأوا قرى صغيرة خارج جبل شمر، فقد أنشأ عبد الله الشمري من آل جبار من عبدة قرية المجمة عام ٨٢٥هـ / ١٤٢٢م وتسمى أبنائه فيها بأل سيف^(٨٧)، وهي أول القرى التي أنشأها الشامرة خارج جبل شمر بعد استقرار عبدة في الجبل الذي كانت تسكنه قبل هذا التاريخ بزمان، لتتحول هذه القرية فيما بعد إلى مدينة المجمة الحالية الموجودة في المملكة العربية السعودية.



(٨٥). ابن بشر، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٠، فهد الطلي العريفي، لمحات عن منطقة حائل (الرياض: ١٩٨٠م) ص ٢٣، ٦٣.

(٨٦). العريفي، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٨٧). عبد الله البسام، علماء نجد خلال خمسة قرون (الرياض: ١٩٨٢م) ج ١، ص ١٣٤، ج ٢، ص ٥٠٥، محمد بن عثمان لقاضي، روضة الناظرين (الرياض: ١٩٨٠م)، ص ٧، للشيخ محمد بن إدريس، المجمة بين الغابر والحاضر، مجلة الدارة، العدد ١، تموز ١٩٨٢م، ص ١٨٧.

أشراف مكة وجبل شمر

إن الأشراف عقب الشريف محمد كانوا على اتصال مع البدايات الأولى للتكوين الحالي لشمر ورجالاتها، وكثيراً منهم من حاول أن يغزو الجبل أو التجاء أو اجبر على الذهاب إلى الجبل مع خاصته ومن معه من أتباع إذا ما دخل في خصومة مع أقربائه في مكة، ولعل الشريف إدريس هو أحدهم إذ ترك مكة مع حاشيته ورجاله بعد خصومة طويلة على منصب الأمانة مع أبناء عومته وسكن جبل ياطب قرب حائل حتى وفاته عام ١٦٠٢م^(٨٨) وكانت قبل ذلك معركة الفريش في ذي القعدة من عام ٩٦٣ هـ المصادف لشهر تشرين الثاني من عام ١٥٥٦م، التي أرخها الشريف العصامي المكي في كتابه سمط النجوم العوالي.

حدثت هذه المعركة نتيجة لخلاف وقع بين الأشراف أنفسهم عندما منع السيد متع الحسيني أمير المدينة المنورة الهدايا والأموال السنوية التي كان يعطيها أسلافه من سادات المدينة المنورة إلى بعض عوائل الأشراف وهم: آل حسين وآل نعيم وآل جماز الساكنين منطقة جبل شمر، وإلى الأعراب من الضفير وعزة وغيرهم، مما اضطر هؤلاء الأشراف والعربان أن يكونوا حلفاء بينهم وقاموا باعتراض الحجيج المندني القادم إلى مكة في أرض الفريش بين مكة والمدينة، وقاد تحالف العربان ولأشراف هذا أبو ذراع أحد شيوخ الضفير، وكان في موكب الحجيج قاضي المدينة المنورة عبد الرحمن أفندي، وقامت هذه الجموع بالاعتداء على القافلة ونهب أموالها عام ٩٦٣ هـ/١٥٥٦م. ثم أن القاضي تدخل وتعهّد للأشراف ومن معهم من العربان أن يمتدّد إليهم أعطيّاتهم فكفوا عن التعرّض لركب الحجيج، وواصل الركب إلى مكة ثم انقضت مناسك الحج فقام الشريف حسن بن أبي نمي شريف مكة وأميرها بتجهيز العساكر للحاق بعرب الضفير وعزة التي يقودها أبو ذراع

(٨٨). ابن مقل، العقود لدرية، مخطوط في المركز الوطني للمخطوطات، بغداد، تحت رقم ٣٣٢٤١، ج ١، ورقة ٦، ابن بشر، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٣، ثيايبي، مرجع سابق، ص ٧-٨.

ومن معهم من الأشراف من آل حسين وآل نعيم وآل جماز فشمروا نحو جبل شمر وتحصنوا في حصن شمر وباقي الحصون في أعلي جبل أجا واستطاع الشريف حسن أن يشتت شملهم ويهدم هذه الحصون ومنها حصن شمر الذي كان من امنع حصونهم، ثم ساق أعدادا منهم أسرى في حين التجأ الحديد من الأشراف المتمردين ممن ذكرناهم واختفوا بين قرى جبل شمر وبقوا هنالك^(٨٩). حتى أن الشريف البرادعي عندما يأتي على ذكر بعض الأشراف في مؤلفه يقول عنهم أنهم تاهوا في البادية وانقطع خبرهم^(٩٠)، وثمة إشارة تقول أن الأشراف ذوو حسين هم إلى الآن مع الضفير وهم أفخاذ عديدون ورئيسهم ابن مرشد^(٩١)، كما أن قسما من حمائل شمر في سنجارة وزوبع ترجع جذور أنسابها إلى الأشراف في مكة والمدينة المنورة.

ومنذ عهد الشريف سلم بن محمد الجربا أطلق أسم شمر ليس فقط على هذا التجمع القبلي بل على الأرض التي تسكنها فسميت بأرض شمر^(٩٢) أو جبل شمر، وقد شغل أهلها كلاً من عرنان ومسمع وهكران ورمسان بالإضافة إلى أجا وسلمي وحائل ومناطق أخرى من أرض هذا الإقليم الذي كان يشتمل على ١٩ قرية، وزكاته التي جباها جيش محمد علي باشا عندما احتل هذه الأرض كانت ١٢٥ أردياً من القمح في السنة^(٩٣).

(٨٩). العصامي، سبط النجوم العوالي (القاهرة: ١٩٦١م) ج١ ص ٣٦٥-٣٦٧.

(٩٠). البرادعي، مرجع سابق، ١٩، ٢٣، ٥٧-٥٨.

(٩١). قطب، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٩٢). مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٣، ص ٣٧٠.

(٩٣). نفسه، حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية (الرياض: ١٩٨٤م)

لقسم واحد، ص ٤٠٦، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، من وثائق شبه الجزيرة

العربية في عصر محمد علي، (قطر: ١٩٨٢م)، ج ١، ص ٦٣٠-٦٣١.

الشيخ سالم وبناء وحرة شمر

لم يكن أمام زوج الجربا بعد مقتله إلا أن عادت مع ولدها الوحيد الشيخ سالم إلى أهلها الفضول الذين كانوا يسكنون في منطقة جبل أجا مع بعض من تبعها من رجال الجربا، في حين بقي ما تبقى منهم مع أخته في الجربا، لينشاء الشيخ سالم عند أخواله الفضول بين عشائهم على أرض نجد عند جبل أجا فارساً من فرسان العرب، مثبتاً أنه ابن الجربا في الفروسية والسخاء. حتى أن شباب قبيلة أخواله اخذوا في الغيرة منه، واشتعلت نار الحسد فيهم لما آل إليه حال سالم من الوجاهة وطيب الحال، وهو لا يعرف أباً له غير جده وديد البببي شيخ الفضول، لأن أمه لم تعرفه بنسبه ولا بأهله، وهو على هذا الحال كان يطالب بحصة العقيد في الغزو. ^(٩٤) فاستغل شباب الفضول من حصاد سلم هذا الموقف منه فعرفوه أنه ليس بأبن شيخ القبيلة، بل هو جده أبو أمه فليس له الحق في طلب العقادة لأنه ليس من صلب هذه القبيلة، وعندها عاد الشريف سالم إلى أمه مهموم الحال مما سمعه وحلف أمه أن تخبره بحقيقة الأمر، فعرفته نسبه وما آل إليه حال أبيه وأخبرته عن مكان أرض الجرباء التي تركتها وفيها بعض أتباع أبيه.

ترك سالم الجربا أرض نجد شاداً الرحال إلى الجرباء باحثاً عن عرب والده ومن تبقى من أهل بيته، وعند وصوله إليها لم يجد في منازل والده إلا عدداً قليلاً من البيوت الهزيلة يسكنها أناس قليلون فقراء الحال، فسال عن بيت والده فدلوه على بيت متعب كان مسكوناً من قبل امرأة في الكهولة من عمرها، فجاء وعرفها من يكون، فقامت واحتضنته ثم أرخت رحله في بيت والده ليعلم من عمته عن كامل القصة التي عاش أحداثها والده، وما آل إليه حال عربيه بعد مقتله من ضنك العيش وقرر حال.

عندها صمم الشريف سالم على إعادة مجد أبيه وعربيه، ويأخذ بثأرهم ممن غزاهم ونجح أباه، فجمع الشيخ سالم من اليافعين ممن هم قريبي

(٩٤). قائد الفرسان وشجاعهم، وأروية معروفة لدى شمر والفضول.

من البلوغ من عرب أبيه، ومن التحق به من شباب القبائل العربية التي كانت تنزل أرض الجرباء واتجه بهم إلى أرض نجد. تلك الأرض التي نشأ عليها وعرف أهلها، وفيها صحب أبيه من شمر وأخواله الفضول، فزول (جنيطه) من أرض نجد في واد تحيط به التلال من ثلاث جهات، ويسمى مثل هذا الموضع عند أهل نجد (بالريع) فسمي هذا الريع اثر نزول سالم فيه بريع سالم، واخذ الفارس الشاب يحث الشباب الذين أتى بهم على تعلم الفروسية واستعمال السلاح مستعيناً بأحطاب شجر الصحراء بمثابة رماح وسيوف لتدريبهم، ومع تزايد في أعداد أتباعه لالتحاق أعداد من شباب شمر والقبائل الأخرى المجاورة للريع في السكنى به حتى استطاع بعد مدة من الزمن تكوين قوة لا يستهان بها من الشباب المدرب القادر على حمل السلاح المتقن لفنون الفروسية العربية.

ظهر سالم بقوته على أرض نجد والجبل. واخذ في بسط سلطانه وإظهار قوته، وعاقب من أساء إليه بأن أحرق عددا من بيوت الفضول، لكنه لم يمس إلى أخواله إذ انه منع أتباعه من الاقتراب من بيوتهم واخذ يردد (بيت الصلال لا تأكله النار)، وألقت أعداد أكبر من القبائل العربية الساكنة في الجبل حوله، فتلور كيان شمر واستطاع بهم ومن التحق بهم من الفضول وأفراد من القبائل الأخرى التي كانت نازلة أرض الجبل وما حوله من بقايا طي أن يحقق الزعامة له على أرض نجد، وينهي نفوذ أخواله الفضول. وأضحى الشريف سالم الجربا شيخاً لما عرف اليوم بشمر في نجد، وخاض العديد من الغزوات كان الهدف منها تقوية سلطته والقضاء على من حاول النيل من زعامته أو من شمر التي تزعمها بكياتها الذي تبلور وتماسك على يديه.

بعد وفاة الشيخ سالم تعاقب على مشيخة شمر بقبائلها أولاده وأحفاده من آل الجربا الذين لم يصلنا الكثير عنهم، ولذلك تعد هذه الحقبة الزمنية من أشد فترات تأريخ آل محمد الجربا غموضاً حتى نصل إلى الحميدي الأمسح. بحيث أنه بعد هذا الشيخ تكون الصورة واضحة للبيان، وتتوافد المعلومات التاريخية بغزارة، وفي اعتقادنا أن سبب قلة المعلومات هو فقدان التأريخ المدون في نجد خلال هذه الفترة، فضلاً عن حياة البداوة التي عاشتها شمر

وآل محمد، وهذوء الأحوال السياسية على أرض نجد حدا بالتأريخ الخبري المنقول شفاها أو المدون نسيان أخبارهم، خاصة وأن نجد عاشت لقرون طويلة بعد سقوط الدولة العباسية بعيدة عن مراكز الحضارة، وبقيت أحداث التاريخ على أرضها محصورة بين أفرادها، ولم يجد من كان يجيد التدوين الحاجة إلى كتابتها خاصة وأن الذهن البشري على هذه الأرض كان صافيا يحفظ الأحداث فلم يكن هنالك حاجة للتدوين، وما سوف يذكر عن الجربا هو في الواقع ما تم الحصول عليه من معلومات ضمن ما يعرف بالتاريخ الشفوي الذي انتشر بشكل واسع على أرض شبه الجزيرة العربية، وربما يضاف إليها في المستقبل ما يكشف عن غموض قسم منه^(٩٥)، خلف الشيخ سالماً على مشيخة شمر ابنه:

الشيخ سيف:

وصلتنا معلومات جد قليلة عن هذا الشيخ، ويعرف اسمه الكثير من شمر، إذ أن فترة قيادته لشمر كانت ضمن فترة الضعف في التدوين التاريخي التي كانت سائدة على أرض نجد والجبل، وقد ذكر القصيد البحدوي الشيخ سيف، ومن ذلك قول ابن رمان متوجعا على رحيل شمر مع الشيخ مطلق الجربا عن الجبل فيشير إلى الشيخ سيف فيقول:

يتلون فتخان الأيادي الكراما اللي انقلوا على كل القبائل بالأمداح
عبدال شيوخ تلتبهم أفهاما أولاد سيف مروية عطط الرماح^(٩٦)

(٩٥). الفاخري، مرجع سابق، ص ١٩-٢٤.

(٩٦). من التراث الشعري الشمرى.

خلف الشيخ سيفاً على رناسة شمر ابنه:

الشيخ سيح:

تحدث عنه بنزر التاريخ البدوي بشقيه الخبري والمدون، وذكر تلقب آل محمد في نجد به فسموا بالسيحة^(٩٧) تيمناً بعلو منزلة هذا الشيخ وقوة وشكيمته في قيادة لشمر، ترك المشيخة من بعده لابنه:

الشيخ مشعل:

هو ابن الشيخ سيح وآل الجربا ينتخون به. إذ أنهم إذا ما أرادوا الإنتخاء أو التفاخر في عمل مشرف قالوا (حرشه وأنا ابن مشعل، دونك راعي البويضة ولد الشيخ)^(٩٨)، وهذا أن دل على شيء فليما يدل على أن للشيخ مشعل عمل مشهود قام به على أرض نجد ترك أثراً باقياً لدى أهله وأبناء عمومته، جطه محل تقديرهم وإكرامهم بحيث أصبحوا ينتخون باسمه خاصة في الغزوات عند الطعن بالرمح أو السيف. وبالرغم من أن التاريخ البدوي لم يحفظ لنا ما قام به الشيخ مشعل من جليل الأعمال لأهله الجربا خاصة ولعموم شمر عامة، سوى أن الشيخ مشعل يعتبر نتيجة لهذه المكثاة والاحترام المؤسس الثاني بعد الشيخ سالم في تكوين قبائل شمر.

ما يروى عن الشيخ مشعل أنه أول من وضع المحجان العلامة المميزة التي اتخذها آل الجربا لوسم إبلهم، ولم يكن موجوداً لديهم قبل الشيخ مشعل، وأصبحت شمر نجد تسم به على الفخذ الأيسر للأبل، والثاني على الذراع الأيسر^(٩٩)، وأن النوق الحرش أي التي تقطع المسافات البعيدة لقوة أجسادها كان الشيخ مشعل قد غنمها في إحدى غزواته، وكان معه فيها حمود الرويسي من الزرعة من سنجارة في أرض معان شمال النفود، وهذا يدل

(٩٧). المغبري، مرجع سابق، ص ١٣٩، قطب، مرجع سابق، ص ١٤٩.

(٩٨). هذه هي نخوة آل محمد الجربا.

(٩٩). محمد رفعت باشا، مرآة الحرمين (القاهرة: ١٩٢٥م) ص ١٠٤، ولرواية مشهورة بين

قبائل شمر.

على أن شمر تحت قيادة الشيخ مشعل استطاعت أن تتحرك في مناطق واسعة شمل شبه الجزيرة، وأصبحت قوة مؤثرة في هذا الإقليم.

الشيخ مانع:

كان للشيخ مانع ما كان لأبيه من المكانة والسؤدد لدى شمر قاطبة وعند آل بيته الجربا خاصة، بحيث أنهم كفوا من ضمن ما يطلق عليهم من ألقاب المانع تيمناً بهذا الشيخ الكريم الجواد. الذي لم يغفل عنه القصيد البدوي، فقد أشار الشاعر عايد الزميلي في أبيات له إلى الشيخ مانع عند مدحه لأحد أحفاده بقوله: (١٠٠)

سهرت أنا وكل العباد أرقود	قال الزميلي والزميلي عايد
حالوا شمال وهفوا النفود	على السيف من حرب الشريف سندوا
الماتعي بعسر السنين أجود	يتلون ابن صلال ولد محمد
ومن حايين مشيه مع أول الذود	يلما نبح من جملة النيب فاطر
خريصات ومعهم سرية العامود	خريصات مقوى صبركم اليا ابتليتوا
ولد الفوارى والحشاش حمود	ينحون خيل الضد عن إقطاع ربههم
خذوا الملوكة وأجن الأصايل فود	الحمد لله ما نقول بنوهم



المحجان وسم ابن الجربا (١٠٠)

(١٠٠). من التراث الشعري الشمرى.

(١٠١). لوبنهايم، ليدو، ج ١، ص ٢٥٩.

وقول الحسيني دابيس الهكاز في ضعائنه في وصفه للمحمد بالمتع:

أنا قلنتها بالعصاة المتاع (التي ركضاتهم على العدو دمل)^(١٠٢)

وابن صلال الذي ذكره الزميلي حدثت في أيامه معركة أو كما يطلق عليها البدو (مناخة) بين الشريف الهاشمي محمد الحارث بن أبي نمي أحد أمراء الحجاز، الذي غزى بوادي نجد وجبل شمر واستطاع أن يكسر العديد من القبائل العربية ومنها الضفير التي هزمت في مناخ الضلفة من قبله وأنزلهم عن جبل سلمى الذي كانوا يسكنون فيه ^(١٠٣)، وبين عبدة من قبائل شمر استمرت ثلاثة أشهر، كاد النصر فيها أن يكون لأمير الحجاز لولا نصرت الزوبعية من قبائل شمر التي آتت من مكان بعيد، ربما يكونون أتوا من بداية العراق الجنوبية من القبائل الشمرية التي هاجرت إلى العراق قبل الشيخ مطلق الجرباء، إذ أن ثمة إشارات تفيد أن قسماً من قبائل شمر كان موجوداً في جنوب العراق منذ عام ١٦٤٠م، ودخلت المعركة مباشرة، ومن هنا جاءت تسمية شمر بالطنايا، لأن الذين أتوا لنصرت عبدة ضد الشريف رفضوا أن يرتاحوا من عناء السفر ويأكلوا الطعام، بل أصروا على دخول القتال، فطنوا عن الزاد ونصروا عبدة وحسموا المعركة لصالح شمر.

لقد حدثت هذه المعركة في حدود العام ١٦٨٠م ^(١٠٤) غربي حائل قرب موقع من قرى شمر، وفيها غنمت شمر الخيول الأصائل الموسومة بوسم الشريف محمد وهي: الحمدانية سمري، الهدباء، اعبية، آدماء، عامر الجلالة، الكحيلة (الشيخة) والظبي، وهي في الحقيقة من نسل الخيول العربية الخمسة التي منها تناسلت كل الخيول العربية الأصيلة لدى شمر وباقي القبائل العربية إلى أيامنا هذه ^(١٠٥).

وصف لنا الأمير الهاشمي محمد الحارث المعركة وصفاً دقيقاً وما آل إليه حاله بعد أن هزم من قبل شمر ووقع هو ومن معه في الأسر، ثم أكرم

(١٠٢). نفسه

(١٠٣). ابن منقر، مرجع سابق، ص ٥٥-٥٦، ابن بشر، مرجع سابق، ج ١، ص ٧٧.

(١٠٤). د عبد الله الصالح العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد (لرياض: ١٩٩١) ص ٣٢-٣٤.

(١٠٥). لوينهايم، رحلتي، ج ٢، ص ١٣٦، مجلة الصناديد، بيروت، ١٩٩٨م، السنة ١، العدد ١، ص ٣٤.

لمكانته الشريفة من قبل شمر وأولاد عمومته الجرباء، وأطلق سراحه وحلف لهم أنه لن يعاود غزوهم ثانية في قصيبته التي قل فيها:

لمعه تلهل من شفا الرأس حابر
من البدو الحضرو اللبس زينين المصادر
حلتنا وختينا بيدلر النواسر
كره ملاقاتنا وسند النير ناير
صملان أهلها عقب البلال غاير
وكفوا وعرفوا بها حمران النواظر
وختينا الحوض الملبان خاير
ما نبر المولى على العبد صاير
اكرام الحيا ايام حر المساعر
بالتلعة الليا حصاها جفاشر
كما دغلوبن نش عنه المغاير
كبن يلاوي صرعهن كل ناير
يطيرن ريغان العجاج الجابر
تسمع زغاريت البنات الجواهر
وان صدروهن كالفقاح الصوادر
مثل حقوق المزن من فوق ماطر
وايدين بيص تقطعن بحد شاطر
هذا يوردها وهذا صاير
وخذوا نوادي الخيل والعج ناير
وحنا على الطوعات والكون عامر
من دور العيلات هذاك عاير
يشيب به المالود وياجي التذاكر
وانا على ما قدر الله صاير
وصارت علينا من كبار الكساير
هشيم طلع جابه السيل حابر
خلي عجاج الخيل عدا الجواسر
يا الله يا قانر على كل قانر
الياما هفا حدر السيوف الشواظر
يا بيص يا فرز الوغي يا آيو شاكر
وغدت سروج الخيل مثل البواخر

يميل عين للشريف محمد
خذينا الخيل من العلا آليا اشتهن
وجرينا السبايا من الطاييف والحرم
هزنا ابن حميد وعنا تحي
وخذينا بوادي النير والصكور عزيه
وجينا على بعض القبايل وأبحوا
وغرنا على طرش للسويطات بالحفر
وهزنا بالمسير على ديار شمر
الينا بالديرة اللي اسمها بأسم أهلها
مناخنا لعبد تسعين ليلة
سنا عيس من الهوش كملوا
الياما لفونا زوبعن فوق ضمير
من فوق كل سهل وكل اشمزة
وجتنا الجحافل من تالغ والحفر
اليا وردهن كالغروب الورد
ونشوف ضرب سيوفهم بظهورنا
خلوا بتالينا وانقاد جمعا
صكوا علينا بسربتين تذونا
صاحوا علينا صيحتن تنثر الدما
خذوا نوادي خيلنا وأكرشوا بنا
الخيال بالفرسان قلمت تذونا
صاحوا علينا صيحة ترمل النسا
علنا عليهم عيلتن من خطانا
وتجاولنا بالجموع بطراف موقق
وانشوف جدع الخيل منا ومنهم
وجانا اصبي لا طال عمره
وقمنا ننخي كل كرم لمجرب
ونخينا بيص وين ابن عشية
قلت يا بيص يا بيص لتحى الخيل عنا
ورد عليهم بيص واحمر السما

بشلقا تُلظا بين الضلوع شاطر
تمره القطعان اليا ألفت صوائر
ممشاة ليلة قدرها بالأكابر
عياض وحوشان ومحمي الخيل ناصر
غريبي بزاجة لا سقتها الأقطر
أشراف فروع القبايل مصائر
أركوا على كبدي حاميات المخاطر
ترى حالات العلم ياتي مبائر
الراس من كثر الهواجيس سائر
مار الله اللي قدر الأمر قائر
كود نتواجه عند رب العقائر
يذكر فقولن ماضين له بوائر
اعداد ما كبر بروس المناير^(١٠٦)

وتلقاه أخو شلوى^(١٠٦) وأعطيه
وتركنا بيص بريع المغنى
اليا صدرت من جوق العويجر تمره
ووردنا الخليفة تاركين اشيوخنا
وخلينا جبار والزنتي وعبدا لله
ظلمي بني عمي مكارم لابتني
تلفي لربعي بني عمي أهل الجود والسخا
أن انشدوك عن حالنا عظم الخبر
بأسباب سرنا ثم غرنا وصارت كسيره
عز الله أني ما نويت حربهم
وحلفت ما احيي ايلاهم عقب مامضى
هذا كلام للشريف محمد
هذا وصلينا على سيد البشر

وابن صلال في القصيدتين هو محمد بن صلال بن محمد بن مائع
الجرباء الذي من نسله بيت الصلال الموجودين حاليا من المحدث، و كانوا فيما
مضى ايام ما كان آل الجرباء في نجد الأوصياء على الشيخ من آل محمد إذا ما
توفي أباه والت المشيخة إليه وهو صغير إلى أن يكبر ويبلغ أشده.

الشيخ جعيري:

خلف لنا الشيخ مائع عدى محمد جعيري الذي أصبح على مشيخة
شمر، ولم يزودنا التأريخ البهوي عن هذا الشيخ بأية معلومات سوى التسمية
ولمن ترك المشيخة من بعده.

الشيخ عبد المحسن:

هو ابن الشيخ جعيري، وكان على مشيخة قبائل شمر في نجد بعد
وفاة أبيه، ولم يصلنا شيئا عن هذا الشيخ وأغفل أحداث عهده التأريخ البهوي

(١٠٦). ويقصد به المعز من فرسان شمر.

(١٠٧). قام الباحث بجمع أبيات هذه القصيدة من خلال سماعه للموروث الشعري لدى
شمر.

مثلاً أغفل أحداث عهود غيره من آل محمد الجربا، سوى أنه قتل على يد أحد أفعاذ شمر (الصالح) في خلاف داخلي بينهم، وقد أخذت الخرصة بثأره على عهد الشيخ حميدي الأمسح في دار ابن حميان (بما عرف بلعبة السيفا) بشامان)، على الرغم من كون المحمدي لا تثار له لمكاته لدى شمر.

الشيخ مجرن:

هو ابن الشيخ عبد المحسن، أصبح على مشيخة شمر بعد موت أبيه، وهو كذلك ممن لم يصلنا عنه إلا الشيء القليل، إذ أن الشيخ مجرن كما تحدث عنه التاريخ الشفهي هو من اشجع فرسان رجالات شمر في عصره، إذ كان يخرج ببائل شمر التي معه لوحده في يوم كامل دون أن يأخذ معه من يحامي الإبل، واليوم التالي كان لفرسان شمر، وله طلحة (شجرة) من طلع منطقة جبل شمر كان يجلس تحتها لا زالت آثار مكانها باقية إلى اليوم قرب حائل، وقد ترك من الأبناء كلاً من زيدان الذي من أحفاده فرع الزيدان الذين ينتخون (حرشة وأنا ابن مجرن) توكيداً لمكته هذا الشيخ ونسبتهم له، وحميدي. وربما كان على عهد الشيخ مجرن مقتل كلا من عمار وموح الجربا عام ١١٠٠ هـ، ١٦٨٨ م، ومقتل الشيخ مسلط الجربا في يوم البنوان. وهو يوم مشهود من أيام نجد التي أرخوا بها فقلوا: يوم البنوان، بالرغم من أننا لا نطم ماهية الحدث الذي كان في هذا اليوم من عام ١١٠٤ هـ، ١٦٨٢ م، فعمار والموح ومسلط الجربا لا نطم عنهم سوى ما ذكرناه^(١٠٨).

الشيخ حميدي الأمسح:

يعد الشيخ حميدي الأمسح من أبرز أحفاد محمد الجربا في نجد، ومن ذريته تكثر آل محمد. ولأحفاده اليوم المشيخة على قبائل شمر، وقد لقب الشيخ حميدي الجربا بالأمسح لأنه ولد وإحدى عينيه ممسوحة، أي ليس فيها إنسان العين^(١٠٩)، ومما تمتع به الشيخ حميدي من رعاية الله عز وجل له أنه كان ذا حظ وافر المعطاء في حياته بحيث أن أفراد قبائل شمر اتخذوه مثلاً لهم

(١٠٨). ابن منقور، مرجع سابق، ص ٦٩، ابن بشر، مرجع سابق، ج ١، ص ٩٩.

(١٠٩). العزوي، عشائر العراق، ج ١، ص ١٣٦-١٣٧.

فيقولون في مضرب أمثالهم (يا حظ الحميدي الأمسح)، كما أشار القصيد البدوي إليه وإلى أبنائه بطول باع الكرم والسخاء لحبيهم فيقول الشيخ العاصي بن فرحان باشا:

عيال الحميدي يذبحون الفتاة^(١١٠) وبك الكهاوي عقبوا كل حماس^(١١١)

وقول الشاعر عامر السمن في الشيخ مطلق الجربا ويصفا من خلال شعره الشيخ حميدي الأمسح:

سـيـد مـن سـيـد مـتـسـلـسـلي	ما بين طه والبتول والولي
يا ولد من لجمت مطبة ضيفه	استن تابعها وهو لا يسالي
انا تدبنت برجلك بحيلة	لولاك ما دبنت حبة خردلي
زيروم زينين المحازم شمر	بيماتهم مثل البروق امسالي
تعللوا بسطام كل قبيلة	ولا تعللوا بتدليل الطلي
حريهم صبوا عليهم مصيبة	صبح الثلاثة وعيها ما ينجلي
لولا صوارمكم ورؤس ارماحكم	ما صاح بالاذان صوت امكبري ^(١١٢)



أدوات القهوة العربية في القرن التاسع عشر

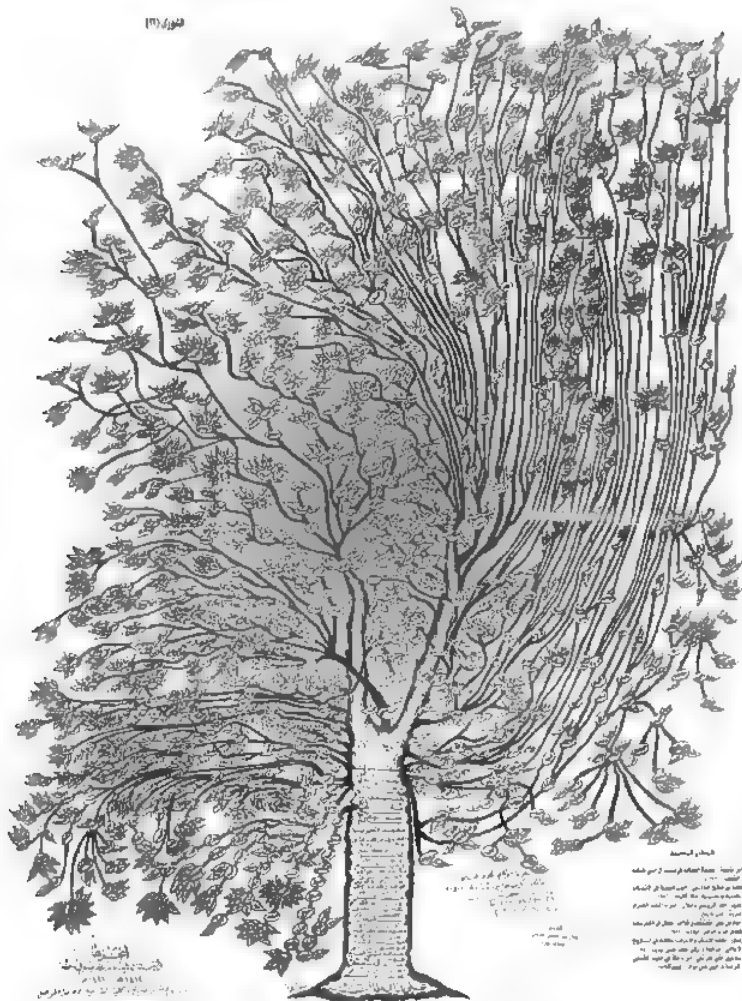
(١١٠). لنافقة.

(١١١). من التراث الشعري الشامي.

(١١٢). نفسه.

لا اسئلكم عليه أجر إلا المودة في القربى

المشورى: (٣٧)



الفصل الثاني

الشيخ مطلق الجربا

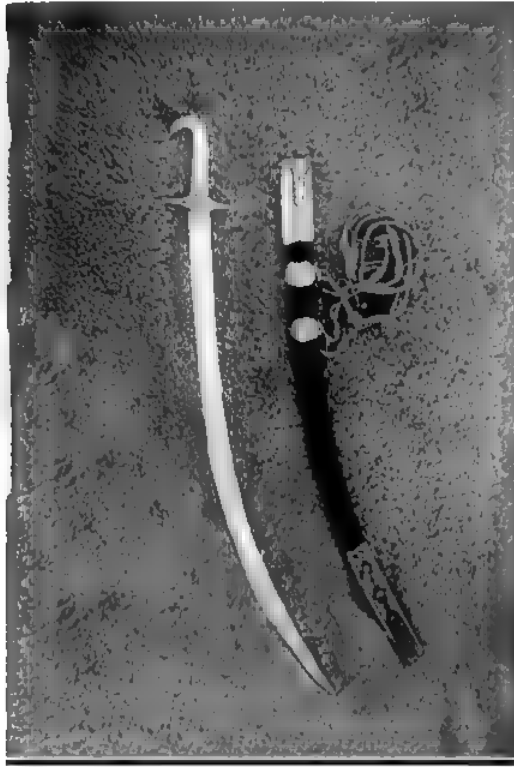
دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجر والاصفرام مع شمر

يرجع أصل الحركة الدينية الإصلاحية في نجد إلى بدايات النصف الثاني من القرن الثامن عشر، عندما بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة إلى معتقدات إصلاحية إسلامية، منطلقاً في دعوته من خلال المذهب الحنبلي، ومتخذاً من دعوات واجتهادات الشيخ أبن تيميه توفي عام ١٣٢٨هـ/١٧٢٨م المنهج الذي أنطلق منه.

دخل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي توفي عام ١٧٩٢م في صراع ديني مع التيارات الدينية السائدة في عصره، مما اضطره إلى الهرب واللجوء إلى الدرعية عند آل سعود وزعيمهم محمد، قُتِبْنِي آل سعود هذا التوجه الديني ووضعوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مكانة مميزة، مما ساعدهم على تحقيق أهدافهم السياسية في السيطرة على مناطق الجزيرة العربية وتكوين إمارة قوية لهم على هذه الأرض، فهاجم آل سعود مع أتباعهم العديد من مناطق شبه الجزيرة العربية، حيث أنهم هزموا بني خالد أمراء الإحساء، وضموا هذا الإقليم ولو لفترات قصيرة في بادئ الأمر إلى إمارتهم، مع بعض مناطق شبه الجزيرة العربية، مما حدا بالقوى المحلية على هذه الأرض من بني خالد وشمر وأشرف مكة فضلاً عن آل السعدون أمراء المنتفك: بالاتحاد والتعاون ضد هذا الخطر الجديد، في الوقت الذي كان فيه السعوديون يتطلعون نحو شمال نجد وجنوب وادي الرافدين، لمال هذا الإقليم من وفرة في الموارد المائية وخصوبة التربة وأمناً لإمارتهم من هجمات القبائل الأخرى.

أدرك آل سعود، مبكراً بعد أن نجحت جيوشهم في القضاء على ثورات الخرج والقصيم أهمية جبل شمر الاقتصادية، فأرضها خصبة التربة وتتوفر بها عيون الماء التي تكفل قيام حياة زراعية مزدهرة، مع أهميتها التجارية وطبيعة العلاقة الجغرافية مع جنوب العراق، مما زاد في أهميته

الاقتصادية التي ستؤول لآل سعود، وكان هذا الإقليم تحت سيطرة شمر (آل الجربا) ^(١) في هذا الوقت.



شلمان سيف الشيخ مطلق

(١). د. عبد الرحيم، النولة السعودية الأولى، ص ٧٤.

الشيخ مطلق الجربا

لم نجد في المدونات التاريخية شيء الكثير عن النشأة الحياتية الأولى لهذا الفارس الجواد الشمري الهاشمي، فنحن لا نستطيع تحديد ميلاده ولكننا نعرف أنه اكبر أولاد الشيخ حميدي الأمسج، وأصبح بعد وفاة والده شيخاً لقبائل شمر في نجد خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

كان الشيخ مطلق فارساً جواداً سخياً، ذا حكمة وعلم تناقلت أخباره أعداءه قبل أهله وأصدقائه، عاصر العديد من شيوخ العشائر النجدية الذين كانت لهم سطوة واسعة على أرض نجد. أمثل الأمير عبد العزيز آل سعود وابنه سعود، وجديع بن هذال شيخ العمارات من عنزة، وحسين بن وطبان الدويش شيخ مطير، وحسين أبو شويربات من فرسان نجد المشهورين الذين كانت للشيخ مطلق الجربا أحداث ووقائع له معهم، أخذت حيزاً واسعاً من التاريخ النجدي الشفوي ستمر على قسم منه فيما بعد.

وخير من وصف هذا الشيخ الهاشمي الشمري المؤرخ ابن سند الوائلي بقوله: "هذا مطلق من كرام العرب عريق النجار شريف النسب، من الشجعان والفرسان الذين لا يمتري بشجاعتهم إنسان، له مواقف يشهد لها في السنان والقاضب، ووقائع أعترف له بالبسالة فيها العدو والصاحب، وأما كرمه فهو البحر حدث عنه ولا حرج، وأما أخلاقه فلأطف من الشمول وأذكى من الخزامي في الأرج، وأما بيته فكعبة المحتاجين وركن الملتجئين، جمع البسالة والكرم في ردائه بحيث نادى السنة نظرانه أنه العلم الفرد والشمري الذي لا يوقف لكرمه على حد، ولقد والله أعجز من سرادة البادية بكارم لا توصف إلا بأنها ظاهرة بادية"^(٢) وقل فيه:

(٢). ابن سند، مرجع سابق، ص ٢٢٣-٢٢٤.

يا بحر لا تفتخر بمذك وأقصير
ما حل في كفيه مقسوم على
ما ثم ماثرة سمت إلا روى
مرفوعها عنه لسان الأعسر
عنه أن تضارع حاتمياً شمري
كل الاتام غنيهم والمقتر
وجبازة مغنى مسرف معبر^(٦)

ولو دققنا النظر في هذا النص الذي دونه ابن سند لتبين لنا المكافاة التي كان عليها الشيخ مطلق الجربا من سعة في سخاء اليد حتى أن ابن سند شبه كرمه بالطلطي حاتم، مع سمو في الخلق وطيب شمائل الأخلاق في زمان كان فيه هذا السلوك يعد مثيرة من مثار الرجال العظماء في ارض قد بعدت عن مراكز الحضارة والتقدم.

عرف الشيخ مطلق الجربا بالعديد من الألقاب التي اقترنت بشخصه، وأضحت بديلاً عن اسمه إذا ما ذكرت كالزكّام، اخو جوزة، العيط وكلها تعبر عن الرجولة والحمية وأخلاق الفارس النبيل، وتحدث العديد من الشعراء عنه وعن كرمه وشجاعته ومنهم الشاعر أمير كفار دندل الفهيم بقصيدته التي ذاع صيتها في الأفاق، وتغنّى بها البدو في الأرجاء إذ يقول فيها:



وسم الجمل في البادية

(٦). نفسه، ص ٢٢٤.

مبتدأ ما أقول في ذكر الإله
قال دندل الغهيم أبيات جيل
قال أنيب بارع بلاجيل زين
هاض جبلي جما هيضات التهام^(٤)
ذا ما خصيت من عدل الجولب
ثم ذا وخلاف ذا يا عارفين
هي يالي ضاربن درب الرشاد
عيرتن مامونتن عوصا هميم
أن مشت تشبه لرفزاف الضليم^(٥)
ريضه يا راجبه لقيت خير
لين تبغى نيتك درب الرشاد
إن ركبت من قفلار لا تنسيخ
يم أخو حوزة زكم سكم الحريب
ثم أصيح بمعتلى صوتي وأقول
يا قديم أضعائنا مروى السيوف
يا عريب الجد يا وافي النمام
يا نجى العرض عن طرك الدنوس
يا عزيز النفس عن شئ يعرب
يا خراب الزاد يا ريف الضعوف
باللوازم مثل هداج يزوم

جل رفاع السما باسط وطاه
حلو ملفوض النبا عدل البناه
الغرايب ما كلمن داره لقاه
الجراد ألبا ارتحل يتلارحاه
الغرايب والردى ممن بغاه
ان قلبى جل والممشى هواه
فوك مور عثافرن حلون سراه
ماحلى مشيه ألبا داننت خطاه
شايفن زولن على المفلى عداه
جان حظيت الرديف في قره
زان لك طيب الوفوق من الإله
لين تلفى العيط ترى هو منتهاه
ياتديبي يا على من هو نصاه
يا أبن مافع يا حجى من هو لفاه
يا علموده يا سراجيه يا ضياه
يا فتى حاشى المراجل وانتضاه
يا الذى عرضه نجى عن رداه
مطى نوى السلاطم ما حلاه
يوم ولد العفن ما يدرك عشا
كلما كثرت وروده زاد ماه

(٤). الجراد.

(٥). النعام.

يا الذي يذني سراجة بالطراد
ساجن به ست وعشر وناقطين
سافهن بشمرتن كبا قحوم
شاريه بيبي البانار الجتام
قطمرت باللبس والجمت العنان
صار زلزالن على المجفي شديد
حين ضرب بالسيف في روس الصياد
والجنابز بالوطي صرعن قتال
ينخن الشيخ بالصوت الرفيع
يوم صاخن كلهن لمن جميع
جاء أخو حوزة مثل فهد الزراج
عاش من تفرس سافته السباع
عاش من للخيل ضده كالجراد
ما حلّى شقرا تحت ذيب العيال
جني اسمع يا اسلام الله وإنشوف
مثل جلد المزن غضبان الرعود
احسبه رعدن وهو سميط خيل
صار مثل الليل يضرب بالسياط
هل وبله من قطي الخيل دم
إنشوف جدع الروس من فوق المتون
ذي نخرو وذي تمر وذي تنير
من إحوي لزوي الباب تيماء
هو عذاب الخيل الناجاه أوصاح
حاجين نيه كما الروح الحرار
بالمعاره عقبيهم لازم تشوف
هو حماها من العظيمي للعظيم

من سلايل نجد بمواله شراره
والعبية مهفبة واللي تلاه
مثل حيد الزمل مزبورن قفاه
طج تالي الزمل والصايح عداه
ثم أخو حوزة تحيزم واعتلاه
مثل يوم الحشر شاب من اعتصماه
ضرب بيطار بخلص من وراه
والصبايا دلهن ذلهن غطاه
ياحامي تالي ضعننا يا نراه
وين ستر اضعوننا واللي حماه
دارعن بالصيد غرن يوم جاء
والذبابا مع نسوره مع حداه
لازمن تجفل ألبا سمعت وحاه
يفرح المجفي ألبا شافه وراه
جلد خيل الضد يوم العيط جاء
جاء من الغربي عاصوب حداه
والعجاج العنبري رهبر من وراه
وارتكب مثل الهضاب وهل ماه
من يمين العيط لاشلت يداه
يشبه البيطار جددع ما وراه
من يمين العيط لاشلة يداه
للقصيم كله بالسيف أخو حوزة وراه
والسبايا مرندين من وراه
لازم من يرمون للعرجا عشاها
به نسور كالبهمم الارتفاعه
لين سلمى والجبل والي وراه

والسيفانما لاهتن يتلون شيخ
 إن تشلفحن السنين هو بصير
 جن بيته آليا اضمحان السنين
 مثل ورد البدر في طلعت سهيل
 ستر للمضيوم نعم المحترين
 ذا كلامي والملا لي يشهدون
 ذا وصلي الله على سيد قریش
 عمى عين المعادي وهم ادواه
 مشرع للضيف والعاني ملاه
 والقرى ماعلا يلقي مشتراه
 ون تعاطو منهل حلي جباه
 لحين يوم ارتحل خذي خيل وأعطاه
 كل أنا ما قلت في حقه علاه
 ما أعتلى القمري في عالي سماه^(٦)

كما وان لأين سند الوائلي قصيدة عصماء تغنى فيها بشجاعة وبسالة الزكام نقشت حروف أبياتها:

قوم إذا حربوا فأسد الثرى
 ياعين إن ماتوا فقد ملت الندى
 خاضوا الوغى بصوارم وشياظم
 فتفرقت منه الكمأة كأنهم
 لأقاهم الأسد الضيلرم مطلق
 وإذا هم أعطوا فابحر جود
 فعلبيهم حزناً بدمعك جود
 قلب البطون تؤم جيش سعود
 نقد نوافر من زئير أسود
 فتعلقوا بشليل كل قعود^(٧)

(٦). من لترات الشعري الشمري.

(٧). ابن سند، مرجع سابق، ص ٢٢٤-٢٢٥.

وهذا كنعان الطيار^(٨) ينشد أبياتاً في الشيخ مطلق وفرساته من الخرصه واصفاً فروسيتهم وسمو أخلاقهم:

راكبين كسوار حيلان شوملن	كالسفن ولا النعام الهوارب
راكبين الهجن عوجو ركاين	خونو سلام من ضميري غرايب
خوذو سلامن والسيفان تحيه	يتلون لحو حوزة عفيف الشوارب
ياشبهه هداج اليما زاد ورده	مودع بزد البيت مثل النهاب
خريصات هم هل الكسود والجدا	عين اللوى مقلجين الظلارب
يطحن برينان العجاج وينثنن	ويجن مع عجلاتهن الجنايب
ذهبان ذكبان مايلحك الضد غيلهم	غمجين الأهوى بسي مجل الترايب
ويلما نكشو من غزل مخفي عداوه	ويلما نبحوا من شايش بالحراب
قهارة المظهر في وجه ضدهم	وإن هلهن بالكون حمر العصاب
جميعين الرجل عن بيت جارهم	ما يدهلون البيت إن كان غايب
الوطيفي لبسن جوخة ما لبستها	جعل العمى الهاك الحجاجين صايب
يعل جواده بالملكا عثره	بوجه السبابا والسبابا خطايب
وعز الله أنه أبرى من حمام بيوم	بيا وأبرى من إلي خضبن بالترايب ^(٩)

كما أن الشيخ مطلق نفسه كان يقول الشعر ويجيده، وهو حال العديد من آل الجربا شيوخ شمر، بالرغم من أن أكثرهم كان يقول الشعر هو لكنه كان ينسبه لغيره من الشعراء المعروفين، أو يعطي الشعر لغيره ليقوله تواضعا ونكرانا للذات، ولعل قصيدة الشيخ مطلق التي وصلت إلينا على لسان فرسه ضمن حوار تصويري جميل بينه وبين العزيزة على قلبه، ونحن نعلم كم أن الفرس غالية لدى فارسها، خاصة بالنسبة للبدو الشجاع والفارس الشهم، وهي التي خاض على ظهرها غمار المعارك الشرسة دفاعاً عن أرضه وشرف شمر ومكنتها، لقد آل الدهر بهذه الفرس أن يذهب بصرها

(٨). من شيوخ عنزة وكان قد التجأ عند الشيخ مطلق نتيجة خلاف وقع له مع عشيرته فأكرم الشيخ مطلق وادّنه.

(٩). من التراث الشعري لشمري.

فحزن الشيخ عليها حزناً شديداً فوضع هذه القصيدة التي اشتملت على خصال فرسه وصدق الأحاسيس التي كان الشيخ يكتبها لها:

<p>هات الطبيب ألبي بدأوي عماتا لن الوضاح بعين خطو الردحي لو هو بغالي ثمننا خسرناه ولا ينفع العطشان كثر السبوحى مثل الشغايا يا تلاقا به السيل للجرف هو ويا الخياري جموحى والنهر الآخر مرتجع فسوق حوشان^(١٠) أطلع عليهم مثل سرقى بلوحى خص اليا جونا على كوار ضمير والشيخ يطلب عفتك وأنت توحى تعلوهن طوال السبايا والرماح عليه عذرا كل ليلة توحى وتعلت بنا مجالس بني لام والسي العلا يفك روحك ورحى ثلث مجاونخ وثلث مداريع وأطلع عليهم مثل ظفرون سبوحى لحجوا علينا بالطلب كل فنا لوهاب عشيح البنات الطموحى^(١١)</p>	<p>لم يازكم للريف دور دوانا أننا طلبت الله يوم إبتلانا لو الدوا ينفع لعينج شريناه مار عينج له نظير دلك ماه تئسانى يوم أكسر عريشى عن الذيل أما حديث الرمح بالجري والخيول من غير سري ليج حليب وقلصان أريد اليا من صار للخيول ميدان بالعيط حوشان تعلوه شمر كم نوبة سرجك علينا تجمر وجدي على الشقرة اليا صاح صباح كم واحدن من على صابره طاح بالعيط جيناها من الشرق للشام وكم نوبة طير المنايا على حمام وجدي على الشقرا لوجن مع الريع مسرجاتن سدن الفج والريع وجدي على الشقرة لوكط بنا ياما بآلهم كحوم تئنا</p>
---	--

لقد نسب إلى هذا الفارس صحن زاده المعروف (بحوشان) تشبيها له بحصن حوشان الذي كان يجمع شمر في الأزمان، وكذلك هذا الصحن الذي كان يجمع من يحضر مضيف الشيخ مطلق من الضيوف، كما كان له سيفه المشهور المعروف بشامان تيمناً بحصن شمر المشهور في أعالي جبل أجا،

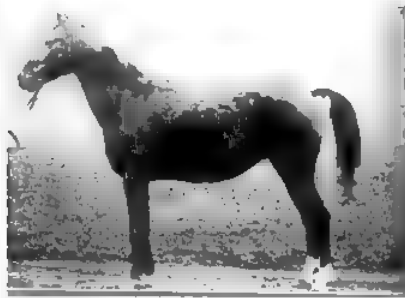
(١٠). صحن مطلق.

(١١). من التراث الشعري الشمرى..

الذي كان يمثل الحصن المنيع لشمر وقت الحرب، أو عندما كان يتكاثر عليها أعداءها، فكنذك كان هذا السيف بيد الشيخ مطلق الحامي لشمر والمنقذ لها بيد فارسها، والسيف هذا في الأصل كان لأبيه الشيخ حبيدي الأمسح، ثم أطلق عليه فيما بعد على عهد الشيخ صفوك (ارحيان).^(١٣)

وتروى للشيخ مطلق العديد من الوقائع والمجاسل التي كان فيها هذا الشيخ الشمري يظهر من خلالها شجاعة وبسالة رغم صعوبة الموقف وجسامة الخطب، ومنها ما يروى أن مجلساً كان قد جمعه مع بعض شيوخ العشائر عند الأمير عبد العزيز آل سعود قبل أن يحتدم الخلاف بينهم، وسأل الأمير عبد العزيز الحاضرين في مجلسه عن أشجع الفرسان العرب في زمانه، فذكر الحاضرون شخص الأمير، ثم وجه السؤال إلى الشيخ مطلق فذكر أخو حوزة العديد من الفرسان المشهورين الذين عرقتهم أرض الجزيرة العربية وذاعت شهرتهم، وخص منهم بعد الأمير مانع ابن ضويحي وجديع خيال الحصان، ولكن ابن سعود كرر السؤال عن أفرس الفرسان، هنا نهض الشيخ مطلق الجربا وشهر سيفه وصاح: أنا وأنا أخو حوزة.^(١٤)

وبعد: فإن شخصية الشيخ مطلق الجربا كما يصفها كتب معاصر بقوله: " هي الشخصية الكاملة في أقطارها، ففيها القدوة الصالحة والمثل البطولي الأسمى للإنسان الفذ، والمحارب الشهم النجيب، والصراط السوي للمسلم القرآني الذي لم يخضع لسيوف جبابرة في عهود مضت وانقضت".^(١٥)



(١٢). أنور عبد الحميد السباهي، حياة لمرحوم الشيخ دهام الهادي (بيروت: ١٩٧٦م) ص ١٤٦.

(١٣). نفسه، ص ١٤٩ ولرواية مشهورة لدى شمر.

(١٤). السباهي، حياة، ص ١٥٧.

الشيخ مفلح، والصرام مع آل سعود

لقد لعب القدر لعبته في أحداث شبه الجزيرة العربية خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن الثامن عشر، بعد أن قويت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتبني آل سعود لها، وقيام الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود بمحاولة السيطرة على كامل أرض نجد، وإخضاع القبائل العربية لسلطته تحت ستار هذه الحركة الدينية الإسلامية، فمنع الغزو إلا ما كان يقوم به هو وأتباعه من الغزوات التي كان يعتبرها جهاد في سبيل الله بمباركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لها، وكان يأمر بدفع إتاوات سنوية له باسم الزكاة. وعندما تطلع نحو جبل شمر بعد أن شن الحروب على كثير من مناطق وقرى شبه الجزيرة العربية، ونجح أناسها. وقطع أشجارها. واحرق بيوتها، كانت الأحداث تتلاحق، فبعد الغزوات التي وجهها نحو جبل شمر عام ١٧٨٢ و١٧٨٧م^(١٥) التي كانت لها شمر بالمرصاد بقيادة الشيخ مفلح الجربا، إذ لم يستطع الأمير عبد العزيز بضم إلا قسم قليل من قبائل شمر (ابن طوالة والتومان) تحت راية الحركة الوهابية مع أهل حائل وما حولها.

لقد شن شريف مكة وأميرها غالب بن مساعد (١٧٧٨-١٨١٣م) غارات على نجد ليخضع بعض القبائل العربية فيها من التي تعاونت مع آل سعود^(١٦)، ورفضت أن تدفع له الزكاة السنوية، مع رغبته في القضاء على إمارة الدرعية. فجهز عام ١٧٩٠م حملة عسكرية كبيرة بقيادة أخيه عبد العزيز تقدر بعشرة آلاف مقاتل، ومعهم أكثر من ٢٠ مدفعا كانت ووجههم نحو الدرعية معقل آل سعود، لأجل القضاء على الإمارة الفتية وإنهاء الحركة الوهابية، وبأمر من السلطات العثمانية التي وقفت موقفا عدائيا منها، وسار مع الشريف الكثير من بوادي شمر تحت قيادة الشيخ مفلح الجربا الذي رفض أن يكون تحت راية ابن سعود وحركته الوهابية، وشهر سيفه في

(١٥). فيلي، مرجع سابق، ص ٧٨-٧٩.

(١٦). ابن مقل، مرجع سابق، ورقة ٣٧.

وجهها، فضلا عن قبائل مطير وبوادي الحجاز، ثم لحق بهذه الحملة الشريف غالب مع جموع أخرى من البوادي والقوات، توغلت هذه الجموع إلى داخل نحد وحاصرت هذه القوات مجتمعة قرية الشعرا مدة من الزمن بعد أن سيطرت على العديد من المناطق النجدية، لكنها لم تستطع فتحها. عاد بعدها الشريف غالب ومن معه من القوات إلى مكة لقرب موسم الحج، ولم يستطع القضاء على إمارة آل سعود، وتفرقت القبائل التي كانت معه ^(١٧).

كانت شمر بحكم القرية بين شيوخها الجربا والشريف تساند الشريف غالب، ولكن حدث خلاف بين شمر والشريف عندما أراد الشريف غالب أن يأخذ الزكاة من شمر كي يصبح حلها حل القبائل الصغيرة الأخرى التي كان الأشراف يأخذون منها الزكاة، رفض الشيخ مطلق الجربا ذلك خاصة أن شمر كانت تأخذ ضريبة الأخوة (الخوة) ممن يعبر ديارها من مواكب الحج والقوافل نظير الحماية التي تقدمها لها شمر حتى تعبر أراضيها وحماها بسلام، وتكون مسؤولة عن سلامة المواكب والقوافل ومن فيها وما فيها، وقد نقلت شمر معها هذه الضريبة إلى أرض الجزيرة الفراتية تحت اسم (الخوة).

أراد الشيخ مطلق الجربا الانسحاب عن الشريف غالب بقواته الشمرية، وكذلك انحازت معه مطير وأن يتناسى مطلب الشريف غالب هذا، لكن الشريف لشدة حاجته للأموال، خاصة وأنه قد انفق على الحملة الكثير دون طائل، ولقرب موسم الحج، فقد أرسل رجاله لجمع الأموال من شمر ومن معها بعد أن عاد الشريف غالب إلى مكة ^(١٨)، فقام أحد فرسان شمر من الخرصة وقتل جبة الشريف غالب، كان احدهم من الأشراف من أولاد عمومة الشريف، مما اغضب هذا العمل الشريف غالب وأمر بأن تجهز القوات الحجازية لشن حملة على شمر والشيخ مطلق، واخذ ينادي بطلب رأس الشيخ مطلق مما اثار حفيضة شمر، فقام ابن دايس قتل جبة الشريف بلقنوم على الشريف غالب في مكة المكرمة وسلم نفسه إلى البه، واعلمه أن العمل الذي قام به هو اجتهد شخصي من قبله دون علم الشيخ مطلق، وان

(١٧). ابن بشر، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٦-٨٧.

(١٨). نفسه، ج ١، ص ٨٦.

الجربا لم يرض عن هذا العمل، عندها عفا الشريف غلب عن ابن دايس وانتهى الخلاف بينه وبين شمر وقائدها الشيخ مطلق الجربا.

لقد اثبت لنا القصيد البدوي أن الشيخ مطلق الجربا لم يكن خاضعا لإمرة الشريف غلب وقواته مع شمر التي معه في يوم من الأيام، إذ يقول الشاعر الكحاز من شعراء الحجاز مخاطبا الشريف غلب بن مساعد:

يا راكب ملحا تسوك البطاني سوق الرشا بمدورجات المحاحيل
ايضا والبادشت غدير السباني نرعان صباغتن تدلك من النيل
تلقي البيت الكرم والجود والصباني املنا بالدار من يخص الحيل
انت الأسد والشيوخ عندك حصاني يمشون بحد منك يا صاحب الميل
الا مطلق الجربا زبون الحصاني خيال الوندات زين المخاليل^(١٩)

تلاحقت الأحداث والأمير سعود بن عبد العزيز على مقربة من جبل شمر مع قواته يحاول السيطرة على هذه الأرض وقتلها وإخضاعها لسلطانه، خاصة وأنه في العام ١٧٨٦م كان قد أرسل حجيلان بن حمد أمير القصيم غازبا على جبل شمر، واستطاع هذا القائد ان يفرض الطاعة لآل سعود على قسم من قبائل شمر، وبخاصة أهل حائل وقسم كبير من قبائل اسلم^(٢٠)، مما جعل هذا الوضع شمر التي بقيت تحت قيادة الشيخ مطلق أن تلعب دوراً كبيراً في تأريخ شبه الجزيرة العربية، ومن ثم في تأريخ العراق وبلاد الشام فيما بعد^(٢١).

أوجب هذا الحال أن أوقع صراعاً دموياً بين شمر بقيادة آل الجربا وآل سعود بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز فيما بعد، وأصبح عندها أمام الشيخ مطلق الجربا ثلاثة خيارات لا رابع لها لمواجهة هذا الطرف الذي وضعه فيه مسار الفعل التاريخي لهذه الأرض خلال تلك الحقبة الزمنية من تأريخ العرب الحديث، وتمثلت تلكم الخيارات في:

(١٩). من التراث الشعري الشعري.

(٢٠). ابن بشر، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٢١). نوار، آل محمد، ص ١١١-١١٢.

أولاً- أن يقاتل حتى ينتصر على آل سعود، لكن هذا النصر بعيد لطبيعة التنظيم الديني للوهابيين وحماسهم في ذلك الوقت تجاه العقيدة التي يحملونها، وكثرة من كان مع ابن سعود من القبائل، في حين أن قسماً من قبائل شمر لم تكن مع الشيخ مطلقاً ومنها أهل حائل الذين كانوا قد أعلنوا الطاعة لأبن سعود.

ثانياً- أن يقبل الشيخ مطلق وشمر التي معه الخضوع لسلطة ابن سعود وما يراه، ولكن هذه القبائل الشديدة البداوة كانت ترفض الخضوع بلباء وشمر. ثالثاً- أن تغادر شمر نجداً بعيداً عن متناول سيوف آل سعود، وهذا قرار ليس من اليمير على شيخ العشيرة الفارس الجري أن يتخذه إلا تحت ظروف قاسية. (٢٢)

حاول الشيخ مطلق بما عرف عنه من حلم وحكمة أن يتقاضي الصدام مع ابن سعود، ويكون في مأمن من الصراعات السياسية التي كانت على أرض الجزيرة العربية بين الدولة العثمانية وأتباعها أشراف مكة، ومن كان تحت الراية السعودية من الوهابية، فاتحاز عن الشريف غالب بن مساعد بعد أن انتهى الخلاف مع الشريف حول الجبلة، لكي لا يعطي الحجة لابن سعود في معاداته والاصطدام معه، ويترك مسألة السيطرة على مناطق نجد التي ليس لشمر تواجد فيها محصورة بين آل سعود والشريف غالب، وكي يحاول في ذات الوقت إعادة من خرج من تحت سلطته من قبائل شمر وانضوا تحت راية ابن سعود، ولكن الأمير سعود لم يرض بهذا الموقف من الشيخ مطلق وشمر التي تحت أمرته، خاصة بعد أن كتب إليه قسم من أهل جبل شمر أن الشيخ مطلق الجربا قد نكث العهد السابق مع آل سعود، وأنه انظم إلى الشريف غالب في حملته وانضمت معه قبائل المطير^(٢٣) فاتجه الأمير سعود شمالاً نحو جبل شمر ونزل العدو، وهو ماء لشمر ومرعى لإبل آل الجربا، إذ يخرج عنه وادي يسمى العدو يتجه موازياً لجبل سلمى، ثم

(٢٢). نفسه، ص ١٣-١٤.

(٢٣). مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص ٩٩.

ينحرف بعد انتهاء المسلة إلى الجنوب في ارض نجد^(٢٤) وهذا الماء على بعد ٧٠ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من حائل^(٢٥).

وأراد الأمير سعود أن يفرض الزكاة على عموم شمر وعلى شيوخها الجربا ويضعها تحت طاعته، فأغار على جموع مطير التي كانت على الماء واستطاع أن يلحق الهزيمة بها ومعها أعداد قليلة من شمر، ويقتل في هذه المعركة سعود شيخ الجبلات من مطير المعروف بحصان إبليس، وسمره العبيوي شيخ العبيات من مطير التي كانت في حلف مع الشيخ مطلق، وغنم الأمير سعود غنائم كثيرة من مطير في الوقت الذي لم يكن فيه الشيخ مطلق ومن معه من جموع شمر في العدو.

حاول الشيخ مطلق أن يراوغ في الموقف إلى أن يجد مخرجاً لهذا الوضع غير المتكافئ عسكرياً بينه وبين الأمير سعود، فقام بخطط إبلة وإخفائها بين المراعي لعدة أيام كي لا تظهر أمام جباة أبين سعود الذين أرسلهم بعد معركة العدو ليأخذوا منها إتاوته، فتكون بذلك بمثابة موافقة من الشيخ مطلق في أن ينضوي بقواته تحت الراية السعودية بشكل دائم، ولكن إصرار الجباة على أخذ المبعث والنعام من أبيل شمر والجربا جعلت أحد أشجع فرسان شمر ومن خيرة شبابه، الشيخ مسلط بن الشيخ مطلق لا يتحمل هذا الوضع، فثار في وجه أبيه على هذه المناورات التي اعتبرها تتازلاً وضعفاً من قبل أبيه، فخاطب أباه بلبايات شعرية أصبحت أحد أبرز المآثر التراثية لشمر في النخوة والعزيمة بقوله:

رأيت روس مشمرخات العراقيب رجم الطويل الناييف المجاحزي
ونيت رنة ما تهجع بها الذيب اوجس قلبي من ضلوعي بلزي
يا صار ما ناتي سواة الجلايب وفلايع بيماينا بها نبزي
وانخا اخو جوزة ستر المعارب الحرايا سالف المعلة ينزي^(٢٦)

(٢٤). الخريصي، مرجع سابق، ص ٦٨-٦٩.

(25) willamson , op. cit , p. 20.

(٢٦). من التراث الشعري لشمري.

ولكن الشيخ الفارس المجرب أراد أن يثني عزم ولده وأظهر له أنه لم يحن بعد وأن الصدام مع آل سعود، فرد على ابنه الشيخ مسلط بهذه الأبيات:

أصبر نصبر ونجمع النصبر بالطيب هذي حياة كل أبوها تلزي
أخاف من قوم رؤسهم كاليعاييب وسيفن على غير المفصل يحزي
والحر الياصكت عليه المغاليب لزوم عن دار العذلة ينزي^(٢٧)

لكن الشاب الهزير في الذود عن كرامته وكرامة شمر أبى إلا أن يحد سيفه برووس أعدائه، فقاد كوكبة من فرسان شمر وأتجه بها من ياطب الجبل الذي كان ينزل عنده الشيخ مطلق ومن معه من شمر^(٢٨) إلى ماء العدو الذي كان الأمير سعود بن عبد العزيز ينزله من مياه شمر، وهو يصيح بأهزجته المشهورة: (يا ابن سعود المال دونك، والعمر مهدينه عليك، نبي أنهدي من اجنوتك يوم ربك غضب عليك)، وفي طريقه عرج على جبة الأمير الذين كانوا يجمعون الشعث والنعل من ابل شمر فحز رؤوسهم، وحلف أن يطأ خيمة الأمير سعود بفرسه، لأن أمراء الوهابية كانوا لا يتودون الجموع في المعارك بل يبقون في الخيام ويوجهون المقاتلين، فحدثت معركة ضارية بين الطرفين أبلى فيها الشمامرة ومن معهم من مطير الذين انضموا إلى الشيخ مسلط الجربا، طالبين بثأرهم من ابن سعود ومن معه بلاء حسنا بعد أن لحقوا به وبمن معه من شمر، فأنزلوا بقوات الأمير سعود خسائر كبيرة بقيادة الشيخ مطلق الذي لحق بولده.

حاول الشيخ مسلط أن يصل إلى خيمة الأمير ليبر قسمه، ولكن كثر عليه أعداؤه حين أرخى عنان فرسه عند خيمة الأمير سعود فاخطفه رجال

(٢٧). نفسه.

(٢٨). مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص ٩٩، ابن مقل، مرجع سابق، ورقة ٣٢٢، ابن بشر، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٦-٨٧.

ابن سعود عن فرسه ^(٢٩) فخر صريعاً دفاعاً عن كرامة أهله وعشيرته وعزتهم، وكان مقتله في آب من عام ١٧٩١ م. ^(٣٠)

لقد انتهت هذه المعركة بأن دخل الأمير سعود غنيزة ورحل الشيخ مطلق ومعه سودان الروس (شمر)، وسميت بذلك لأنهم لم يقصروا شعر رؤوسهم عندما طلب منهم أتباع آل سعود من الوهابية ذلك، و البدوي في ذلك الوقت كان يعتقد أن تقصير الشعر إنقاص من رجولته، كما أن قص الشعر أو تقصيره يعد من أتباع آل سعود، فأطلق عليها الوهابيون هذا الاسم بعد أن خسرت ثلثة من فرسانها وشبابها الذين حاولوا بعملية انتحارية أن يردوا على سطوة الأمير سعود وجيشه الذي كان يربو على ١٠ آلاف مقاتل، بما قاموا به رغم قلة عددهم، لأن قسم من شمر كانت مع ابن سعود.

خسر الشيخ مطلق ابنه الشيخ مسلط الذي تحدث عنه المعاصرون له بما يستحقه من ثناء وتقدير، حيث قال عنه ابن سند الوائلي: "كان شجاعاً هزبراً، طاعن ذلك اليوم حتى كف كل رجيل وقرى كل ذابل وصقيل، كيف ومطلق أبوه ذلك الباسل، ومحمد جده الذي تحاماه القبائل" ^(٣١).

كان الشيخ مسلط يلقب (بالمحشوش) أي المغضوب، باهي الطلعة جواداً، وما يروى عن جوده انه أجرى السمن سواقي أمام الضيوف واخذوا يأكلونه مع التمر، وشهد بكرمه الأعداء قبل الأقارب ^(٣٢).

رحل الشيخ مطلق بعد هذه المعركة تجاه الشمال مع سودان الروس، المشهورين عند أهل نجد بالمظهر الأنيق واللباس الباذخ ^(٣٣) واستقر في بادية السماوة من أرض العراق وبلاد الشام، لأن هذا المصطلح كان يشمل كل صحراء النفود الممتدة على طول شمال شبه الجزيرة العربية، بعد أن ترك تاريخاً مشرفاً كتب بالدم لا زال أهل نجد إلى اليوم يتحدثون عنه في مجالسهم وكتب أشعارهم، كما وترك لنا شواخص اثارية غرست جنورها في رمال

(٢٩). مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص ١٠٠.

(٣٠). الطاهري، مرجع سابق، ص ٩٠-٩١.

(٣١). ابن سند، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

(٣٢). العزوي، عشائر العراق، ج ١، ص ١٤١.

(٣٣). الطاهري، مرجع سابق، ص ٧٤.

جبل شمر تمثلت في حافر فرسه المحفورة في الصخر قرب حائل، وهوادي قدور الجربا شيوخ شمر: وهي عبارة عن صخور كبيرة كانت توضع عليها قدور الطعام، تقع اثارها اليوم غربي حائل. فضلا عن أن الشيخ مطلق كان قد ترك خيام احد مضيفيه عند آل رمان من شمر حكام تيماء.

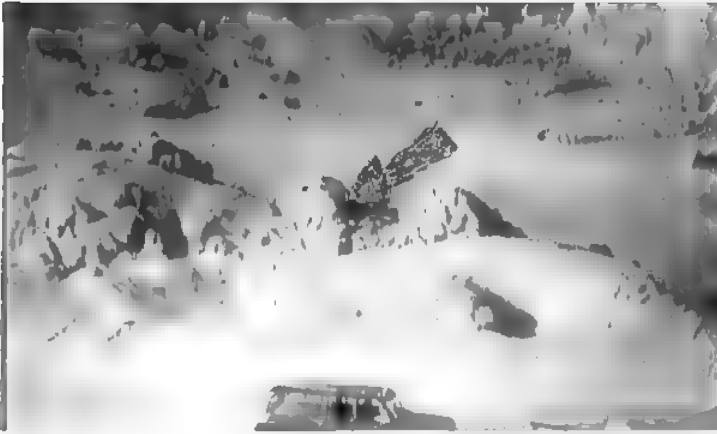
كان الشيخ مطلق على اتصال مع آل السعدون شيوخ المنتفك ومطير وبعض القبائل العربية القريبة منه، خاصة وان مطير هي إحدى القبائل التي تحالفت مع الشيخ مطلق على ارض نجد، فضلا عن عنزة بما عرف بحطف الخبرة، والخبرة بركة ماء تتكون من ماء الأمطار، وتم عقد هذا الحلف في منتصف القرن الثامن عشر لأجل منع الغزو بين هذه القبائل ورفع الظلم عن الضعفاء، كي يقوي من مركزه وتحلفته على هذه الأرض الجديدة على شمر التي معه، خاصة وهو السياسي المحنك الذي سوف يعيد سمو ماضيه على هذه الأرض التي رحل إليها، وقد كانت مطير والعمارات من عنزة قد سبقته إليها.

أخذ الشيخ مطلق في هذه الأرض يعيد تنظيم شمر محاولا أن يعيد إليها قوتها ومكافئتها بعد أن خرجت عن أرضها وديارها تحاشياً من صدامات مسلحة أخرى مع آل سعود ليست بصالحها، وكان الشيخ مطلق الجربا خلال هذه الفترة التي قضاها ما بين ١٧٩١ و ١٧٩٨ م في بادية السماوة على اتصال دائم مع السلطات العثمانية المتمثلة بسلطة المماليك في بغداد، في شخص الوالي سليمان باشا الكبير (توفي عام ١٨٠٢م)، وكذلك مع السعدون شيوخ المنتفك، وبعض الولاة في بلاد الشام، لأن الشيخ مطلق كان دائم الترحال بين السخنة والشنبل وجبل البقري فضلا عن بادية الأردن.

أشار لنا ابن سند أن الشيخ مطلق الجربا حج مع أحمد باشا الجزائر والي عكا^(٢٤)، ومن خلال تتبعنا لمواكب الحج الشامي التي كان احمد باشا الجزائر أميراً لها، وقارناها بالفترة التي قضاها الشيخ مطلق في بادية السماوة تبين لنا أن هذه الحجة كانت على الأرجح عام ١٧٩٦م، إذ انه اقرب التواريخ

(٢٤). ابن سند، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

تطابقاً مع تواجد الشيخ مطلق على هذه الأرض^(٣٥)، ويحلنا هذا الحدث على ما كان يتمتع به هذا الشمرى من سعة أفق وعلاقات سياسية واسعة في منطقة الهلال الخصيب، موجهاً جل نظره نحو آل سعود والحد من سلطتهم وتوسيعهم، ومتعاوناً مع عشائر جنوب العراق ومع الدولة العثمانية للقضاء على هذا التوسع والحد منه.



حوافر فرس الشيخ مطلق الجربا قرب حائل

(٣٥). حيدر الشهابي، تاريخ احمد باشا الجزر (بيروت: ١٩٥٥م) ص ١٢١.

في باوية السماوة ورحيل الشيخ مطلق

وصف لنا المؤرخ ابن مند حال الشيخ مطلق الجربا وأهله بعد معركة العوة بقوله: "فلما ضاقت على سعود الأوهاد والجنود، وخان أبن هذال، فلم يكن لمطلق مجال فنكص على العقب بطاعن ذلك الجيش اللجب، فما زالوا معه في كر وفر ومضاربة بكل صارم ذكر، حتى سئموا من المضاربة، فرجعوا بصفقة خائبة، ونجا هو وبنوا عمه، وباء الخائن بخزيه وإثمه، ففأخ رحاله في بادية العراق إلى أن اخضر عيشه وراق، فسار من العراق إلى الشام متوجهاً مع أحمد الجزار إلى البيت الحرام، ثم لما قضى نسكه رجع إلى العراق من مكة محارباً بالبنان والسنان أولئك المبتدعة لا بللسان، فبقي في بادية العراق مطاعاً أمره مشاعاً في الأغوار والأنجاد نكره، لا يضرب مثل إلا بشجاعته وكرمه، ولا يلوذ طريق إلا بساحة حرمة، ولا تستراح إلا راحته ولا تقبل إلا يمانه، إلى أن أصابه سهم الحمام ودرج شهيداً إلى دار السلام". (٣٦)

لقد أشار هذا النص إلى جملة حقائق بينت لنا أن ما حدث في العوة من مقتل الشيخ مسلط الجربا، وتوجه الشيخ مطلق إلى بادية العراق لم يكن هرباً منه بأهله وبشمر من سطوة آل سعود بقدر ما كان بمثابة إعداد لهم للرد على هذه القوة التي سيطرت على أرض شمر، وهو لذلك وطد علاقته مع عشائر العراق التي تحاذر بادية السماوة، كما أنه أتصل بالسلطة العثمانية عن طريق أحمد باشا الجزار والي صيدا وعكا، الذي وقف فيما بعد في وجه نابليون بونابرت عندما أراد احتلال عكا، وتوفي هذا الباشا في عام ١٨٠٤م. (٣٧)

لقد ذهب الشيخ مطلق إلى الحج مع أحمد باشا الجزار عام ١٢٩٦م كما بينا، ولا بد أنه في أثناء إقامته في مكة أعاد ما كان قد قطع من صفو

(٣٦). ابن مند، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

(٣٧). نول، آل محمد، ص ١١٤.

وتحالف مع أولاد عمومته من أشراف مكة بشخص الشريف غالب بن مساعد، ليوحدوا الصفوف في سبيل القضاء على قوة آل سعود وتحركات الوهابيين في أرض الجزيرة العربية، كما أن معركة العدة وما تبعها من مناوشات بحسب وصف ابن سند لها، كمؤرخ عاصر تلك الأحداث كانت سجالات القتال بين شمر وقوات الأمير سعود بن عبد العزيز، وإن النصر كان حليف شمر رغم قلة عددها أمام القوات الوهابية الكبيرة التي أتى بها ابن سعود لولا مغامرة الشيخ مسلط الجربا التي أراد بها الوصول إلى خيمة الأمير سعود، ومن ثم مقتله، فضلا عن خذلان قسم من القبائل التي تحالفت مع الشيخ مطلق، التي تخلت عنه في أرض المعركة كالعمارات من عنزة، مما جعل الشيخ مطلق بعد وصول خبر مصرع الشيخ مسلط إليه أن سحب شمر التي معه شمالا، كما أن الأمير سعود بن عبد العزيز اتجه مع قواته بتجاه عنيزة.

رحل الشيخ مطلق عن نجد وترك بيوتات من آل الجربا على أرض نجد لم ترحل معه، ومنهم المسيحيون وآل سراح في الجوف، وكان لآل سراح هيبة على الجوف بأسلوب ربما لم يسبقهم فيه أحد قبلهم، حيث أقاموا أكثر من ٩٠ مضييفا في أنحاء متفرقة من منازلهم، لتكريم العُبريين وإطعام الجائعين، مع استقبالهم للضيوف، ومن بيوتاتهم المشهورة آل حطاب، وقد قضى على سلطاتهم في الجوف عبيد الرشيد الذي حاربهم وقضى على نفوذهم. بعد أكثر من ٥٠ عاما على رحيل الشيخ مطلق الجربا. (٣٨)

ساعد على اتجاه الشيخ مطلق نحو بادية العراق الذي هو متجه القبائل العربية في هجراتها منذ أقدم العصور، أن ممالك العراق الذين كانوا على حكمه من قبل الدولة العثمانية، كانوا في ترحيب لمقدم مثل هذه العشائر القوية التي كانوا في أمس الحاجة إلى رجالها، كي يستخدموها ضد هجمات آل سعود والوهابيين على العراق، وفي شن الحملات عليهم في عقر دارهم في قلب شبه الجزيرة العربية.

(٣٨). الخريصي، مرجع سابق، ص ٥٨.

إن جيش المماليك كان مؤلفاً من الفرسان الثقيلي العدد والعتاد، ولم يكونوا بقادرين على التصدي لقوات آل سعود القبلية السريعة، فضلاً عن عدم قدرة الفارس المملوكي على القتال وسط الصحراء، فحرب الصحراء وقاتل العشائر له أسلوبه الخاص، فكانت العشائر بالنسبة للمماليك العراق والدولة العثمانية من ورائهم خير سلاح يمكن أن يستخدم ضد آل سعود وأتباعهم الوهيلية^(٣٩).

جاء الشيخ مطلق الجربا إلى بادية العراق بعد أن تجول في البادية السورية متنقلاً بين بادية حماء وجبل البشري وتدمر، فضلاً عن الشنبل والسخنة من ارض الشامية السورية^(٤٠)، حتى وصل إلى ارض جنين من فلسطين عند ذهابه إلى عكا، ولا زالت قرية من أعمال جنين إلى اليوم تحمل اسم الجربا، وأخذ في مقارعة أتباع آل سعود متحالفاً مع المطير والمنتكف وبني خالد والبحيج والزكاريط وبعض من عشائر المنطقة، متاعاً إياهم إلى حد ما من الوصول إلى جنوبي العراق ولأعتداء على المدن والقرى العراقية الجنوبية، في الوقت الذي كان الوالي سليمان باشا الكبير يعد العدة لشن حملة كبيرة على آل سعود، هدفها القضاء على قوتهم وكسر شوكتهم، وإلحاق الهزيمة بهم في عقر دارهم بقلب الجزيرة، خاصة وأن السلطان العثماني سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م) كان يلح عليه في إرسال الحملة، لذا فإن اشتراك قبائل شمر في الحملة يعطي فرصاً أوسع لنجاحها، لما لهذه القبائل من خبرات في قتال أتباع آل سعود، فضلاً عن كبر عددها وشدة كرهها لهم في ذلك الوقت، وكانت شمر تبحث عن فرصة للتأثر لدم فرسانها من لدن أتباع آل سعود، وبالفعل اشتركت شمر تحت قيادة الشيخ مطلق الجربا في هذه الحملة التي أعدها سليمان باشا الكبير وأسند قيادتها إلى الكخدا علي بك^(٤١).

كان الوضع في جنوب العراق مهيباً لسليمان باشا لتجهيز هذه الحملة، فقد كانت كل من عشائر الخزاعة والصفير والمنتكف بأقسامها الأجود وبنوا ملك وبنوا سعيد المنضوية تحت عائلة آل شبيب (السعدون) الشريفة، وما

(٣٩). نول، آل محمد، ص ١١٤.

(٤٠). زكريا، مرجع سابق، ج ١، ص ١٠٧-١٠٨.

(٤١). عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ١٧٩.

ألتحق بها من العشائر الصغيرة في جنوب العراق تكن العداء لآل سعود والحركة الوهابية، التي ما فتأت تشن الحملات التحرشية على هذه العشائر بمناطق جنوب العراق في عهد الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود وابنه سعود.^(٤٢)

كانت هذه العشائر توجه من قبل الدولة العثمانية التي أرادت أن تقضي على آل سعود وأتباعهم، فأرسلت عام ١٧٩٧م حملة نحو الدرعية عبر الكويت والإحساء بقيادة ثويني بن ثامر شيخ المنتفك، الذي كان قد قاد حملة قبل عام من هذا التاريخ على الإحساء وتخوم نجد، استطاع أن يغمم الكثير من الغنائم ويعود إلى أرض المنتفك^(٤٣)، ولكن الحملة فشلت في أرض الإحساء هذه المرة بعد أن قتل ثويني على يد أحد عبيد بني خالد المسمى طمعيس^(٤٤)، في ٣٠ من حزيران عام ١٧٩٧م، فكانت هذه الحملة الجديدة التي جهزها سليمان باشا في العام ١٧٩٨م الذي كان مترددا كثيرا في إرسالها، وضع على قيادتها علي بك ياور الباشا سليمان وزوج ابنته، وهو في الواقع رجل مغرور سيء الخلق لا يحسن معاملة شيوخ العشائر البدوية لذا تنبأ الكثير بفشل الحملة قبل سيرها.^(٤٥)

سار علي بك في نفس الطريق الذي سارت به حملة ثويني، سوى أن قبائل شمر اتخذت لها خطأ آخر للمسير، لمرقتها بأرض الصحراء وللوصول ببسر إلى جبل شمر للقضاء على سلطنة آل سعود فيها من جهة، وللتخلص من مضايقات علي بك من جهة أخرى، وكان الشيخ مطلق على رأس هذه القبائل الشمرية فضلا عن بعض القبائل التي انضوت تحت رايته من الضفير والبيع وغيرها، ولكن هذه الحملة فشلت في تحقيق أهدافها بعد أن عقد علي بك صلحا مع الأمير سعود، في الوقت الذي أراد فيه الأمير سعود بن عبد العزيز ان ينتقم من شمر التي ساعدت المماليك ضده ولم يستطع ان يكسر شوكة قوتها في العدو، فأتجه إلى الأبيض الماء الذي كانت تنزله

(٤٢). ابن بشر، مرجع سابق، ج ١، ص ١١٠ - ١١١.

(٤٣). نفسه، ج ١، ص ١٠٩.

(٤٤). نفسه، ج ١، ص ١١٠.

(٤٥). لوريير، دليل الخليج (قطر: ١٩٧١م)، ج ٣، ص ١٥٨٣.

شمر مع من معها من العشائر بعد أن انفصلت عن حملة علي بك الفاضلة^(٤٦) لرفض الشيخ مطلق هذا الصلح والموقف الغير مسؤول الذي اتخذته علي بك من الأمير سعود وجيشه.

حدث اللقاء الحاسم بين الأمير سعود بن عبد العزيز والجربا في رمضان من عام ١٢١٢ هـ الموافق لشهر آذار من عام ١٧٩٨ م^(٤٧) عند الماء المعروف بالأبيض^(٤٨) من بادية نجد الشمالية، إذ أن الشيخ مطلق كان ينزل عليه مع من معه من شمر كخط أمان لحماية مناطق وسط وجنوب العراق من هجمات الوهابيين.

تطاحن الفريقان في قراع شديد وصل فرسان شمر وعلى رأسهم الشيخ مطلق وأخوه كرينيس في كر وضرب على اليمين والشمال وابلوا بلاء شهد به أعدائهم قبل الأصدقاء، هزم جيش ابن سعود في بداية المعركة، لكن القدر شاء أن الشيخ مطلق الجربا أسقط خزيم بن لحيان شيخ السهول، وهو من أركان جيش ابن سعود طعيناً برمح، فنادى خزيم من على الأرض بصوت عالٍ (جيرتك بالجربا): فابت نخوة الزكام أن يتركه بعد أن طلب جيرته، فنزل عن فرسه وترك سلاحه وأتى ليغيثه، ولكن خزيم هذا كان قد أضمر الشر بالجربا، فعندما انحنى عليه ليحمله أخرج خزيم خنجرًا للغدر صغيراً كان قد خبأه تحت ملابسه وطعن به الجربا في صدره فقتل عليه هذه الطعنة وسقط في أرض المعركة^(٤٩)، في الوقت الذي كان الأمير سعود يتمنى لو أن الشيخ مطلق وقع في يده أسيراً^(٥٠)، خاصة وأن الشيخ مطلق وشمر التي معه من بين قبائل شبه الجزيرة العربية الذين وقفوا في وجه آل

(٤٦). ابن بشر، مرجع سابق، ج ١، ص. ١١٢.

(٤٧). نفسه، ج ١، ص ١١٢.

(٤٨). السباهي، حياة، ص ١٤٩.

(٤٩). نفسه، ص ١٤٨-١٤٩.

(٥٠). صالح بن علي الحبيبي، موقف لدولة العثمانية من قيام الدولة السعودية الأولى

١٧٩٨-١٨١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب (الموصل: ١٩٩٦م)

ص ٩٦.

سعود وحركتهم الوهابية في ذلك الزمن، ولم يغيروا من موقفهم هذا، وخاضوا كل هذه المعارك دفاعاً عن موقفهم.

وأما يرويه ابن بشر من أن الجربا عثرت فرسه بنعجة وسقط عن فرسه، فقام خزيم بن لحيان بقتله، فهو تشويه للحقائق ونص كتب وفقاً لهوى المؤلف لا وفقاً للحقيقة، إذ كيف تأتي الأغنام وسط الفرسان في معركة كهذه معد لها، فضلاً عن أن الجربا وهو صاحب الخيل السوابق والفارس الذي شهد له العدو قبل الصديق بفروسيته، كيف لا يستطيع أن يتخلص من مثل هذا العلق الذي أمامه، وقد ناقش هذا الموضوع بحكمة وبشيء من التفصيل أنور السباهي في كتابه عن حياة الشيخ دهم الهادي ^(٥١)، كما أن ابن بشر هذا عندما يأتي على مقتل الشيخ بنية الجربا يذكر أنه عثر بشاة أيضاً وسقطت به فرسه، وكان الشياه تأتي في المعارك لتسقط الفرسان من الجربان وتقضي عليهم، لذلك لا يعول على نص ابن بشر وما جاء به.

ويقول ابن سند عن مقتل الشيخ مطلق الجربا أنه كان "في بادية العراق مطاعاً أمره مشاعاً في الأغوار والأنجاد ذكره لا يضرب مثل إلا بشجاعته وكرمه، ولا يلوذ طريق إلا بساحة حرمة، ولا تستباح إلا راحته، ولا تقبل إلا يمانه، إلى أن أصابه سهم الحمام ودرج شهيداً إلى دار السلام". ^(٥٢)



فرسان في البادية

(٥١). السباهي، حياة، ص ١٤٩، ابن بشر، مرجع سابق، ج ١، ص ١١٢.

(٥٢). ابن سند، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

وقد رثاه الكتّاب والمؤرخ عثمان ابن سند بقصيدة عصماء جاء فيها:

بكته العوالي والرقائق الصفاق
بكى لجا مما شجاه وماسل
لرزء امرئ صلت جرائ صلفج
صفوح سموح مطلق الكف بالندى
أشتم عصامي من النفر الألى
سيوف صناديد عظام امائل
لاغزهم مدأ واشهرهم على
فاودع في بطن الثرى منه يسمل
فما اغضض العينين يوما على قذى
فتى كان خواضاً لكل كتيبة
أتيح له سهم فأسكنه الثرى
فكادت به سلمى تهد ووحشت
لمطلق ما للبدو بعدك بهجة
وما هو لا قطر يراد ولا خبأ
ولاشيد من فوق الهضاب قبابه
لذن مت قال الجود ها انا ميت
فما أسرحت لولاك خيل لغارة
ولاتبع الاظلعان مثلك سيذا
وما سر عيش بعد فقدك واجدا
فلا قلب الا فيك مشغل أسى
نمك الى الغر الاكارم طي
غور على الجارات لا متطلع
فمنكم وفي أوصافكم يرتجى الندى
إذا ما أجزتم بالسيف مطردا
واصبح في ظل من الأمن وارفا

لذن غاب منه في الضريح الصفاح
وضجت ضجيجاً بالانواح الصالح
صبور إذا أشكت عليه الفواح
كان يديه للهيئات المفاح
فخارهم كاشمس ابيض واضح
ثمال لمعتر غوث مساح
واكبرهم قدراً اتيح الطوائج
عزيز لديه مشرفي وساح
ولا رام إلا ما تروم الصفاح
إذا لم يخض إلا الهزبر الصالح
فها كل قطر فيه ناع وناع
مراتع في انظها ومساح
فها هو من فرط الكآبة كالج
يشك ولا خال من الجود سافح
ولاشم ارواح الندى منه راح
بحوب امرئ يكره غدا وراح
ولا عشق الاشعل لولاك ماح
نمنه إلى العليا الكرام الجحاح
تألفه لولا نذاك الجرائح
ولا طرف إلا فيه جار وسافح
ضحوك المحيا هاجر الكف ماح
عليها ولا لسر منهن فاضح
العميم ويستحلى الرثا والمداح
تجنبه مما تخاف الجوارح
يراعيه سياف ورام ورامح

مأنكم للمعتفين غمام تظل وهن الغايات الرواح
فما زالت الاعراب ترجو لحرقكم وما كبرياح في النسيم المراح
واين من الهامك في الفضل ارجل وأين من الأدلى القووم الدوايح
فلولاكم لم يطرب البدو والفلأ ولا طربت للفزوكمت قوارح
سلى جلدأ لصبحت فيه من الرضا سحب ملث مرجحن ودالح
ولا زال منكم من يؤم فناؤه ويفشاه في الجلى طريد وملاح^(٥٣)

كان مقتل الشيخ مطلق الجربا ذا اثر بالغ على شمر، وحول نصرهما إلى انسحاب منظم من ارض المعركة تحت قيادة الشيخ فارس الجربا إلى داخل بادية السماوة بعد أن فقدت مع الشيخ مطلق ابنه سلطان واخوه الشيخ كرئيس، وهذا في الحقيقة ليس غريبا على الجربا في أن يفقدوا أعداداً من رجالهم وفرسانهم لأنهم يتقدمون الجموع في المعارك التي يخوضونها، ويكونوا في طليعة الرجال المهاجمين، كما انسحب الأمير سعود ومن معه إلى داخل نجد بعد أن فقد فرساناً من خيرة رجاله ومنهم: براك بن عبد المحسن رئيس بني خالد، ومحمد العلي رئيس المهاشير، وأعداداً كبيرة من رجاله.^(٥٤)

ونورد هنا هذه الأبيات التي قالتها زوج الشيخ مطلق في رثاء زوجها

ونيت ونه من شلع ضرسه الجاز الي صبر للجاز يجذب ونينه
عليك يا حامي المظاهير طهماز لجت فراقين العرب فاقدينه
جانا علي فرق الحر والهاز وغدا بصرك الجباري بحينه
الجمع من عيني بجي فرد واجواز والشيب لاح بكنتي قبل حينه^(٥٥)

(٥٣). نفسه، ص ٢٢٥.

(٥٤). ابن بشر، مرجع سابق، ح ١، ص ١١٢.

(٥٥). من التراث الشعري الشمرى.

كما رثا الشيخ مطلق الشاعر الحسيني دايص الهكاز بأبيات من الشعر

راكبين الهجن بالله تريضوا	خوذوا سلا من كالجواهر مثاليه
للعود عفيف الشمال مطلق	من ظهر عودن أعفان شماليه
مطلق ملجأ من الشمريات مثله	فعل أبازيد الي تذكر فعاليه
عزيز جبار وجارته ماذيرت	البا كصرت به وضافت محاليه
يزوم زينين المحارم شمر	يزوم قوم كل ابوها مداليه
خريصة ماوطوا للضد روسهم	لوه مع الأجانب أنفوس عاليه
خريصة من نور الصباحبه فعلهم	وأمرهم بالقوم بيضن خصاليه
تري العفن والنذل على الشيخ خيبة	يسا عاد هو نساوي المراكز عاليه ^(٥٦)

أصبحت شمر اثر هذا الانحساب جزا لا يتجزأ من التجمعات القبلية التابعة إلى ولاية بغداد وانفصلت كلياً عن نجد، وأضحت هذه الأرض التي خرجت منها بعيدة المنال عن يد آل محمد وشمر التي معهم في تلك السنين لتتمكن آل مسعود منها، فكان أن أخذت شمر وشيوخها آل محمد يبحثون بعد معركة الأبيض عن ارض جديدة ليستقروا عليها بشكل دائم، ويصف كاتب معاصر رحيل شمر عن أوطانها مع شيوخها آل محمد الجربا بقوله: "وأسرة آل الجربا من الأسر التي تقتخر بلادنا بأمجادها، فعندما رحلت إلى العراق وسوريا كانت بناءً وطنياً في هذين القطرين، وكونت ألبا نجدياً هناك، ونشرت العادات والتقاليد العربية الأصيلة التي تربت عليها وحملتها معها".^(٥٧)

في حين بقيت العلاقة متينة مع شمر نجد إلى اليوم، وقد توجد أهل الجبل من شمر على رحيل الجربا وشمر التي معهم إلى العراق وبلاد الشام، وقالوا في تلك القصائد والأبيات الشعرية، فهذا ابن رمان يتوجد على رحيل الجربا وشمر عن الجبل بهذه الأبيات:

(٥٦). نفسه.

(٥٧). الظاهري، مرجع سابق، ص ١٠.

يا قلب يا مقلوب يا ما ويا ما
الله على قضية غزال النظام
لو ارجيت من جابههم بس علما
جساية العودان ريش النعامة
يتلون فتخان الأودي الكراما
عيال اشيوخ وتنتبهم افهاما
يا ما عليك مثل الخسائر والأرباح
ما هو الغزال الي مع الصيد سراح
ومن حظهم ما بين تيماء والأسياح
غلبا وعندهم قطع الأسلاف تنزاح
الي تغلوا على كل القبائل بالأمداح
اولاد سيج مروية عطف الأرماح^(٥٨)

ويقول الشاعر مبارك الخطيب في الشيخ مطلق:

يا راجب من فوق حرداير
ولد ذلون من اخيار العشائر
تلفي لحو جوزة عفيف القصاير
يا مطلق الجربا وانا منك صاير
ما تشوف قدر الحرب والشيخ فاير
ولا تشوف ازيير لوجاك ناير
ماجت به الدنيا ولا درى وين صاير
واكثر خلفه بالايالي صواير
منوة غريبن لا انتوى لذلوفي
سوهاج روهاج دو الهروفي
الي ولا بالسيف سبعة اصلوفي
وصارت حياتي للنعا والكسوفي
وما يخبث الماء اذان الخروفي
مثل حلايا راعي البهو من موففي
الأيمان اليما حصل ضربه كفوفي
واليوم على ماله يروفي^(٥٩)



(٥٨). من التراث الشعري لشمري.

(٥٩). نفسه.

الفصل الثالث

الشيخ فارس الجربا

الشيخ فارس الجربا

لقد أعطتنا المدونات التاريخية مادة جيدة عن الشيخ فارس المحمدي الشمري الذي كان مع أخيه الشيخ مطلق الجربا عند الأبيض، بعد أن بقي فترة من الزمن رهينة عند آل سعود في الدرعية ثم هرب منهم، وبعد مقتل الشيخ مطلق عام ١٧٩٨م، كان لا بد للشيخ فارس الجربا في أن يتودد جموع شمر التي كانت في صراع وقتل شديدين مع ابن سعود وقواته.

ظهرت براعة الشيخ فارس عندما أستطاع سحب قبائل شمر بحكمة وهدوء بعد أن فرت القوات العثمانية والمملوكية فضلاً عن قوات المنتفك من أرض المعركة، وتركوا شمر وحدها تواجه هذا الجمع الضخم من الوهابيين، واتجه بها نحو الأراضي العراقية من منطقة السماوة في موقع آمن جنوبي الفرات، لتأخذ شمر قسطاً من الراحة محاولاً إعادة تنظيمها وجمع أفرادها بعد هذا الرحيل الطويل والصراع الدامي مع آل سعود وقواتهم.

لقد ساندته في القيادة ابن أخيه الشيخ ابنه بن كرينيس، ونزلوا جميعاً حجلاً من أرض الشامية جنوب العراق^(١)، في حين انسحب الأمير سعود مع أتباعه إلى داخل الأراضي النجدية بعد أن خسر أعداداً كبيرة من جنده و مقتل عدد من خيرة فرسته.

كان الشيخ فارس الجربا في بداية العشرينات من عمره عندما أصبح شيخاً على شمر، وهو على علم تام بكل ما كان قد قام به أخيه الشيخ مطلق من اتصالات مع العثمانيين ومع ولاية بلاد الشام، لذلك نراه يحاول أن يوطد العلاقة مع سليمان باشا الكبير الحاكم المملوكي على العراق، وأن يكون يده التي يضرب بها قوات آل سعود لسببين، تمثل أولهما في محاولة الشيخ فارس الاستقرار في أرض العراق لما رآه من خصوبة الأرض ووفرة

(١). خلف روي الجميلي ومحمد عجاج جرجيس، مخطوط بعنوان شمر الجربا، نسخة خطية تطلع عليها الباحث عند الشيخ خالد أحمد صفوك الفصيل، ورقة ٢١، لوبنهايم، ليند، ج ١، ص ١٩٢.

المرعى والمياه، مما يجعل شمر في رغد من العيش، وأن لا تكون في تماس وصراع مع من جاورها من القبائل بشكل كبير، لكبر حجمها وشدة بداوتها بالنسبة لمن جاورها من القبائل، وتأتيهما لأن فارساً لم ينس الدماء التي أزهقها الوهابيون من شمر وعلى الأخص الشيوخ مسلط ومطلق وسُلطان وكريينس، مع عدد كبير من فرساتها، فكان لابد من الابتعاد ولو مؤقتاً عن الصدام مع آل سعود والوهابيين.



بدوي قد اصطاد نمرا (الصورة في بداية القرن العشرين)

استمرار الصراع مع الوهابية ١٧٩٨-١٨٠١م

شاركت شمر بقيادة الشيخ فارس الجربا في كل الحملات التي جهزها سليمان باشا الكبير بأمر من السلطان العثماني سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م) ضد الأمراء من آل سعود وأتباعهم الوهابيين، وكقتت العلاقة بين سليمان باشا والشيخ فارس قد توطدت وقويت بمساعدة شخص من شمر من آل جعفر هو إبراهيم بك بن عبد الجليل الشمري، الذي كان أحد المساعدين للوالي، وأمير الحج العراقي، وهو من سكنة مدينة الحلة، فقوى العلاقة بين الشيخ فارس والوالي سليمان باشا الذي كان ينظر إلى شمر على أنها قوة قبلية قوية ذات مراس ومعرفة جيدة بقباع آل سعود من الوهابية وأساليب قتالهم، لذا كان لابد من استغلال هذه القوة في الصدام معهم^(١).

بعد أن انتهت حملة الربيع من عام ١٧٩٩م التي لم يحدث فيها قتال وعقدت هدنة هشة بين العثمانيين والأمير سعود بن عبد العزيز، وأثناء انسحاب الحملة تعرضت شمر إلى هجوم مباغت من قبل السبعة من عنزة، فتصدت لها شمر بقيادة الشيخ فارس الجربا ودارت معركة ضارية بين الطرفين كان النصر فيها حليف الشيخ فارس وشمر، كسرت السبعة وقتل عدد كبير من فرسانها وضمنت شمر أعداداً كبيرة من الخيول والجمال والأغنام، وعاد الشيخ فارس وشمر من هذه الحملة منصورين^(٢).

جهز والي بغداد سليمان باشا الكبير حملة أخرى ضد آل سعود في صيف نفس العام أي ١٧٩٩م، وأنشط بقتلها إلى الكهية علي باشا، وقد وصل الجيش الذي كان يضم ٥ آلاف من الإنكشارية وفرقاً من قبائل شمر

(٢). العزوي، عشائر العراق، ج ١، ص ١٤٤، نور، آل محمد، ص ١٠٥، الفريق الركن عدنان أحمد آل عبد الجليل، آل عبد الجليل أمراء الحلة ولحج، نص عائلي مطبوع على الحاسوب حصل الباحث على نسخة منه، ص ٤.

(3). Williamson, Op. cit, p23,

العزوي، عشائر العراق، ج ١، ص ١٤٥.

تحت قيادة الشيخ فارس الجربا والعقيل إلى البصرة في كتون الأول من نفس العام، ليصل عدد القوات العربية المشاركة في الحملة إلى ١٠ آلاف مقاتل عندما انضمت إلى الحملة قوات من المنتفك وبني خالد والصفير، غادرت الحملة الزبير في ز هو واستمرت لمدة سنة آلت نتائجها إلى هنة ضعيفة بين آل سعود وحكومة بغداد^(٤).

ولكن خطة سليمان باشا التي كانت ترمي إلى جمع عدد كبير من العشائر المعادية لآل سعود وضربهم من خلالها لم تتوقف^(٥)، وكذلك آل سعود الذين ما فتئوا يحاولون ضرب القبائل في جنوبي العراق في محاولة منهم للوصول إلى المدن المقدسة في كربلاء والنجف ونهيهما، فكانت شمر بقيادة الشيخ فارس بمثابة خط الأمان الأول لحكومة بغداد تجاه هذا الخطر. فمن خلال شمر والصفير اللتين كلتا على الحدود الجنوبية للعراق تتم مراقبة تحركات الوهابيين وتحركاتهم بالقبائل والمدن العراقية الجنوبية. حاول الوهابيون الوصول إلى النجف وكربلاء عام ١٨٠١م في آن واحد، وقامت شمر وقسماً من قبيلة العبيد تحت قيادة الشيخين فارس الجربا ومحمد بن شاي بالاشتباك مع القوات السعودية قرب كربلاء المقدسة في منطقة شتاة صيف عام ١٨٠١م، ثم توقف القتال بين الطرفين نتيجة لعطش الجانبين وعدم كفاية المياه^(٦)، وقد حاول الشمامسة حماية كربلاء المقدسة من غارات آل سعود، ولكن بعدها بأسابيع حدث ما قل عنه لونكريك: أن الفاجعة الكبرى التي دلت على منتهى القسوة والهمجية والطمع والتي استعملت باسم الدين تلك هي: غزو آل سعود وأتباعهم الوهابيين لكربلاء المقدسة وتخريبهم لها و لمرقد الحسين والعباس في ٢٠ شباط من

(4). Williamson, Op. cit, p21-22.

الشيخ رسول لكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الوزراء، ترجمة موسى كاظم نورس (بغداد: دون تاريخ) ص ٢١٤.

(٥). نواز، داود باشا، ص ٩٦، ٩٧.

(٦). ستيغفسن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق لحدث، ترجمة جعفر خياط (بغداد: ١٩٧١م) ص ٢٦٠.

عام ١٨٠١م^(٦)، بعد أن كان معظم أهل كربلاء قد غادروها إلى النجف الأشرف لأجل الزيارة، وقتل عدد كبير من الأبرياء داخل صحن مرقد الحسين (عليه السلام)، في حين كانت شمر تحت قيادة الشيخ فارس الجربا بعيدة عن موقع الحدث، ولم تستطع الوقوف بوجه هذه القوة التي أتت باسم الدين، فخربت وقتلت ونهبت الأموال وهي متسترة به^(٧).

حاول الشيخ فارس بعد المعارك الطاحنة التي خاضها ضد آل سعود وأتباعهم ما بين ١٧٩٨-١٨٠١م أن يراجع الحال الذي آلت إليه شمر، والتعب والإنهاك العسكري الذي أصابها نتيجة لهذا الصراع المستمر الذي خاضته مع الوهابيين، وموقف السلطة المملوكية من هذا الصراع، ومحاولة استخدام باشوات المماليك في بغداد لشمر كدأء لضرب أتباع آل سعود، ورأس الحربة في المعارك التي خاضوها ضدهم، فقد كان على الشيخ فارس الجربا أن يبحث لشمر عن موطن جديد للعيش، ومكتة جديدة ثابتة بين القبائل العراقية المتوطنة، فهو لا يمكنه البقاء على أطراف الصحراء القليلة الكلا والماء جنوبي الفرات، خاصة أنها كانت تعاني من موسم شديد الجفاف، كما إنه لا يمكنه أن يلحق القبائل الشمرية التي معه إلى إخوانها التي كانت قد سبقتها إلى العراق منذ عام ١٦٤٠م، وهي التي كانت قد دخلت في صراع مع الحكومة العثمانية وقدمت الكثير من الضحايا حتى استطاعت أن تستقر في النصف الثاني من القرن السابع عشر حول مناطق الحلة والفلوجة وشرقي دجلة المتمثلة (بشمر طوكة) وأسلم وزوبع والمسعود^(٨)، فهي لا تملك من الأرض والمنتوج الحياتي ما يكفي هذا الحشد الضخم من قبائل شمر التي جاءت مع الشيخ فارس إلى أرض العراق الجنوبية والغربية.

(٧). نفسه، ويشير د زهير علي النحاس، بادية الجزيرة العراقية موطننا للبدولة العربية لنجدية، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد:، ٢٠٠٠م)، ص ٣١٤، أن هذه القبائل انفصلت كليا عن باقي شمر وهو غير صحيح لأن الروابط العشائرية بقيت بينها وإلى الوقت الحاضر

(٨). د محمد بن سلمان الخضيري، تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج (لندن: ٢٠٠١م) ص ١٣٢-١٣٣.

(٩). لونكريك، أربعة قرون، ص ٢٤٢، نوار، داود باشا، ص ٩٣٩٢.

كما إن الشيخ فارساً بعد هذا العداء المستفحل الذي حدث بينه وبين آل سعود لا يمكنه العودة ثاقية إلى نجد التي شهدت خلال السنوات التي نتحدث عنها مزيداً من القحط والجفاف، فكان لابد إذن من الشيخ فارس أن يبحث لشمر التي معه عن موطن آمن، فأتجه الشيخ الشجاع صاحب الحكمة والرأي نحو الشمال باتجاه الجزيرة الفراتية بمن معه، ليضمن لقبائله العيش الرغيد والأمان من الاحتكاك والاصطدام المباشر مع القوات الوهابية.



فرسان على خيلهم

الإقليم الجبلي (الفراتية)

هاجرت شمر مع الشيخ فارس الجربا إلى أرض الجزيرة الفراتية، ولفظة الجزيرة وصف يلائم تماما لهذا الإقليم الجغرافي، وهو تعبير يرجع في أصوله التاريخية إلى القرن السابع الميلادي، ويشتمل على المنطقة التي تقع في العراق وسوريا حاليا وتمتد بين نهري دجلة والفرات، وينعم هذا الإقليم بأهمية جغرافية إستراتيجية عظيمة، لأن هذا الإقليم يعد مفترق طرق التقت عنده أنهار عدة وطرق تجارية ساهمت في بناء إمبراطوريات على مدى التاريخ القديم والوسيط، ولكنه وبعد الغزو المغولي للعراق وسوريا أخذ هذا الإقليم يفقد كثافته السكانية بين القرنين ١٣ و ١٨ الميلاديين مما أحال أجزاء كثيرة منه إلى خراب. (١٠)

إن الشكل الجغرافي لهذا الإقليم عبارة عن سهل واسع ينحدر من الشمال إلى الجنوب، ويعد امتداداً للسلاسل الجبلية التي تقع شماله وشمال شرقه، وانحداره ما بين ١٥٠٠ قدم في الشمال إلى ٢٥٠ قدم جنوبه، ونحن في دراستنا هذه لهذا الإقليم سوف نركز وبشكل أساس ودقيق على الموقع الذي اتخذته شمر في سكناها الممتد من جبل سنجار وجبل عبد العزيز في الشمال ورأس دلتا دجلة والفرات التي تمتد لعشرات الكيلومترات جنوبي بغداد حدا جنوبيا، وتعد الجهة الشرقية للفرات والخابور الحدود الغربية، ويمثل نهر دجلة الحدود الشرقية لهذا الإقليم الذي ما يزال سكنى شمر إلى الوقت الحاضر. (١١)

يعتمد الإنتاج الزراعي والرعوي لهذا الإقليم بالدرجة الأولى على سقوط الأمطار. الذي هو أساس الإنتاج الزراعي والسكن البشري، ويعاني الإقليم عموما من أن سقوط الأمطار السنوي فيه أقل من المناسب، وبسبب نمط سقوط الأمطار الدوري المتناوب بين فصل ممطر وآخر جاف شكل صعوبات حمة للمزارعين والرعاة.

(10). Williamson, Op. cit, p5.

(11). Ibid.

يقع الفصل الممطر بين تشرين الثاني وأيار بينما يبدأ الفصل الجاف في وقت مبكر من حزيران، ويمتد حتى تشرين الأول، ومتوسط سقوط المطر السنوي بين ٥ و ١٠ بوصات لأغلب الإقليم، وترتفع درجات الحرارة ارتفاعاً ملحوظاً في الصيف إلى أكثر من ٤٠ درجة مئوية في الصحراء، ويقوم نهرا دجلة والفرات بتوفير المياه لهذا الإقليم الذي لولاها لما استمرت الحياة المعتمدة على سقوط الأمطار،^(١٢) فضلاً عن ذلك فإن هناك وديان تخدم هذه الأرض بمياهها من أهمها وادي الثرثار الذي يبدأ جنوب سنجار ويتجه نحو الجنوب بموازات نهر دجلة لينتهي قرب الرمادي.^(١٣)

تغطي النباتات الربيعية البرية من الخشخاش الأحمر والشعير البري والهندباء وبعض الأشجار والشجيرات الشوكية مساحات واسعة من هذا الإقليم، لتتحول إلى بعض الشجيرات الشوكية والأغصان الجافة المقطوعة في فصل الصيف، وهذا التنوع في النبات الطبيعي ساعد على الرعي للقبائل البدوية، وتمثل هذا الرعي بين الأغنام والماعز، وقطعان الإبل والحمير، وغيرها من حيوانات الركوب كالخيل والبغال، ولقد حدد لنا البدو سكان هذا الإقليم مساحة هذه الأرض نسبياً بأن طولها ١٢ يوماً وعرضها ٦ أيام من الموصل شمالاً إلى عانة على الفرات.^(١٤)

لقد سكن هذا الإقليم أنماط مختلفة من السكان، كان الماء العامل الرئيس في نموهم وتركزهم وتوزيعهم على أرضه بحسب طبيعتهم المعيشية، فسكنت القبائل البدوية الرحل جزءاً كبيراً من الإقليم وشكلوا جماعة رئيسة فيه، إذ أن طريقة حياتهم الرعوية استغلت على نحو أمثل موارد الصحراء المحدودة، وتمركز البدو العرب الصحراء العراقية السورية ومناطق السهوب الجافة من هذا الإقليم، في حين أن جماعة بدوية رعوية أخرى احتلت في سكانها السفوح الشمالية للإقليم، تمثلت ببعض القبائل الكردية التي

(12). Ibid, p6.

(13). Ibid, p7.

(14). Ibid, p8.

سوف يكون لها تماس مع قبائل شمر فيما بعد، فضلا عن اليزيدية الذين سكنوا وديان وسفوح جبل سنجار. (١٥)

كان يسكن في هذا الإقليم عند وصول الشيخ فارس وشمر عدد من القبائل الكبيرة. أمثال طي والعبيد والجبور، الذين كانوا قد استقروا على ضفاف نهر دجلة الغربية قرب الشرقاط فضلا عن العديد من القبائل الصغيرة نسبيا أمثال ابو حمد، الحديديين، الجحيش، الشرابييين، فضلا عن الدليم والجنابييين الذين استوطنوا ضفاف الفرات، وملأوا الحد الجنوبي لمناطق سكنى شمر على هذه الأرض. (١٦)

كان هذا الإقليم إلى حد ما تحت سيطرة الحكومة العثمانية متمثلة في سلطاتها الإدارية في بغداد والموصل وحلب، التي كانت تمثل أكبر مدن الجزيرة التي اعتمد عليها العثمانيون خلال القرنين الثامن والتاسع عشر في فرض المركزية الإدارية والسيطرة الكاملة على هذا لإقليم، وقد ربطت القوافل التجارية بين هذه المراكز لقرون، بالرغم من أن منأ أخرى أصغر في الجزيرة قامت بنفس الدور، ولكن على نطاق أضيق، مثال مدن الفرات هيت وعانة والرقعة، فضلا عن دير الزور التي كانت تعد نقطة توقف للقوافل التجارية بين بغداد وحلب، والعرب هم أغلب سكان مدن الجزيرة عامة، (١٧) واتبع هذا الإقليم في بداية القرن التاسع عشر باشوية بغداد (١٨).

(15). Williamson, Op 'cit, 8.

(16). Williamson, Op 'cit, p8-9.

ابن بسام، مرجع سابق، ص ٧٤.

(17). Williamson, Op 'cit, p 9.

(١٨). أوليفيه، رحلة أوليفيه إلى العراق، ترجمة د. يوسف حبي (بغداد: ١٩٨٨م)، ص ٤٥.

الاستقرار في أرض الجزيرة الفراتية

في أواخر خريف عام ١٨٠٢م كان التحرك الأول لشمر تحت قيادة الشيخ فارس الجربا إلى أرض الجزيرة الفراتية جنوبي جبل سنجار، وبمحاذاة الطريق العام بين الموصل وبغداد (الطريق السلطاني). ولم يكن هذا التحرك نتيجة فكرة أنية أقرها شيخ القبيلة، بل جاء نتيجة للصراع المرير الذي خاضته شمر مع آل سعود، وطبيعة المنطقة شبه الجافة التي كانوا يعيشون فيها جنوبي العراق كما بيناه انفاً، فكان عليهم إما الاتجاه شمالاً والسكن في إقليم بين عشائر مستقرة وتحت سيطرة الحكومة العثمانية وسيادتها. المتمثلة بولايتي بغداد والموصل، أو العودة إلى أرض نجد، وهذا من المستحيل طبعاً لأنه لم يعد لشمر والشيخ فارس الجربا مكان فيها بعد الصراع الدموي الذي خاضته شمر مع ابن سعود.

لم يتخذ الشيخ فارس قراره جزافاً في التوجه نحو الشمال والسكن في أرض الجزيرة، بل جاء قراره بعد استطلاع قام به مع ابن أخيه بنيه بن كرينيس، والراجح عندنا أن الشيخ فارس في نهاية عام ١٨٠١م قام بهذا الاستطلاع مع جمع من شمر يقدرون بخمسين بيتاً إلى إقليم الحضر من أرض الجزيرة عبر هيت، ونزل ضيفاً على قبائل العبيد والجبور وطى، ثم عاد بعد مدة قصيرة إلى جنوبي العراق وأرسل أعداداً من شمر فنزلت هذا الإقليم، ثم جاء الشيخ فارس مع من تبقى من شمر إلى هذه الأرض وأراد أن يرد إكرام قبائل العبيد وطى والجبور له في جيبته الأولى، فقام بتقنين مناسف ضخمة للطعام عندما دعا شيوخهم لمضيفه، وعلق بها السكاكين ليسهل على كبار السن منهم من الوصول للحم وتقطيعه^(١٩)، فكانت هذه السكاكين أن اقترنت لقباً بالشيخ فارس فسمي (أبو السكاكين)، مما حدا بشيوخ هذه القبائل ورؤسائها التفكير بقتل الشيخ فارس الجربا ومن معه من رجال لأنهم علموا

(١٩). لعزوي، عشائر العراق، ج ١، ص ١٤٧.

أن أتباعه كثيرون^(٢٠)، وسوف يصبحون منافسين على الأرض لعشائريهم، ففكروا في التخلص من هذا المنافس الجديد، لكن شيمتهم العربية وأخلاقهم منحتهم من ذلك.^(٢١)

بعد بقاءه فترة قصيرة في أرض الجزيرة استطاع الشيخ فارس أن يعرف مدى ما توفره هذه الأرض من كلاً ومرعى لإبل وأغنام شمر، وأن هذه الأرض هي أفضل معاش لقبيلته و يمكنه أن يستقر فيها.

حاول الشيخ فارس أن يقوي نفوذ شمر على هذه الأرض، فأصطلم فيما بعد مع العبيد التي كانت قد شكلت تحالفاً قريباً من قبل مع مجموعة من العشائر هي الحلیم والجبور والعزة والغريز والفراج والكبيشات، وأبعدت الموالي إلى الشمال من جبل عبد العزيز وجبل سنجار، وأسكنوا إقليم أورفه.^(٢٢) دخل الشيخ فارس في نزاع مرير مع العبيد حول السيادة على منطقة الجزيرة، عاونهم فيه ضد الجربا وشمر طي العراق، كان من نتيجته أن استقرت الحروب والمعارك لصالح شمر الجربا القبيلة البدوية المتمرسية على القتال، وتركت العبيد أراضيها قرب جبل سنجار، وعبرت دجلة إلى منطقة الحويجة قرب مدينة كركوك، ومما ساعد شمر على هذا النصر أن باشوية بغداد كانت غاضبة على العبيد وشيوخها (آل شاوي)، فسادت شمر والشيخ فارس في حربه معها، كما اتجه الجبور نحو الخابور وقسم بقي يسكن بالقرب من دجلة عند الشرقاط في حين أن طي استوطنت في المناطق التي تقع شمال غرب الموصل، وأصبح لشمر السيادة الكاملة على إقليم الجزيرة الفراتية، وقد تم ذلك في العام ١٨٠٥م.

قامت باشوية بغداد بمساعدة الشيخ فارس وشمر التي معه في حربه مع العبيد، وكانت سلطات بغداد قد أعدمّت أثنيّن من رؤساء العبيد هما محمد

(٢٠). د عماد عبد السلام رؤوف، الحياة الاجتماعية في العراق إبان عهد المماليك ١٧٤٣-١٨٣١، رسالة دكتوراه غير منشورة (القاهرة: ١٩٧٦م) ص ٢٠٥، زكريا، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٧١.

(٢١). زكريا، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٧١، الفلوي، لبادية، ص ٩٥-٩٦، د. محمد عجاج جرجيس، التكوين التاريخي لبلدة الشرقاط (الموصل: ٢٠١٠م) ص ١٩.

(٢٢). لوينهايم، رحلتي من لبحر، ج ٢، ص ٧٩-٨٠، رؤوف، الحياة الاجتماعية، ص ٢٠٦.

وعبد العزيز من آل شلوي قرب تلغفر بعد أن اتهمتهما الباشوية بالخيانة العظمى، وبلتعاون مع الوهابية وال سعود، فأسعر هذا الإعدام نار الحرب بين شمر والعبيد، وقد شاركت القوات الحكومية في مناصرة الشيخ فارس الجربا وشمر، فقام والي بغداد بإعلان النفير العام في مقاطعة كردستان، وتشكلت قوة عثمانية حاصرت مع شمر العبيد ومن معهم من العشائر في منطقة الحويش قرب سنجار، و قتل في هذه المعركة من العبيد ومن معهم من القبائل المتحالفة حوالي ١٠٠ شخص، بعد أن كانت المنوشات بين شمر والعبيد قد استمرت حوالي ٩٠ يوماً، وقتل من شيوخ العبيد في هذه المعارك ضامن بن محمد الظاهر وأخوه سليمان^(٢٣)، كما وأن باشا بغداد اعطى الشيخ فارس على اثر هذه المساندة منصب باب العرب بدل آل شلوي من العبيد.^(٢٤)

يصف لنا المؤرخ ابن بسام شمر وقوتها وعدد فرساتها على عهد الشيخ فارس عند وصوله ارض الجزيرة الفراتية بقوله: "وهم أكرم العشائر عشيرة، وأرفعهم عماداً، وأكرمهم أخوالاً وأجداداً، وأصحهم من ذكر المكارم إسناداً، وأقدم في الحرب وإن جردت سنقها في الغضب، ولو أجهدت أقلامي في لغتهم وساعدت أيامي كما أدركتهم، ولكن الكثير على القليل يحمل، ويكفي اللبيب على المفصل مجمل ... وأما سكمانيهم فلأف وفرساقهم ألف ومائتان".^(٢٥)

لقد أعطانا هذا الوصف قوة شمر دون ما يتبعها من قبائل وأحلاف، وهو عدد كبير إذا ما قيس بما كانت عليه القبائل في عدد السكمانية (الرامة) والفرسان فيها، وهي صورة توضح لنا أن شمر على ما تملكه من القوة، فقد وصف أهلها بالكرم وطيب الأخلاق الذي ظل إحدى أبرز سمات أفرادها إلى وقتنا الحاضر، فهو تحدث عن قبيلة عظمى ذات شمم وقيم قبلية

(23). Williamson, Op 'cit, p21-23.

أ. زهر العبيدي، لمارة العبيد الحميرية (الموصل: ١٩٩٤) ج ١، ص ١٤٠-١٤٦

(٢٤). لوينهايم، ليدو، ج ١، ص ٢٣٦.

(٢٥). لبسام، مرجع سابق، ص ٧٦.

كبرى كانت ذات لسان وشأن، إنها هامة الأمة التي تمثلت فيها قيم المجتمع العربي الأصيل كله. (٢٦)

استقرت شمر على هذه الأرض ونظمت حياتها وقفا للظروف الطبيعية لهذا الإقليم، إذ كانت شمر في بداية الربيع تقيم في إقليم الحشاش المتاخم للصحراء، وعندما ترتفع الحرارة ويأتي الصيف تتجه شمر شمالا باتجاه مناطق جبل سنجار وجبل عبد العزيز، وتستقر عادة حول العيون والينابيع الكثيرة في هذا الإقليم، ومع سقوط الأمطار تبدأ شمر بالتسوق من المدن وبيع المنتجات التي تم تحصيلها من الحيوانات المدجنة، وشراء الضروري من المواد لإدامة حياة أفرادها من الحبوب والتمر ومستلزمات الخيام وأدوات الطهي والنوم، وما تحتاجه حيوانات الركوب من مستلزمات الحمل والشد، ليأتي فصل الشتاء فتتجه شمر نحو الأراضي الواقعة بين نجلة والفرات في مناطق عركوف وأبو غريب الحالية، ويكون هذا الإقليم الممتد من السويدي شمال جبل سنجار إلى الخلبور شمالا، وإلى منطقة البغلة (النعمانية) والحلة جنوبا.

على هذه الأرض ووجود المراكز الحضرية القوية المتمثلة في ولاية بغداد و مدن الموصل ودير الزور، ووجود سلطة حكومية قوية إلى حد ما، محاصرة لهذا الإقليم من كل جهته عاشت شمر حياتها مع الجربا شيوخها.

حاول الشيخ فارس أن بتعليش مع هذا الوضع الذي كان جديدا على شمر. وأستطاع أن يجد له ولشمر مكانة قوية فيه، كان الأساس الذي أستند عليه الشيخ صفوك فيما بعد، وخلال هذه الفترة من إقامة الشيخ فارس في أرض الجزيرة الفراتية التجأ إليه الأمير داحس أمير الخوالد بعد أن سيطر الأمير سعود بن عبد العزيز على الإحساء، في حين بقي أخوه محمد في بغداد إلى أن توفي بها، وهذا مما يدل على قوة شمر ومكانة قائدها الشيخ فارس الجربا في ذلك الزمن، والأمن والحماية التي كان يقدمها لمن يلتجئ إليه من

(٢٦). الخريصي، مرجع سابق، ص ٧.

شيوخ القبائل الأخرى^(٢٧)، وهو بذلك كان يجسد شخصية العربي الحقيقية التي يصفها الرحالة داريغيو بقوله: "أن كل عربي حقيقي يملك خلق البدوي وفضائله وعقليته الجيدة"^(٢٨).



نموذج من صياني الجربا وقد جمعت الشيخ صفوك الفيصل (حمر عين) في الوسط وعن يمينه محمد العبد المحسن الرشيد وعن يساره صالح السيف من أهل القصيم

(٢٧). مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص ٧١.

(٢٨). جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة ندرى قلجعي (بيروت: دون تاريخ) ص ١٢٢.

الشيخ فارس والعثمانيون ١٨٠٣-١٨١٨م

حاول الشيخ فارس بعد أن وطد أقدام شمر على أرض الجزيرة أن يكون مع العثمانيين، وأن لا يصطدم بالسلطة المملوكية الحاكمة في بغداد، خاصة وأنه منذ البدء وضع مصلحة شمر واستقرارها فوق كل اعتبار، فبعد وفاة سليمان باشا الكبير ومجيء علي باشا على رأس السلطة في بغداد (١٨٠٢-١٨٠٧م): كون الشيخ فارس علاقات ودية قوية مع الباشا الجديد، وأظهر له أن شمر عنصر استقرار وأمان في أرض الجزيرة الفراتية، وهي مع سلطات بغداد فيما تصدره من أوامر، وهذا طبيعي من مثل الشيخ فارس الجربا الذي أراد أن يثبت أقدام شمر على هذه الأرض.

ففي عام ١٨٠٣م حاول يزيدو سنجار التمرد على سلطة بغداد فجهز علي باشا حملة لمحاربتهم، وتوكيدا منه للتعهدات التي قطعها لسلطات بغداد في أنه معها فيما تصدره من أوامر كان الشيخ فارس الجربا مع رجاله في طليعة القوات التي انضمت إلى الباشا في حملته، كما انضم إليها آل شاوي من العبيد محمد وعبد العزيز، ولكن الباشا أعدمهما في تلغفر بعد أن انتهت الحملة على اليزيدية محاولا بذلك القضاء على قوة العبيد، بعد أن كان قد اتهم عبد الله بالخيانة في حملة ١٧٩٩م ضد آل سعود، وبتعاونهم معهم^(٢٩)، وعلى أثر ذلك الإعدام تمردت العبيد فيما بعد، فجهز الباشا حملة قوية لقتالها كانت شمر في الطليعة عام ١٨٠٤م انتهت وقلعها بالتكسار العبيد وسيطرت شمر السيطرة الكاملة على إقليم الجزيرة الفراتية بلا منازع، وتوجه العبيد إلى نهر دجل والحويجة والعظيم من وسط العراق مع بدايات العلم ١٨٠٥م كما مر بنا. (٣٠)

استمر الشيخ فارس في علاقته مع علي باشا و سار معه عام ١٨٠٥م إلى الحلة لملاقاة الوهابيين، وانتصرا عليهم ومنعاهم من أن يأتوا

(٢٩). الكركوكلي، مرجع سابق، ص ٢٢٤..

(30). Williamson, Op. cit, p24

العبيدي، مرجع سابق، ج ١، ص ١٤٦.

ثاقبة إلى كربلاء والنجف المقدستين^(٣١)، ولما قتل الوالي علي باشا عام ١٨٠٧م وخلفه في الحكم ابن أخيه سليمان باشا الصغير في ربيع عام ١٨٠٨م، ومع نكاه ودهاء هذا الباشا وشجاعته إلا أنه كانت تنقصه الخبرة الكافية، إذ أنه كان في الثانية والعشرين من العمر، مما أتاح هذا الحال من الباشا الصغير للشيخ الجربا أن تكون له السطوة العليا على شؤون الحكومة فيما يخص الجزيرة الفراتية وقبائلها، وتصرف في هذا المضمار كسلطان قوي بلا منازع، يسنده في القيادة ابن أخيه الشيخ بنيه الذي كان قد قام بزيارة ودية إلى والي الموصل عام ١٨٠٥م في اثر الحرب بين شمر والعبيد، وتم الترحيب به وجهاز الوالي قوة من حرسه لحماية الشيخ البدوي ذي الملابس البدوية النجدية الغريبة على أهل الموصل في ذلك الوقت، لأجل حمايته من فضول العامة في أسواق الموصل.^(٣٢)



الشيخ سعيد بك مع رجاله من اليزيدية في بداية القرن العشرين
في ربيع عام ١٨٠٩م تحرك باشا بغداد سليمان الصغير بقوة كبيرة
متجها إلى جبل سنجار الذي كان اليزيديون قد ثاروا فيه، وقد التحقت بالباشا

(٣١). الخضيرى، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(32). Williamson, Op. cit, P25.

قوات من تكريت ومنطلي وأربيل^(٣٣)، وكانت هذه الحملة مجهزة بخمس بطاريات من المدفعية الصحراوية، واشتبكت مع اليزيدية بعد أن وصلتها قوات بكر أقندي والي الموصل واستطاعت دخول سنجار وفر اليزيديون نحو الجبل^(٣٤).

وأثناء هذه الحملة أقنع الشيخ فارس الجربا الذي كان قد وضع فرسان شمر تحت أسرة الباشا بتجهيز حملة عسكرية تأديبية لقبائل الضفير التي كانت عند نهر البليخ مع شيخهم الشايوش بن عفنان، فاقنع الوالي بذلك، وجهاز قوة قبلية تحت أسرة الشيخ فارس تكونت من قبائل شمر والبو حمدان والحيد، فضلا عن قوة تيمور باشا الملي ومن معه من قوات كردية، كما انضمت إليها قوات سليمان باشا بجان متصرف كويسنجق وقوات أخرى، فضلا عن عشائر المنتفك التي كانت لها طموحات في ارض الجزيرة الفراتية.

تحركت هذه القوة تحت قيادة أحمد بك باش يوغ أخو الباشا من الرضاعة^(٣٥) ووصلت إلى رأس العين، ومنها تحركت نحو قبائل الضفير التي انهزمت أمامها، ثم تراجعت قوة الباشا وبقي الشيخ فارس وشمر على استعداد للقاء الضفير، والدريعي بن شعلان الرويلي من عنزة، وبالفعل فقد طارد الشيخ فارس الضفير ومن حالفهم من قبائل الرولة يسارته تيمور باشا الملي، وبعض القوات القبلية الأخرى، وحدثت معركة فاصلة بين الطرفين أطراف رأس العين كان من نتائجها أن قتل دغيم بن سويط من شيوخ الضفير مع عدد من فرسانه، ثم عاد الشيخ فارس ومن معه بعد أن غنمت شمر غنائم لا يستهان بها من الضفير اثر المعركة، وخلالها برز دور الشيخ بنية الجربا عندما لاحظ ان القوات الحكومية غير قادرة على حرب

(33). Ibid, p24.

(٣٤). احمد الصوفي، شماليك في العراق (الموصل: ١٩٥٢م) ص ١١٢، الكركوكلي، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

(٣٥). الصوفي، مرجع سابق، ص ١١٢.

العشائر واراقت الفرار، فما كان منه إلا ان غطى انسحاب هذه القوات بنفسه مع تلة صغيرة من شمر. (٣٦)

ولكن الرولة باغتت شمر وحصلت منها على بعض الغنائم من الخيول والجمال، فثشب على أثرها الخلاف بين القبائل المتحالفة مع شمر، وناصب المتفك العداء لشمر وانسحبت إلى الضفير، ولم تؤثر هذه الأوضاع غير المستقرة على قوة الجربا كأقوى زعيم قبلي على أرض الجزيرة الفراتية وعادت الضفير والرولة عن شمال أرض الجزيرة تجاه الجنوب والغرب. (٣٧)

آلت الأوضاع في أرض الجزيرة في هذه الحقبة الزمنية إلى حدوث مواجهة بين شمر والمتفك قام على أثرها الشيخ عبد العزيز بن مطلق الجربا أحد فرسان الجربا المشهورين، ومن خيرة فرسان شمر في عصره، الذي كان يطلق عليه (الدواي) لشدة قوة صوته، الذي كفت خيل الأعداء تجفل منه في المعارك عندما يصيح للحاق بأعدائه، وكذلك يلقب بالمرتعث أيضا، ومما يذكر لهذا الشيخ انه طارد الشيخ زويد شيخ البدور اثر المواجهة التي نشبت بين شمر والمتفك، وهو من فرسان المتفك المشهورين من السويدي وصرعه عند الطلائ شمال غرب الجزيرة الفراتية، بعد مبارزة وطراد فردي طويل بينهما،



مجموعة من شيوخ المتفك في بداية القرن العشرين

كما أن الشيخ عبد العزيز كان قد غزى نجدا مع عدد من فرسان شمر وظفر بخزيم بن لحيان شيخ السهول، ومن القيادات الوهابية البارزة عند ابن

(٣٦). لوينهايم، فبوا، ج ١، ص ٢٢٨.

(37). Williamson, Op. cit, p24.

سعود، واستطاع أن يقتله ثأراً منه لما قام به من غدر في قتل والده الشيخ مطلق الجربا.

وفي الشيخ عبد العزيز بن مطلق يقول الشاعر واصفاً كرمه وشجاعته:

باراكبن من فوق شيبا علاجم ومن الميراج شايب راس غريبة
اليامنهم مع سهلتن نخولها يا تكل نفاض اللي نف شارب
تلفي لعبد العزيز لهن مطلق تدعك تالي الليل ناره عارب
الله يعينك يا عيون هزبر وكيف انت يا لسم الشوارب شارب
نباحت اكبر الروس اليالهم الشتا اليامن خطو الشيخ كلخ شارب
وان صار عند الزمل شاير ومشور تند هو وسحق الوجيه المنارب
ونن لنتخووا بفكارن لهم حرد السبايا عن أوجيههم هارب
هم أهل الجود والماجود والمد والسفا الياجهت ويل الثريا عارب
والأجواد وإن تكاربهم ما تمنهم الملاما صديق عنك يجارب^(٣٨)

في عام ١٨١٣م شعر الباشا عبدالله التتونجي الذي حل محل سليمان باشا الصغير، الذي كان قد أصبح حاكماً على بغداد منذ العام ١٨١٠م بعد محاصرته لسليمان باشا الصغير الذي كان قد عزلته الدولة العثمانية، ومن خلال قوات الدولة وقوات عشائرية كبيرة في مقدمتها شمر والشيخ فارس، خاصة وأن سليمان باشا الصغير كان قد اعدم أحد أبناء عمومة الشيخ فارس من آل محمد في علة، لذا تعاون مع عبد الله باشا ضده^(٣٩) فصارت لشمر مكتبة الصدارة لدى الوالي عبد الله باشا، وأبقى الشيخ فارس الجربا بمنصب باب العرب الذي كان قد انتزعه من آل شلوي من العبيد في بغداد^(٤٠).

(٣٨). من التراث الشعري لشمر.

(٣٩). العزوي، العراق بين احتلالين (بغداد: ١٩٥٩م) ج ٦، ص ١٩٥.

(٤٠). الكركوكلي، مرجع سابق، ص ٢٥٠-٢٥١، د حميد حمد السعدون، إمارات المتفق

(عمان: ١٩٩٨) ص ١٥٨.

شعر الوالي عبد الله باشا أن مكاتته مهددة من قبل سعيد باشا بن سليمان باشا الكبير أبلغ من العمر ١٩ عاماً، فقد انضوى الأخير تحت راية حمود الثامر شيخ المنتفك وثار ضد عبد الله باشا الذي قتل عام ١٨١٣م على يد الدفاعة من شمر طوقه، فأصبح بعدها سعيد باشا حاكماً على بغداد التي دخلها في شهر ايار من عام ١٨١٣م^(٤١)، وداؤد أفندي الذي أصبح عام ١٨١٧م الباشا على بغداد الموجه والمنظم لسياسة سعيد.

لقد غير الباشا سعيد بعد أن استطاع حمود الثامر أن يضعه على كرسي الباشوية في بغداد من التحالفات القبلية، فأتجه نحو المنتفك وتخلّى عن شمر والشيخ فارس وحلفائه من الخزاعل، مما كان له أثره على طبيعة العلاقات التي أسفرت عن ذلك بين شمر بشخص الشيخ فارس وباشا بغداد سعيد، تركت بصماتها على مركز شمر وسياسة العثمانيين في العراق تجاهها خلال الحقبة التالية من تاريخ تواجد شمر على أرض الجزيرة الفراتية.

ففي هذا العام أي ١٨١٣م كان التوتر في العلاقات ظاهراً بين سلطة بغداد والشيخ فارس على مسرح الأحداث، خاصة عندما رفض سعيد باشا منح الشيخ فارس الامتيازات التي كان يتمتع بها من لدن أسلافه ولاية بغداد، من كونه الشيخ الأول على منطقة الجزيرة بلا منازع، واحد أبرز شيوخ العشائر العراقية، وله الهدايا السنوية من خزينة بغداد، فضلاً عن منصب باب العرب، الذي تم عزله منه من قبل الوالي سعيد باشا، وعين بدلاً عنه عدوه قاسم الشلوي من العبيد^(٤٢)، مما حدا بالشيخ فارس الجربا أن أعلن العصيان على الحكومة وقام مع شمر يقطع طرق المواصلات بين الموصل وبغداد، وبينها وبين حلب، وتوقفت الكراوين (مراكب نفل المسافرين برأ) ومراكب التتارية (البريد الحكومي)، واضطربت أرجاء الجزيرة الفراتية كلها، ثم اتجه الشيخ فارس بعد ذلك مع ابن أخيه الشيخ بنبيه الجربا جنوباً

(٤١). لسعدون، مرجع سابق، ص ١٦٣.

(٤٢). حمود الساعدي، الخزاعل (بغداد: ١٩٧٤م) ص ٧٤.

(٤٦) تحو حلفائه الخزاعل^(٤٤) وزبيد، وتم محاصرة العديد من المدن في وسط العراق من قبلهم بضمنها الحلة، التي قضى على السلطة المملوكية فيها. (٤٥)، كما حوَصر أكثر من ٤٠ ألف إيراني في كربلاء من بينهم حرم الشاه، فشعر الباشا سعيد بجسامة الموقف فطلب العون من حمود الثامر شيخ المنتفك، وأسند قيادة القوات المملوكية التي اتجهت نحو هذه العشائر إلى داود باشا. (٤٦)

أستدعى حمود الثامر كلاً من قبائل الضفير وعززة والعبيد ضد أعدائهم المرويين شمر، فضلاً عن من تحالف مع شمر من عشائر الخزاعل وزبيد والقبائل الأخرى، وأنطلق مع الجيش المملوكي لإعادة النظام في وسط البلاد، والقضاء على هذا التمرد العشائري الضخم^(٤٧)، وقاموا مع داود باشا وقواته بشن الهجمات المباشرة على الشيخ فارس الجربا ومن معه من شمر والخزاعل والعشائر الأخرى المتحالفة معهم.



(٤٣). الكركوكلي، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

(44). Williamson, Op. cit, p. 25.

(٤٥). الكركوكلي، مرجع سابق، ص ٢٦٣، ٢٦٨.

(٤٦). نفسه، ص ٢٦٨، ٢٦٩، نولي، داود باشا، ص ٩٨.

Williamson, Op. cit, p. 25.

(47). Williamson, Op. cit, p25.

مقتل الشيخ بنيه ورحيل الشيخ فارس

استقر الشيخ فارس مع الخزاعل عند الضفة الغربية لنهر الفرات منذ عام ١٨١٤م، وكان الشيخ بنيه بن كرينيس معه في قيادة القبائل الشمرية، والشيخ بنيه هذا فارس شجاع وشخصية طيبة الشمائل والنجاد، عرف بالكرم والفروسية وكان يلقب بالأشمل، لاستخدامه الشمال في المبارزة فضلا عن يمينه، كان مولده في حدود عام ١٧٧٠م، وله دور كبير في المعارك التي خاضتها شمر لتوطيد مكائتها بين القبائل العربية في أرض الجزيرة الفراتية، دائم الترحال ما بين جبل سنجار والمناطق الوسطى من العراق، كما كان يتجول في الشامية جنوب العراق، وله عدة غزوات على نجد، حتى انه في إحداها حاصر سيف الكويت واخذ الخوة منهم، و يخلف عمه الشيخ فارس عندما كان الأخير يذهب إلى بغداد أو أي من المدن العراقية على رئاسة شمر، مما جعل كرمه وشجاعته يطغيان في بعض الأحيان على شخص الشيخ فارس الجربا. ^(٤٨)

وصفه المؤرخ أبن منذ بقوله "وبنيه يضم الموحدة وتشديد المثةاة التحتية وهاء التثنيث، من فرسان العرب وكرمائهم، كلفت له كعه فارس أيام الوزير علي باشا أبه عظيمه وصدارة، وبنيه هذا يضاهي بالبسالة فارس النعمامة ومحطم أبن الأرقم ذا الغزالة، وأما الكرم فهو النيث، بل البحر الخضم، وأما منع الجار بكل رسوب بتار فهو منه من الذروة، والناس إنما يحنون فيه حنوه، أما غض طرفه عن جاراته فأمر لا يطمع فيه بمباراته " وقال فيه أبياتا من الشعر: ^(٤٩)

(٤٨). لوينهايم، لبدو، ج ١، ص ٢٣٧.

(٤٩). ابن سند، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

تتميه للشرف العالي بنو ثعل
النازلون من البيداء فوق ربي
النادر وجرز الأضياف نحرهم
والماتعوا الجار بالأسياف لأمعة
أسد الثرى وسراة القادة الأول
والشادن بيوت العز بالأسل
أسد العرين بما سلوا من النصل
بين الخمسين والعسالة الذبل

كان عام ١٨١٥م عام شؤم على قبائل شمر ومن معها من البعيج والذكاريط^(٥٠) التي كانت نازلة عند الخزاعل، فقد تكاثر عليها الأعداء من كل جانب، فمن جهة كان داود أقدي قد توجه بقواته نحو الخزاعل وشمر، في الوقت الذي تحرك فيه حمود الثامر مع الدريعي والرولة من عزة نحوهم، وكان الشيخ بنيه قد انفصل مع ثلة من فرسان الخرصاة عن جموع شمر للاستطلاع وحماية ظهر القبيلة من أي هجوم تتعرض له من جهة الصحراء، ولكن القدر شاء أن يقع هذا الفارس صريعا في معركة مع القبائل المهاجمة لشمر والخزاعل، عندما استهدف هو ومن معه من قبل حمود الثامر والدريعي بن شعلان مع الرولة في منطقة الحثلوم من ارض الخزاعل، في حين دخلت شمر تحت قيادة الشيخ فارس والخزاعل بقيادة شيخهم حمد لحمود في معركة فاصلة مع القوات الحكومية، بعيدا عن الشيخ بنية ومن معه استمرت أكثر من شهرين، كانت الغلبة فيها لقوات الولاية مع من ساندوا من القوات القبلية^(٥١).

يصف لنا ابن سند مقتل الشيخ بنيه بقوله "أعلم أن بنيه عبر من الجزيرة لغربي الفرات عندما تولى وزارة بغداد سعيد باشا، لما بين عمه فارس وآل عبيد من الضغائن لاسيما أميرهم قاسم بن محمد بن عبد الله بن شلوي... ، وقد كان سعيد باشا ولى زمام أكثر أموره له، فنزل بعشيرته على خزاة في تلك السنة ليكتل، وكان الدريعي العنزي الرويلي... يرقبه، فافقتى أثره ونزل قريبا منه، وأرسل إلى حمود بن ثامر فأستغفره فففر بفارس عشيرته لمساعدة الدريعي... ، وكذلك خرج عسكر الوزير سعيد بكبيرهم

(٥٠). ابن بشر، مرجع سابق، ج ١، ص ١٨٦.

(٥١). نفسه، الساعدي، مرجع سابق، ص ٧٥-٧٦، السعنون، مرجع سابق، ص ١٦٤.

قاسم بن شأوي ومعه عقيل... ، وهم عسكر للوزير، فقامت الحرب على ساق وذاد الفرسان بنيه بحيث أنه ماكر على جناح أو قلب إلا هزمه، حتى غامته الفرسان، فقدر الله عليه في بعض كراته أن أصابته بندقية فخرعن سهوة فرسه رحمه الله وإيلنا^(٥٢) ورثاه ابن سند بقصيدة عصماء نصها:

هزبر عليه المشرفي بنوح
فخارهم كالنيرين يا نوح
به نوب مسودة وبسروح
هداه اليهم اتور وسروح
أتب كسرحان الفلاة سسروح
وللمجد قلب والمكارم روح
وللنجم في ليل الشتاء جنوح
نماه إلى الاصل الاصيل سموح
لندن قر في الفلك المكرم نوح
بنشرهم بررد الفخار بفروح
تداوى قروح اعضلت وجروح
وللأسد من لمع السيوف دنوح
به كنت ارباب الشقاق اكوح
يخب لدأماء الحروب مروح
غبوق له في كره وصروح
بحور لها من راحتيه سفوح
سحاب ومفجوع الكرام بنوح
وإن دمت ماناح الحمام نوح^(٥٣)

قضى فلدمعي في الخدود سفوح
اغر كريم النسبتين من الألى
على مثلهم بيكي غريب تطوجت
وسار بموماة من الزاد مقفر
وتبكيهم الحرب العوان وقسارح
كانهم للفضل في الناس اعسين
هم الموقدون النار في البدو للقرى
وابيض منهم شمري بكيته
كان الندى الطبعي قارن روحه
أيا جودهم أن تبكهم تبك سادة
وتبك الألى كانت يذوب نجيعهم
فوارس وصالين بالخطر بيضهم
بكيت وواصلت البكاء صميدعاً
بنيه والكرم الذي لم يزل به
مكر دماء الدارعين كأنها
لقدت به البدر الذي غاض مذ قضي
فنجحت وأسراب الدموع كأنها
وما أنا بالقاضي له بعض وده

(٥٢). ابن سند، مرجع سابق، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٥٣). نفسه، ص ٢٨٨.

استطاعت الغفلة والحيلة والتكاثر أن تقضي على هذا الفارس الشجاع بعيداً عن جموع شمر، وكانت وفاته في بداية العام ١٨١٦م بعد أن سيق إلى شرك (خندق) معد له، وقع فيه دون فرسه، وحمل رأسه إلى الوزير سعيد باشا^(٥٤) بعد أن مر على مجلس حمود الثامر، حيث وضع الرأس على مكان مرتفع في جانب من المجلس قرب النار، مما أثار أحد رجالات شمر الذي كان دخيلاً عند حمود الثامر السعدون بعد أن كان الشيخ بنيه الجربا قد أبعدته عن شمر، لأمر قلم به هذا الشمري، فقام الشمري ناصر بن عجاج وجلس قرب رأس الشيخ بنية، واخذ يلمس شاربه بيده أو بعصا صغيرة كانت معه ممسحاً إياه وهو يقول: ما يستاهل صاحب هذا الوجه ذو الهيبة والجاه العظيم، ثم انشد أبياتاً يمتدح فيها الشيخ بنيه ويغمز فيها حمود الثامر، ثم قام انصرف إلى بيته، وتوفي ابن عجاج قهراً على الشيخ بنيه بعد رؤيته لهذا الحادث، بساعات، إذ زهدت روحه قهراً، وعندما علم حمود بالشعر طلب ناصر بن عجاج ضيفه، فأعلم أنه مات فقال: أشهد بأنكم الزهيد، والزهيد من ألقاب شمر المشهورة^(٥٥)، وأبيات ابن عجاج هي:

خُلِّتْ لَهُ خُتْلَانُ عَسَى اللَّهُ يَخْتَلِكَ وَمَدَّتْ لَهُ حَبِلُ الشَّرِكِ ثُمَّ سَدَّتْ
تَسْعِينَ مِنْ رُوسِ قَوْمِكَ غَلَّتْ لَكَ وَأَيْشَ عَادَ يَا خُصَايَ الدِّبَالِكِ سَرِيَتْ^(٥٦)

قام الخزاعل بعد أن تفرقت الجموع بحمل جثمان الشيخ بنيه الجربا دون رأسه ودفنوه في الجهة اليمنى لنهر الديوانية، في أرض تسمى الزرزورية، وموضع قبره لا زال معروفاً عند أهل تلك الأنحاء وبخاصة العشائر الرحالة منهم إلى وقت قريب، فلا يمر الخزاعي أو الشلاوي أو الساعدي بقبره إلا قدم له ذبيحة، وذلك لاعتقادهم أن الذي يمر على قبر الشيخ بنيه الجربا ولا ينبج له يصاب بمكروه^(٥٧).

(54). Williamson, Op. cit, 26.

(٥٥). الظاهري، مرجع سابق، ١٢٢-١٢٤.

(٥٦). من التراث الشعري لشمري، العزوي، عشائر العراق، ج ١، ص ١٥٠.

(٥٧). الساعدي، مرجع سابق، ص ٧٦.

فرح الوزير سعيد باشا برأس الشيخ بنية الجربا الذي ارسل اليه من قبل حمود الثامر، فقام بإلقائه إلى اسد جافع في قفصه، ولكن الأسد وبدلاً من ان يلتهم الرأس جن جنونه ولم يهدأ حتى اخرج الرأس من القفص (٥٨)، وابن بشر في كتابه عنوان المجد يشير حول مقتل الأشم إلى أن شاة اعترضت فرس الشيخ بنيه في ارض المعركة فتقطرت به فرسه وسقطت عليه فقتل نحيه في الحال كعمه الشيخ مطلق الجربا (٥٩)، وكان الشياه جاءت في ارض المعارك لتكون السبب في موت الفرسان من الجربا فقط في حين أن كل الروايات أجمعت على أن الشيخ بنية سيق من خلال المطاردة والصدام في المعركة إلى شرك أعد له، وهو الحفرة أو خندق، وقد كمن له من رماه بالبنق فأجفل فرسه مما جعلها تسقط في الخندق وتقتضي على حياة الشيخ بنيه، وثمة أبيات من الشعر تنسب إلى الصالح من شمر يفخرون فيها بأنهم نبخوا شيخهم بنيه الجربا، والحق أن هذه الأبيات ليست لهم بل للرولة من عزة قبلت في مقتل الشيخ بنية الجربا وهي:

سرنا من الشنبل إلى قصر شلال شهرين والثالث ذبحنا بنية
هذا جزا اللي باعنا بأبن هذال جنبنا نماغو للبواشي هدية (٦٠)

ومما قالته الشیخة عبطة بنت بنيه في رثاء والدها عندما عادت إليها فرسه المسماة (الجنيدية) دون فارسها، مكسورة إحدى قوائمها الخلفية اثر سقوطها في الخندق، و هذه الفرس من نسل خيول جده الحميدي الأمسح:

(٥٨). لوينهايم، لبدو، ج ١، ص ٢٣٨.

(٥٩). ابن بشر، مرجع سابق، ج ١، ص ١٨٦.

(٦٠). الظاهري، مرجع سابق، ص ١٢٦.

يا سابقي على ثلاثة ارتكيتي والرابعة تتلاج مثل السديّة
 ياما حديتيهن وياما حديتي وياما تدرى بك راعي الرديّة
 وياما على خشم المعادي وطيتي وياما تتيبي بتالي الرعيّة
 وقبله يا الربالي خذيني ياما خذيني من اشيوخ وشفية
 يا سابقي يعمل ما عاد جيتي يعمل زولج ناهج مع ابنه
 أخير لي من وقتك عند بيتي يظن علي اليا شفت زولج ابنه^(٦١)

وقالت الشیخة عبطة في رثاء والدها الشيخ بنیه أيضا:

البارحه عين المشكى جراه سهري الیاما بین الصبح وانجال
 بالقلب صدعن ما بفوت الدالاه متجهمة والله عليم بالأحوال
 عليك يا ستر العذارى دلاله اوي والله ياهل الخيل خيال
 بنیه بعود العلم يسوى اعداله ياما اصفقت يمناه من مال ورجال
 الأشمل اللي ماضياتن افعاله ريزوم غلبا امعدل الشويل الیاما مال
 ياما عطى من كبه سلاله سباقه الغارة من الخيل مشوال
 وياما نحى بالسيف من صعب قاله ویمما لطم من درنكم كل من عال
 وياما شربتوا من قهاوي ادلاله وقت القلى یرخص لكم غالي المال
 جمع حباله ثم لمه وشاله وتقطرت من كثر الأقفا والأقبال
 هو الفقیده من عواني ارجاله صاده بالحيلات لبي خندق الجال
 اخسوا خسيتوا ما خذيتوا ابداله ولا وقفنوا موقفن يعجب البال
 محد زرق رمحه ولحدن ثاله ولا صار عنده عركنن تشده البال
 خلوه بقره وحيدن الحاله امقابلن بالهور قصر ابن شلال
 والیا مضى لي عشرين من اهلاله الیا تقل يضربني من الضيم سلال^(٦٢)

(٦١). من الرثاء الشعري لشمري.

(٦٢). نفسه.

لقد حفظ لنا القصيد البدوي بعض الأبيات التي قبلت في الشيخ بنيه
ومنها ما قاله فيه ردهان ابن عنكا:

البي علقه ولذة شرا به يصبر لو هو بين الأضلاع مطعون
والبي تعف وشاف الجفا به ينحر لبيته مع جموع يعنون^(٦٦)

وللشاعر طليس بن عجيل شعرا في الشيخ بنيه عندما سمع انه قد قتل
وهو في مضارب عنزة، بعد أن كان الشيخ بنية قد أجلاه عن مضارب شمر
نراه يتوجد عليه، برغم أن سماعه كان خدعة بموت الشيخ بنيه وليس حقيقة:

أبو اطلاس اليوم هلن لموعي والعقل مني يا فتى الجود جن راح
الكبد ما تاكل ولا متت جوعي والقلب ما يروح علي جاد مرواح
سللتها وأنا تهامل لموعي وقلت الصحيح قالت الشمري راح
عليت يا ابو عبطه غدي الطبرعي وعليت يا ما خذ علي الخيل مسراح
عليت زين الوانيه والخموعي اوي خيالن من اولاد سراح
له سايجن ترجح بوجه الفزوعي وتنزح عنها سرد السبابا الياصاح
وقلت وأنا منهم قليل انفوعي غير الحمويه ووجعن حكي مباح
وا حسرتي متي نجمع اربوعي نمشي جميع قبل نتال الأرواح^(٦٧)

وهناك محاولة في التفضيل بين الشيخ بنيه وعمه الشيخ مطلق
الجريا على لسان احد قصاد البدو (علي بن سريحان)، بعد سؤال عبطة بنت
الشيخ بنيه وسلمى بنت الشيخ مطلق الشاعر في أن يفاضل بين الفارسين،
فأشدد بن سريحان:

(٦٦). التعريفي، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٦٧). من فنون الشعر الشمري.

يا بنت فلرج بين الأثنين جذاب
لو تجمعين القوم هي والأجناب
يا حصّة ما جابهها كل جلاب
وإن قل نور الوسم والجويل بالباب
وإن روحوا بالنزل شينين الأسلاب
اللي به اللبدوب وللطوق قصاب
بذل ما بالكف صفاط ما جاب
عوق الخصيم مبطل كل الأسباب
إن جت جموع له مع الدو ضباب
له هدة يلقا بها المرج هراب
وإن جاء بداي نهج تكل جناب
عطيته من خير باب له طلاب
شرايعه يا حلوها عند الأجناب
قبالج تعابت به صفوف القبائل
ما زودو حقج ولا جاج ماييل
يا بنت معطي المسميات الأصائل
وصفا السما والوقت ما من صمايل
واستربت عنهم هزال القبائل
فداع فوق الزاد بشرط حاييل
هاتف شليل البيت وأفي الخصائل
واللي غطا على المخاليج طاييل
يجدع جحد السيف من جاء عاييل
يكثر بخيل الضد طعمن السلايل
الصبيح تبرأ له خيال الأصائل
شيخ الشيوخ ونافل كل طاييل
الحرد شياي الحمول الثقاييل^(٦٥)

وفي الشيخ بنيه يقول الشاعر دايم الهكاز:

يا شيخ كوك يا مروى شفى الزان
الي ليا طب الخيل دبوس فرسان
وراعي البويضى متعب الهجن شرعان
وبنوه شوك مباح الوردان
كيف أنت يا منجب خطفت النداي
يا جاء يتبندح مثل زمل الرواي
يفكهن لو هو وحيدن خلوي
الي لخرجاة الضعاين فدوي
منت خاير يوم كون ابن شعلان
يضرِب بكل يديه عطب اللهاي^(٦٦)

جاء مقتل الشيخ بنيه بمثابة ضربة قاسية بالنسبة لشمر خلال هذه الفترة التي كانت لها تأثير كبير على أوضاعها الداخلية خلال السنوات التالية، إذ قام الشيخ فارس بسحب شمر من عند الخزاعل بعد انتهاء المعركة، وسيطرت القوات الحكومية على الوضع العام في جنوب العراق إلى أرض

(٦٥). نفسه.

(٦٦). نفسه.

الجزيرة الفراتية، في حين عاد قسم من أفراد شمر بعد معارك الخزاغل الى ارض نجد ونزلوا عند شمر التي كانت قد بقيت هناك. (٦٧)

لم تحاول شمر أن تثور ضد الحكومة أو أن تخلق لها مشاكل مع القبائل المجاورة خلال المدة التي قضاها الشيخ فارس على مشيخة شمر، راحلا ونازلا في ضمن أراضي ترحال شمر بين الشمال والجنوب، ولقد سجل لنا احد شعراء البداية وهو عايد الزميلي احدى القصائد الجميلة التي قالها في الشيخ فارس الجريا و شمر، عندما جاء إلى منازلهم ووجدهم قد رحلوا عن هذا المكان مع الشيخ فارس فقال فيهم هذه الأبيات: (٦٨)

البارحة مضيت ليلي خلوي مضيت ليلي في كثير الهواجيس
أقوم وأقعد من الكبار البلاوي بجوش قلبي بين عدل ولواليس
يأدار وين إعطرين القهاوي اكبر ارباع وكسبين النواميس
اهل البيوت النافيات الزوامي الي على جمع المعادي مطاويس
لا عفوا سود الشعاع المهراوي تلقى عيال القوم عنده مفاتيس
عيال السيفاء مزينة للجلوي بظهورهن ما نبلوا بالمتاويس
من دور سلمان عليهم بلاوي ووجيههم من طق بقعا معايس
يلما نرى با برباعهم من فداوي هتب المسير وقيس القاع نقيس
خريصات مقواكم على ام البلاوي يوم الذي لميع الطوس مثل المكليس
يتلون فارس مثل حبر النداي يوم الغلى يرخس لكم فرعة الجيس

توفي الشيخ فارس الجريا عام ١٨١٨م ودفن في الختال شمال نجد (٦٩)، ولم يسجل لنا التاريخ سوى بعض الحملات والغزوات التي شنتها شمر على القبائل المجاورة لها في الجزيرة، من التي أرادت التمرد على سلطة شمر وحكمها لمنطقة الجزيرة الفراتية، واستطاعت شمر فيها أن تكسر شوكتها وتعيد هيبتها بالتصاريها على تلكم القبائل، وخاصة في عام ١٨١٧م

(٦٧). الفخري، مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٦٨). من التراث الشعري الشمرى.

(٦٩). لوينهايم، لبو، ج ١، ص ٣٧.

(٧٠)، الذي جاء فيه إلى بغداد الوالي داود باشا الذي سيكون له تاريخ مليء بالأحداث مع شمر.

لقد أرخ لنا الشعر النبطي رحلة شمر من أرض نجد باتجاه الجزيرة الفراتية، والاستقرار فيها بما عرف (بالضعلين)، وإليك عزيزي القارئ الكريم إحدى أقدم هذه القصائد التي قالها الشاعر دايس الهكاز أول شبابه، وكان الشيخ فارس الجربا قد طلب أن يحضر إلى مضيفه أحد الهكاكيز من أهل دايس وكلهم شعراء، فأخبر أن لا أحداً موجود غير دايس وهو شاب في مقتبل العمر، ف جاء إلى الشيخ فارس الجربا فطلب منه الشيخ أن يقصد له من القصيد القديم، فبين له دايس أنه لا يحفظ منه ما يرضي الشيخ، ولكن له قصيدة هو قتلها فطلب منه الشيخ فارس الجربا أن يقصدها فنشد:

قال الحسيني والذي ما ظم به جيلن يشادي كاتهامي وطار
رفيتن بالصدر وغون يترفن وظهر لهن ما بين الضلوع ظهار
جواب ألقى من شخايل منهل شخلول بطحي ونالج ببيار
أركب عفائس الجبل وهدي مصاعبه جيلن غصرت به بالنسان غصار
أسل سيف الشعر وسنيت دائره ولازم بالزم مغلبه بمنشار
يشدن ضرب الهيم بمذكر الصفا وأنا لعسرات اللحن نجار
بيوت تخالف لك ملاوي بيوتهن حلوات زينات اللحن واكثار
أصوغهن صوغ الصواويغ للذهب أمجيم على أمجازاته نهار
أموحهن من تايغ الشط والبحر وأبا الخضير يصفى ويزار
يجن عيني مذنبها أيا أهملت صبيب مزن حققن بمطار
يمل قلبك نغمه الهسم ياكله كما تف عاصوف الجراد كزار

ما قلتها في نقوة البيض عاشقة
أنا قلتها بالعصاة المانع
وهيه يا جازي على أكوار ضمير
أنا مذهب وأدور ضعفين
ضعاين نون للشريف بديرة
ضعاين ياماحلي إنشلاهن وإنشلهن
وضعاين خبطهن ميمر الدين خبطة
بيجونه الرملان والضيف والعمى
لهم منسف عمال بالطول يعتلي
ولهم نلتن عمال بالطول تنطبيع
اليا جن ضكك الضنك في وسط بيتهم
عليك يا فرز السبايا زميمهن
ضعاين جنك كابت بوجيههن
بغاهن التمياط^(٧١) من عقب مطلق
تعشوه بعددين المراكيش لا بتي
يومن لفن ربعنا الخابرين
يومن لفوا وجه الطراد تغير

لوجان سافته صنعت الجمار
ركضاتهم على العدو لمار
مثل النعائم رفرفن لطوار
اليب وأنشد وكثروا الذكار
وصارت سيراتهم ثمار
عقب المغرب نادولهن نشار
وذهب مطلق وجسا الضمون أغبار
والجار والمجلي يصيح جهار
مخلوط حويل لحم أجبال فكار
العبد يقتل به يصب بهار
وردن يخلف أجرب العوار
اليا جشمن مع عثمن وأخبار
خذن يمين وجنبن كفار
وقال الخامسة ما بها مسار
عسى لهم عقب الحصاد بذار
يتأون فايز^(٧٢) زايدن بسطار
وجلات بوسط العرب جن صار

(٧١). مثل التمياط رئيس القومان من شمر الذي أراد أن يقضي على الشيخ فارس الحميدي ومن معه من شمر، عندما علم بمقتل الشيخ مطلق فلحق بهم وأراد القضاء على هذه القوة الشمرية التي مع الجريان عند منطقة لحجيلان من أرض البادية الجنوبية (الشامية).

(٧٢). وهو فايز بن هذيل رئيس العامود من شمر وكان الشيخ مطلق الجريا قد أجلاه عن ديار شمر إلى الشعلان من عذرة، وعندما علم بمسير التمياط نحو شمر بعد مقتل الشيخ مطلق فرّع قبيلته واتجه بهم نحو أرض لحجيلان من البادية، ولستطاع أن ينتصر على التمياط ومن معه ويقتله ويخلص الجريان ومن معهم من شمر من التمياط، وهذه القاهرة معروفة وجليّة للعيان عند شمر، إذ أن الشمرى الذي بغضب عليه آل محمد ويجلونه عن ديار شمر يبقى وفيّاً لشيوخه ولشمر وإذا ما شعر أنهم في ضيم يغدي بروحه لهم وينسى كل الخلاف الذي كان من قبل.

وضعاين غدا لهن بخشم حجلان
 دليهن عود فهيرم كطاوي
 ضعائن خبرن المزكف وردونه
 ضعائن شيبين الغينبي خريف
 ضعائن ياما لاجمن ويحمن
 ضعائن ياما يمتن من صغور
 وزمزم لهن زين البليدات فارس
 ضعائن يحد الخيل عنهن فارس
 وضعائن ما حيدن في سراهن
 وضعائن والحزم المخيف أنزلنه
 وضعائن البلاهان من الضد عيله
 وضعائن سرن من السبعان سرور
 وضعائن ياما صالكن وصيفجن
 وضعائن ياما عرضن وعيرضن
 وضعائن ياما عاركن وعيركن
 وضعائن ياما ناوخن وتيوخن
 وضعائن جزن للعبود بديلهم
 وضعائن طبن الجزيرة وتوثن
 عرصه حتى الكسير من المناخه نار
 يوردهن مقرن كأنهم غضار
 وسارن على المدبر مسار
 اليافقه مع الوليدان نار
 وهن على من ليحمن عسار
 عليهن العذارى شككن اوسار
 صغور سن وتلويه أكبر
 جما يحد ضرغام الفهود أعفار
 وردن الشرب والشراب مرار
 يمارعن من عشبة الأكفار
 سابع بنيه عدها بهجار
 واصبح على سافاته سمار
 وهن على من صافكه عسار
 وهن على من عارضهن شرار
 وهن على من عاركن دمار
 وهن على من ناوخن ثبار
 وشيخهم عن أوج بههم طار
 هذا قصير لهن وهذا جار^(٧٣)

شكل عام ١٨١٨م عام حسم وتغيير جذري في حياة آل الجربا
 وشمر، ففيه رحل الشيخ فارس إلى جوار ربه وأنيطت قيادة شمر لإبنه
 صفوك الذي سوف نراه يسجل تاريخا مليئا بالأحداث لشمر وللعروبة خلال
 مدة مشيخته التي استمرت حتى عام ١٨٤٧م.

(٧٣). من التراث الشعري الشمرى.

شمر ونقسماتها

الآن وبعد أن استقرت شمر على أرض الجزيرة الفراتية لتبدأ في كتابة تاريخها مع الشيخ صفوك الجرباء علينا أن نذكر بشكل موجز التقسيمات الرئيسة لشمر، التي هي في الحقيقة مزيج متجانس للعروبة بقسميها القحطاني والعدناني، وأصبحت كما وصفها الرحلة بارجرريف عندما قال: أنهم من جنس من أنبل الأجناس الموجودة على وجه الأرض^(٧٤)، وأضاف الرحلة ولأن بقوله: إن تضامن الحضر والبدو من أبناء شمر هو الذي أسهم إسهاما عظيماً في زيادة سلطة هذا التجمع القبلي ونفوذه.^(٧٥)

قبائل شمر عرب اقحاح^(٧٦) وكان تعداد أفرادها قبل أن تهاجر من نجد إلى البادية الجنوبية للعراق أكثر من ٢٠ ألف نسمة^(٧٧)، هاجرت أعداد كبيرة منهم مع الشيخ مطلق الجرباء واستقرت فيما بعد مع الشيخ فارس على أرض الجزيرة الفراتية، وقد تطرق العديد من الكتاب إلى أقسام شمر وتفرعات قبائلها^(٧٨)، ولكننا سنعمد في ذكرنا للتقسيمات الرئيسة لشمر على وثيقة أعدت في هذا الموضوع من قبل الشيخ عجيل الياور شيخ مشايخ شمر (توفي عام ١٩٤٠م) في عام ١٩٣٤م، وكتبت في قرية عين طلائع قرب قضاء تلعفر من قبل كاتبه نجم الدين بن عبد الله اليحيى الموصلي في ٢ حزيران من عام ١٩٣٤م^(٧٩)، وجاء في تقسيماتها الرئيسة ما يلي:

(٧٤). برين، مرجع سابق، ص ٢١٨.

(٧٥). نفسه، ص ٢٧٩.

(٧٦). أن بللت، قبائل لفرات، ص ٤٠٢.

(٧٧). مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ٦٢.

(٧٨). انظر: العزوي، عشائر العراق، زكريا، عشائر الشام، المعاضدي، من بعض قساص العرب، ولخرون.

(٧٩). النسخة الأصلية للوثيقة لدى الشيخ زيد احمد عجيل الياور طلع عليها الباحث.

ان شمر قسمان

١-زويج:

وتنقسم إلى قسمين:

أ-ضنا زائدة، ب-سجاره.

٢-عيل الرضا:

وتنقسم إلى:

أ-عبده، ب-الأسلم.

وتنقسم ضنا زائدة إلى:

اولا- الخرصة:

وهم اقرب بطون شمر إلى آل محمد الجرباء، والسيف والمسد العائد لهم، وفرساتهم في الحرب، ولهم الخطوة الكبيرة لدى الجرباء، وهم من العنناية في أصولهم^(١٠)، وتضم الخرصة الأفخاذ الآتية:

أ- البريج:

وتضم

آل حصنه آل بهيمان الولغة.

ب- آل عليان:

وتضم

الحنارية آل عصوات آل جاسر آل سبيه.

ج-ال غشم:

وتضم

آل براك آل ملحام الصبحة.

د- الهضبة:

وتضم

(١٠). العزوي، عشائر العراق، ج ١، ص ١٧٨.

آل سرحان آل جداية.
وقضاة شمر عند السعدي من آل حصنه من البريج.
ثانيه العמוד:

وتضم
آل غضا آل خلف التجاغة.
وقضاء شمر عند ابن عامود من العמוד.

ثالثه الصبحي:
وتضم الأفخاذ التالية:

أ- آل شبيش:
وتضم
آل صديد الخماس الوجدان الميامين.

ب- آل حريرة.

ج- آل صقر.

د- آل زميل.

هـ- آل خليف.

و- آل موعد.

وقضاء شمر عند ابن اعجيل من الصبحي.

رابعه زويح (المثلثة):

وتضم

آل جتادة ارموث كويدان نمور مقلامه خوالد آل حرسه.
ب- سنجارة:

وهي من البطون الكبيرة في شمر وتضم في أصولها القحطانية
والعندانية من العرب. وتكون الأفخاذ التالية:

١- الثابت:

وتضم:

آل زرعة آل بكمة آل نجم آل عمار آل قنور.

٢- الفداغة:

وتضم:

آل غريب آل مطعان آل سيد آل زميلات آل نابت آل بوارى.

٣- غفيلة:

وتضم:

آل أرمل آل جرذان آل اكفي آل بيطل.

والقضاء فيهم عند آل عبهول من الفداغة.

أما عيال الرضا فهم:

اولا- عبدة:

من بطون شمر الرئيسة، يعود نسبها إلى قحطان، وجذورها في الضياغم، وسكانها في جبل شمر إلى اليوم، وتسمى شمر الجبل وقسم منها في العراق وسورية، ومن بيوتها آل علي وآل رشيد حكام حائل الذين سقطت إمارتهم عام ١٩٢١م على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وتنقسم عبدة إلى:

١- النحيا:

وتضم

آل فضيل آل مفضل آل جري آل شميلة آل جندة آل هامل

سليط دغيرات البدو دغيرات آل حسين دغيرات آل تربيان

دغيرات آل عليان دغيرات آل الغيثة.

٢- الربيعية:

وتضم:

١- الجدي:

وينقسمون إلى:

آل خنيفس آل فضل عنيزان.

٣- العفاريت :

وينقسمون الى:

آل وبيار آل مساعد.

٤- الزكاريط:

وينقسمون الى:

آل نصر الله آل شريفات آل خلجات والخزاجة وال انقرة
ال ابحيلة.

٥- آل مردان.

٦- آل جعفر:

وينقسمون الى:

العلي خليل آل حمير آل عطوان آل عبيدات
آل جشاعة.

وقضاء عبدة عند أين طلاع من الجدي.

ثانيه الأسلم:

وهي من البطون القحطانية اليمانية العريقة، وقضاء شمر عند آل بكار

من بيوتاتها وهي تضم:

آل جحيش آل منيع آل سلطة آل نبيجان آل وهب
آل سلمان آل مسعود الخشمان آل جامن.



ضاري بن طوالة مع الأسلم في بدايات القرن العشرين

شمر طوكة

تجمع قبلي من شمر، أتى العراق قبل مجئ مطلق الجرباء واستوطن المناطق الوسطى من العراق والقريبة من بغداد شرق نهر دجلة، بما يعرف بجزيرة حميد بين شط دجل و كوت الأمانة، وقد أقر هذا السكن والي بغداد حسن باشا منذ العام ١٧٠٧م^(٨١)، وهي تحوي في بيوتتها على معظم قبائل شمر المعروفة لدينا، وقد تركت شمر طوكة البداوة منذ أمد بعيد وأصبحت من القبائل الريفية، وكانت شمر طوكة قد هاجرت من نجد إلى بلاد الشام في حدود عام ١٦٤٠م وأصبح من السهل عليهم في أثناء هجرتهم أن يهددوا الحاميات القليلة في البلدان الفراتية فيطلبوا المال منها، وقد خربت تدمير بأيديهم وأخضعت المدن الصغيرة بسهولة، ثم اشتعلت الحرب بين شمر والموالي الأقوياء على هذه الأرض مدة عشرين سنة لأجل الاستحواذ على أراضي المراعي^(٨٢)، وخلالها ارتكب الموالى خطأ فادحاً في تعاملهم مع شمر حين قتلوا رسل شمر إليهم في خيمتهم، وفي نهاية الحرب خسر الموالى المعركة وانسحبوا إلى داخل أراضي الجزيرة الشمالية، واتجه الشمامرة نحو أرض العراق بعد أن ازداد ضغط عنزة من السبعة والحسنه والفتح على هذه الأرض^(٨٣).

لقد أخذت شمر طوكة بقطع طرق المواصلات بين بغداد ودمشق^(٨٤)، ثم أخذت في الاستقرار ما بين نهر دجل و على الضفة الشرقية لنهر دجلة جنوبي بغداد، وتركت بادية السماوة تحت ضغط قبائل عنزة القادمة من شبه الجزيرة العربية، وتحولت هذه القبائل الشمرية البدوية إلى تجمعات استيطانية زراعية، أطلق عليها سكان الفرات الأوسط تسمية (شمر طوكة)

(٨١) العزوي، العراق بين احتلالين، ج٥، ص ١٧٤.

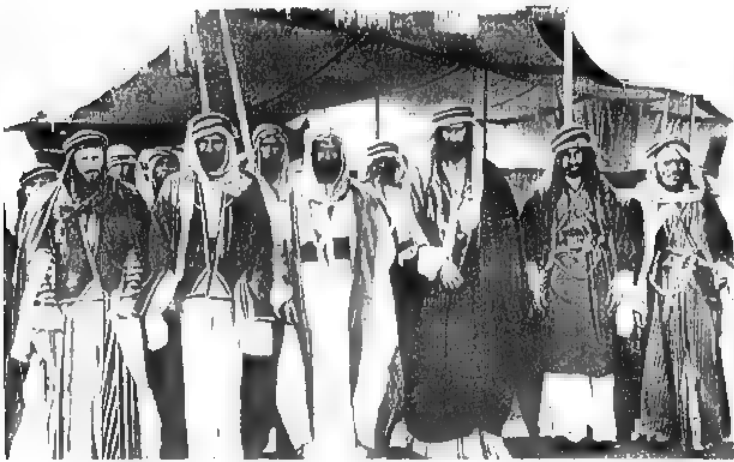
(٨٢) لونكريك، أربعة قرون، ص ١٠٤.

(٨٣) نفسه، النحاس، مرجع سابق، ص ٣١٦.

(٨٤) نوار، دلود باشا، ص ٩٣.

تميزاً لها عن شمر التي أتت مع الجربا إلى العراق في بداية القرن التاسع عشر الميلادي.

تحدث الكثير عن تسمية طوكة مفسرين هذا الاسم ما بين اسم لشبيخة من شمر أو كلبة لهم^(٨٥) وغيرها من الآراء، ولكن واقع الحال أن هذه التسمية جاءت كما نراه من قبل سكان الفرات الأوسط من العشائر العراقية حينما جاءت شمر إلى هذه الأرض، وأخذت بقطع طرق المواصلات ثم دخلت في صراع مع العشائر القاطنة في المنطقة، فكان قسم من رجال هذه العشائر لا يستطيع الخروج من ديارهم لأن شمر قد طوقت قراهم، فانتشر المصطلح شمر (مطوقة)، ثم أضحى الاسم مقروناً بهذه القبائل الشمرية (شمر طوكة) إلى الوقت الحاضر.



هجر أبو اوتيد مع الفداغة من شمر عام ١٩١١م

(٨٥). العزوي، عشائر العراق، ج ١، ص ٢٢٣، إذ يسير النحاس، مرجع سابق، ص ٣١٧، على منوال من قال أن هذه التسمية أتت من اسم كلبة لهم.

الفصل الرابع
سلطان البر
الشيخ صفوك الجربا

شمر بعد وفاة الشيخ فارس

كانت حياة شمر خلال السنتين ١٧ و ١٨ من القرن التاسع عشر هائلة إلى حد كبير، ولم يحدث أي احتكاك لها مع العشائر الأخرى سوى الحملتين الحكوميتين التعرضيتين اللتين قام بهما داود باشا ضدها، وداود هذا الذي أصبح آخر حكام المماليك في العراق منذ عام ١٨١٧م عندما جلس على كرسي الولاية في بغداد بعد قتله لسعيد باشا، كان قد وضع في مقدمة مهام حكمه القضاء على سلطة القبائل وسلطان تحكمها بطرق المواصلات بين البصرة وبغداد وعبر الصحراء إلى أورفه وحلب، فكان للإنفاضة التي قامت بها شمر على يد الشيخ فارس مع الخزاعل عام ١٨١٤م أثرها في نقمة الحكومة على شمر مما دعا الباشا إلى تجريد حملتين ضدها في العامين ١٨١٧ و ١٨١٨م، كانت نتيجتها أن فشلنا في تحقيق أي من الأهداف التي وضعها لها داود باشا، لأجل السيطرة على شمر وتحكمها في طرق المواصلات على أرض الجزيرة الفراتية، وبقيت شمر تجبي ضريبة المرور عن البضائع التي تمر في مناطق تواجدنا مع اخذ الخوة من القبائل التي تقع تحت سلطانها، وتوقع الباشا خطأ أنه استطاع من خلال هذه الحملات أن يحد من سلطة أقوى تجمع قبلي بدوي وصل حديثا وسيطر على أرض الجزيرة الفراتية. (١)

هذا من جانب ومن جانب آخر فبعد وفاة الشيخ فارس أصبح أخوه الشيخ عمر مكانه على زعامة شمر، مشاركة مع ابن أخيه فارس الشيخ صفوك، ببقاء المضيف والمشورة في بيت الشيخ فارس تحت رعاية ابنه الشيخ صفوك. الذي قد هيا نفسه لمركز المشيخة، وأثبتت لنا الأحداث التاريخية فيما بعد جدارة هذا الرجل وكفائته لقيادة شمر، وإعادة مكانتها وهيبتها في الجزيرة وما جاورها من أقاليم، وانتهى هذا الحال على زعامة شمر بانسحاب الشيخ عمر واستقرار الوضع للشيخ صفوك بعد عدة أشهر،

(١) . لكركي، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

حيث أصبح الشيخ صفوك على رأس القيادة لقبائل شمر في حدود منتصف عام ١٨١٩ م، وقد أشارت إحدى الوثائق إلى هذه الشراكة على زعامة شمر بين الشيخ صفوك وعمه الشيخ عمر عام ١٨١٨ م من خلال بيورديات (امر مكتوب) أرسله داؤد باشا إليهما جاء فيه: ^(٢)

يكتب إلى شيوخ العربان عند توجيه الشيوخية لهم

وهذا أرسله والي بغداد داؤد باشا إلى الشيخ عمر

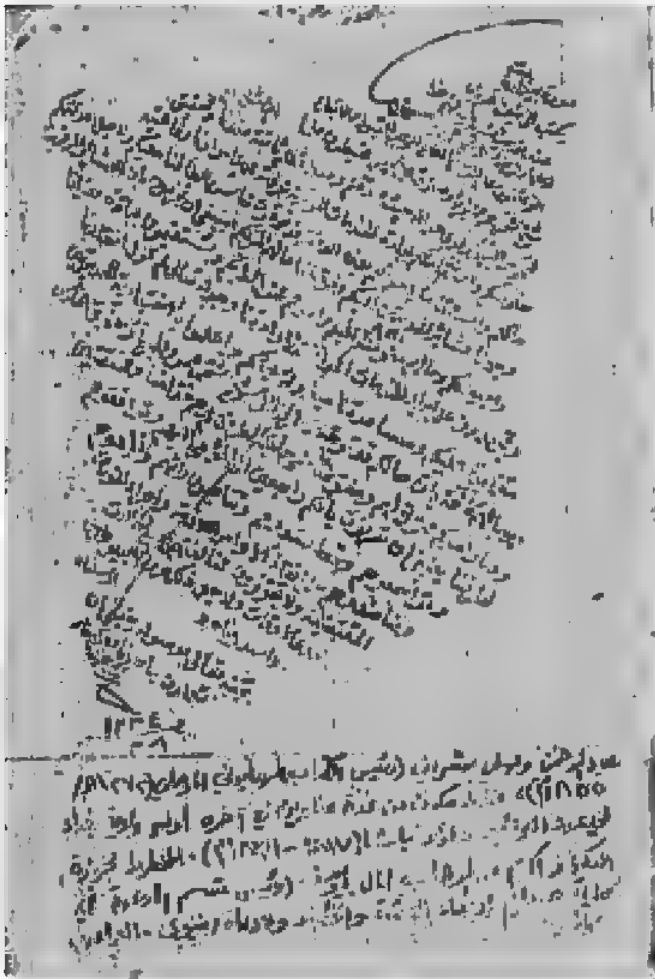
الموافقون على المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع

شيخ شمر عمرو الجربا وصفوق الفارس تحيطون علما: الباعث لتحرير البيورلدي هو انه حيث صندقكم وصدافتكم ثابتة عندنا وحقيق خلوصكم واستقامتكم بجادة الخدمات المرضية مجزومة لدينا، مرادنا رفاهية حالكم واستقامة احوالكم وهذه النفقة قد توافرت محاسن الطافنا عليكم ولأجل معونتكم وجهنا عشائر الحديديين إليكم وفوضنا حالهم لطرفكم فينبغي أن تجزموا بأن العشائر المرفوعين راجعون لكم وحالهم مفوضة إليكم وأمرهم محول لطرفكم وتستقيمون بجادة رضانا وتجهدون على إجراء الخدمات الموافقة لإرادتنا وبعونه تعالى لم نزل أنظارنا متزايدة عليكم ومساعدتنا مبدولة بحفكم، واعلموا يا اختيارية الحديديين ورجاله كافة أن حالكم قد توجه من طرفنا إلى شيخ شمر عمرو الجربا وصفوق الفارس وصار أمرهم محولا لهم مفوضا من جانبنا لطرفهم وهم خدامنا ومختصين لطرفنا، ينبغي أن تعرفوا أنكم راجعون إلى الموما إليهم ونوالقونهم وتراجعونهم وتراجعون رأيهم وتطيعونهم وتعاضدونهم على أنفاذ الأوامر اللازمة وأجراء الخدمات المقتضية ولا توجبون مخالفتهم بجميع الحالات مدى الأوقات ولأجل ذلك حررنا لكم البيور وأصدرناه وأرسلناه بمنته تعالى وبوصوله ينبغي أن تعلموا بما حررناه وفيه الكفاية

والي بغداد داؤد باشا

٨ محرم/١٢٣٤هـ/٧ تشرين الثاني ١٨١٨ م

(٢) - لنحاس، مرجع سابق، هامش ص، ٣٢٦-٣٢٧.



صورة نص البهوردات

الشيخ صفوك علي زعماء شمر

عندما تولى الشيخ صفوك بن فارس زعامة شمر حاول أن يعيد مجد شمر وقوتها على أرض الجزيرة، مستفيداً من الأوضاع الداخلية في العراق، وانشغال والي بغداد داود باشا في التحضير لغزو فارسي محتمل على العراق^(٣)، فنظم قواته القبيلة وفرساقها، وضبط القبائل المجاورة لشمر تحت سلطته، كما أن شمر تحت راية الشيخ صفوك جاءت أعداد من قبائل شمر النجدية بعد تردي الأوضاع في جبل شمر، ومقتل عبد المحسن بن علي أمير حائل على يد القوات المصرية، التي قوضت سلطة آل سعود وسيطرت على الدرعية وأنهت ما يعرف بالدولة السعودية الأولى، وأحدثت اضطراباً كبيراً في شبه الجزيرة العربية^(٤)، مما آل بهذه الأعداد الكبيرة من شمر أن تأتي وتتصوي تحت راية الشيخ صفوك.

عادت شمر من جديد بحكة هذا الشيخ الشاب الشجاع الذي سنراه يحكم شمر حوالي ثلاثة عقود، تميزت بالحروب الكثيرة التي خاضها الشيخ الشجاع دفاعاً عن عروبة أرضه، ووقفاً إلى جانب الحق العربي ضد الهجمات الشرقية و الهيمنة العثمانية، ومتعاوناً مع كل يد تمد له لنصرت الحق العربي، كما تميزت علاقاته خلال حكمه الطويل هذا بالمد والجزر مع ولاية بغداد والسلاطين العثمانيين، في حين أنه الشيخ المهاب الجواد الكريم المطاع عند شمر وما جاورها من القبائل.

سجل لنا القصيد البدوي الكثير من القصائد في مدح هذا الشيخ والتغني ببطولاته ومآثره. ومنها ما قاله فيه الشاعر عبد الله بن ربيعة: ^(٥)

يا الله يا ركب تكلل هميمه عوجوا اركاب الهجن يا ركب المجيم
لين الكرام الهاشمي الكريمه يا ركب روحوا بالتحية وتسليم
سلام من طي الخوافي سليما ما خاشره نوع الريا والتواهم

(3) . Williamson, Op. cit, p28.

(٤) - العريفي، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٥) - من التراث الشعري الشمرى.

عين العديم الي دهاه المظيحه
قالوا احرائش وقلت شايك صريما
للمتجسي ظل ظليل ونعيمها
هذا الفحل وايد افحول الحريمها
مرهم كسر عانيته سم الخصيما
عدل عوج صفاك صفك خليمه
اليا اعتلى حس التلك والرزيمة
فان قيل منهو قلت هداج تيمها
ويا ناشدن ما هو خفي لاتيمه
ما باق عراة الجليس ونديمه
زين العديم تاي ددعاه العظيمة
بيت الندى وبضاعتي من قديمه
ذا قول ضيف بات قزل وحشيمة
لاوافدن والله بحالي عليمه
صفاك دار اعداه لو هو مجيمه
انتي على بيت المحمد من قديمه
بيتن يعلو للعرب مستقيمة

حامي جوانب ساحته والملازم
ما ينجم مامون ضاري اليا ضيم
وللمعتدي نيران حربه مضاريم
الفحل من يلجج مماليم
صافي كدر بالجانبية خشن ونعيم
خياله ارجاله بالمالزم
لانن خفرات الموانع بصمصم
عد قراح المتجسي للدواهم
مفهوم ابو فرحان من غير تفهيم
مجمع الزناد المرجله للمواليم
الميتسم يوم الرزايا منالظيم
بيت الغنا بيت الرجا للمعلايم
بضف سلطان العرب طرب الخيم
ولا شاعر يبغى العطا بالمنالظيم
مجزي نواظرهم وهو بالحرم نيم
سقاء من وبل الحيا هاتف الدين
أمين قولوها معي بالخواتيم

ووصف المؤرخ ابن سند الشيخ صفوك الجربا "صفوق هذا بفتح
الصاد المهملة والفاء بعدها واو ساكنة والقاف، هو في الأصل الممتنع من
الجبال ومن القسي والصخرة الملساء المرتفعة، جمعه صفق ككتب، فسمي به
هذا الكريم الذي اثنى بقافلة العديم، وأيم الله أنه لعديم النظير في كرمه الذي
عنه لسان النعت قصير، ولاغرو أن يحذو القتي حذو آبائه وآبأوه ما منهم إلا
من يضرب المثل بسخلته".^(٦)

وتعد مدة مشابهة صفوك الجربا الممتدة من ١٨١٩-١٨٤٧م، الذي
كانت ولادته بعد عام ١٧٩١ م فيما يعرف عند البدو (بمصافك الأكوان)،

(٦) . ابن سند، مرجع سابق، ص ٣٤٥، ٣٤٩-٣٥١، لزبيدي، تاج العروس (بيروت:
١٩٨٨م) ج ٦، ص ٤٠٨.

لكثرة الوقائع الحربية التي خاضتها شمر مع آل سعود والقبائل الأخرى على أرض نجد، وهي من أدق الفترات في تأريخ المشرق العربي، فقد عاصر الشيخ صفوك العديد من الشخصيات التي لعبت أدواراً في تأريخ هذه الأرض العربية، أمثال داود باشا والي بغداد، والسلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م)، ومحمد علي باشا والي مصر (١٨٠٥-١٨٤٩م)، وشاه فارس فتح علي الذي حاول أن يمد نفوذه وأطماعه تجاه العراق، ويضع هذه الأرض تحت احتلاله، مما كان لشمر وللشيخ صفوك بالذات الدور البارز في صد هذا العدوان.

كانت مدة مشيخة صفوك الأولى صعبة للغاية بالنسبة له ولشمر، فقد عانت شمر من حرب تعرضية مع الوالي داود باشا الذي أراد أن يجمع الأموال لمد حاجة ولايته، ويدفع إلى السلطان العثماني ما يتوجب عليه من ضرائب، وكانت القبائل إحدى الموارد التي أتجه إليها داود لجمع الأموال وشمر بالذات، حيث طلب الوالي من الشيخ صفوك أن يؤدي ما عليه من ضرائب^(٧)، في الوقت الذي أدرك فيه الشيخ صفوك حال شمر غير المرضي، وما عانت من قلة الكلاً والمؤن، لاسيما وأنها مرت بمواسم غير جيدة فرفض الشيخ صفوك دفع الضرائب لداود باشا.

انقلب الحال لصالح الشيخ صفوك إذ أن الوالي الذي أراد أن يجهز حملة عسكرية ضد شمر، لعدم دفعها الضرائب إلى سلطة ولايته، فوجئ بقبائل الصكور من عنزة تقف في وجهه وتتحدى قواته، ومن ثم هزم هزيمة نكراء في حربه معها^(٨)، في الوقت الذي كان فيه المحزم يعمل كل جهده لأجل تقوية وتماسك بيت الرئاسة، ورض الصفوف وتقوية شمر، جامداً في إعادة سلطاتها وهيبتها بتجريده بعض الغزوات على قسم ممن جاوره من القبائل لإعادة سلطة شمر عليها، وتحصيل الخوة التي هي رمز سلطته، كي تستطيع شمر أن تكون القوة المدافعة عن الجزيرة وقبائلها والعراق إذا جاز التعبير.

(٧) . نور، آل محمد، ص ١٢٠-١٢١،

Williamson, Op. cit, p28.

(٨) . علاء موسى نوريس، حكم العماليك في العراق (بغداد: ١٩٧٥م) ص ١٠٤.

ويجدر بنا وقيل الدخول في مجمل الإحداث والمعارك التاريخية التي خاضها الشيخ صفوك أن نشير إلى الطبيعة القتالية للقوات البدوية، والتي كان لها الدور الأكبر في كثير من الأحداث، إذ شكل المجتمع البدوي بوتقة لصنع المحاربين الشجعان، فقد أكسبت البسالة في القتل الشاب البدوي الشجاع مكنته العظيمة في قبيلته، فضلاً عن القيم النبيلة التي تركز على البراعة العسكرية، فقد أعدت حياة الصحراء البدوي للمعارك، ومنذ الشباب يتعلم الصبيان إتقان مهارات ركوب الخيل والجمال، ويفتخر كل شاب بدوي بقدرته على ذلك.

كما وفرت الحياة البدوية أيضاً فرصة ممتازة للمحارب الشاب ليكتسب مهارة جيدة في استعمال البندقية، السيف، الرمح الذي يطلق عليه البدو الشلفا ايضاً^(٩)، وغالباً ما رافق الصبية آباءهم في الصيد وفي مجموعات الإغارة، ومارسوا الملباعديدة شحذت من قدراتهم على استعمال أسلحة مختلفة، وحتى أواخر القرن التاسع عشر ظل الرمح السلاح المفضل للمحارب البدوي في شمر.

وعلى ذلك فإن البدوي من طراز رفيع، وهو أقرب إلى الجندي أو الشرطي منه إلى راعي الجمال، ومن أسمى واجباته حماية اللاجئين من القبائل الأخرى، أي أولئك الذين يدخلون في جواره بالطريقة التي سنها العرف، أو الذين يريدون ملجأً حتى يبلغوا مأمنهم خارج حصى القبيلة، وحماية المسافرين داخل الحما منذ دخولهم إليها وحتى خروجهم منها، مرتبطة كلها (بوجه الرجل) الذي هو شرفه^(١٠)، ومن أخلاق البالية إكرام الرديف، وهو الفرد الذي يترك قبيلته وينظم لأخرى لأسباب عدة، ويصبح أخاً لواحد من أفراد هذه القبيلة، ويكون له فضل كبير إذا ما حدث صدام بين قبيلته الأولى والتي التجأ إليها، إذ أن من أولى واجباته فك الأسارى والتوسط بين القبيلتين.

ويصف الرحالة دارفيو البدو وأخلاقهم في الغزو خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر فيقول: "أن أولئك القوم الذين يقومون بالغزو هم رغم ذلك على جانب من الأخلاق السامية، يحفظون الذمام ويكرمون الضيف إلى

(٩) . لوبنهايم، رحلتي، ج٢، ص ١٢٨.

(١٠) . كارتون كون، القافلة، ترجمة برهان ديجاني (بيروت: دون تاريخ)، ص ٢٩١.

أقصى حدود الكرم، يغارون على العرض ويتحطون بالإباء والشمم، وليس الغزو حرباً لأنهم لا يهاجمون إلا إذا وثقوا من تفوق قوتهم، أما إذا غلبوا على أمرهم فإلهم لا يسدون الرمية للقتل، رغم أن الغيظ يملكهم إذا لقوا مقاومة أو جرحوا، لأن الهدف الذي يرمون إليه ليس إلا الحصول على الغنيمة فحسب، وإذا ما حصل وقتل أحد الرجال أثناء الغزو فإن من حق أهل القتل طلب الثأر من قتله أو من أهله، أو أن تؤدي الدية لأهل القتل، ويجب على القاتل وأهله أو عشيرته أن يؤدوا الدية لأهل القتل^(١١).

هذا بخلاف الجند المماليك الذين سكنوا المدن إلا في أوقات الحملات الإقليمية، ينشغل المحاربون البدو في النشاطات العسكرية طوال السنة على شكل غزوات ضد القبائل المجاورة. ورغم أن هذه الغارات كانت تتسم بروح رياضية، إلا أنها وفرت فرصة عظيمة لشحذ المهارات الحربية، ففي الغزوة كانت الفرصة جيدة للمحارب كي يظهر براعته القتالية، ليفوز بشرف كبير بشجاعته، لقد استخدم البدو إلى جانب قدرتهم القتالية المتفوقة، معرفتهم الممتازة لجغرافية الصحراء في مراوغة القوات الحكومية، وقد بقيت العلاقة بين البدو والأتراك في وضع غير متجانس لأن البدوي لا يثق بالأتراك العثمانيين، ولا يريد أن يدخل في مفاوضات معهم لأنها لا تقضي في كثير من الأحيان إلى أية نتائج لصالحه، بل على العكس تزيد من هوة الخلاف بينهم^(١٢).

في السنوات الأولى لكل من حكم داود باشا لبغداد ولمشيخة الشيخ صفيك على شمر كان كل من الاثنين يكن الحذر بصاحبه وعدم الثقة به، لكن عندما تكون أرض الوطن في خطر لوجود قوة خارجية تحاول النيل من أرض العراق واحتلاله، ترى الأيدي تجتمع والكلمة تغدو واحدة للدفاع عن تراب العراق وصد العدوان الفارسي الذي أراد احتلال أجزاء من هذه الأرض.

(١١) . نفسه.

(12) . Williamson, op. cit, p. 3,

بلنت، قبائل فرات، ص ٤٦.

ووصف لنا احد قواصيد البدو بصري الوضيحي المحزم بقوله:

وبلت من الزرقا مداخل قرنها
ولي له ريفن لايعة ما مكنها
تفريز يزوى جفلت من عدنها
مرقب عرودا منبج أنهاج عنها
يعقرا ولو هو من محاري كمنها
غربي تلبل النيل مداخل اثغنها
صفوك شجيل الروز حامي ضعنها
ولا ينهي عن رادة يوم ينها
لو ينوزن لشيوخ نجدن وزنها
سيب العراق اليا تطائب دخنها
ولاقللوا أكالة الزاد منها
بشولن ومشوال يبارن ضعنها
سود المصامح ينشد الشيخ عنها
وكابون حدر السرج ضافي بدنها
عصلا عمودي ما حلى من لحنها
وغزلوى بيراس قايد رعنها
كلن يخم أعنتها مع رسنها
يشدن عصافير القرايا لحنها
وكلن يقولن الملبسة من طعنها
عليه شلكن العذارى وجنها
كلن يقول بعمرسته مال عنها
غربي هبات الطير ينحون عنها
بخيت يالي حده البعد عنها
جني بوسط لايتي وخير منها
هل أرباع ينشد الضيف عنها^(١٣)

من كلكلة شديت كورن نجبي
تخوي كما يخوي مع المحزم ذبيبي
اليا هازها المحجان تجيبه خبيبي
ونطيت راس الحيد يومن تببيبي
طالعت بالخابور شوقي جريبي
ثار به من المرفوع طرشن عزبيبي
طالعت بيت الشيخ ضد الحريبي
شيخن على كل المشايخ تعبيبي
شيخن ولا شوقته من قريبي
البيت بينى والدخن تكل سبيبي
يقلط صحونن به هبيط وعصبي
يا الله طاببتك لا تخيب نصبيبي
ومشمرن ماهي خطات الهليبي
أهرها حنطة وزبدة حليبي
مع سربتن يجدها حس الوبيبي
ان صاح صياح الضحى وقال ربيبي
تعلوهن زوبعنن كالذهبيبي
وبراشمن بمشمرات السبيبي
وتجاذبوا مثل المحوص الجليبي
صوبب شقران النرى مايطبيبي
أكثر صياح البيض واشق جيبي
من مبهلن لثري لأم الحليبي
كدرى ورضيع الديد منها يشبيبي
ياناشدن عنى ترانى بطبيبي
يم السمول امدهلن الغريبي

(١٣) . من لفرات الشعرى الشمري.

موقف شمر من الغزو البربري القاجاري للعراق

لم تهدأ أطماع الإيرانيين تجاه العراق وأرضه منذ أقدم العصور، وكان آخر احتلال لهم على العهد الصفوي الذي طردهم منه العثمانيون عام ١٥٣٤م ثم حملة نادر شاه الفاشلة على العراق عام ١٧٤٣م^(١٤)، ظهرت الأطماع الإيرانية من جديد تجاه العراق على يد الشاه فتح علي خان ومعاونيه ما بين عامي ١٨١٩ - ١٨٢٢م، لقد بدأت المناوشات الأولى بين القوات القاجارية وقوات المماليك عندما ساند محمد علي مرزا حاكم كرمنشاه أحد الثوار الأكراد على داود باشا، وهو محمد بلبان الذي طلب من الحاكم القاجاري أن يمدّه بقوات تساعد في تمرده هذا ضد ولاية بغداد والدولة العثمانية، فأرسل له عشرة آلاف مقاتل في تدخل واضح في شؤون الدولة العثمانية الداخلية.

استطاعت هذه القوات أن تحتل المناطق المحيطة بكركوك من جهة إيران، ولم يستطع عبد الله باشا عم داود وقتل قواته أن يواجه هذه القوة، بعد أن كان داود باشا قد أرسله لمحاربة محمد بلبان ومن معه من القوات الأيرانية، فعاد إلى بغداد مع قواته وحاول داود أن يفاوض عبد الله بلبان والشاه القاجاري على سحب قواته^(١٥)، لكن محمد علي مرزا كان يطمع في الوصول إلى بغداد واحتلالها، فأرسل بعض القوات لمحاصرة بغداد عبر دلي، وهنا تظهر النخوة العربية والحس العربي الأصيل لدى شمر وشيوخها صفوك الجربا في الحفاظ على أرض العراق وعروبته ضد الأطماع القاجارية، فتصدى لها مع شمر التي معه وعشائر المنطقة وشرذم هذه القوات وكسر شوكتهم وهزمهم شمر هزيمة.

وقد وصف لنا أبن سند المعاصر للأحداث موقف المحزّم هذا بقوله:
وقد كان أرسل والي كرمان مقدار ألف من عسكره للميرة من تلك الأوطان

(١٤) . دعيد العزيز سليمان نور، مصر والعراق دراسة في تاريخ العلاقات بينهما (القاهرة: ١٩٦٨م) ص ١٢١-١٢٢..

(15) . Williamson, Op. cit, p 31-32.

(١٦)، ويقصد به إقليم ديالى نواحي الخالص وخراسان، لينهبوا القرى العربية والبيساتين، وحل فيهم صفوك الجرباء، وقراهم طعنأ وضربأ وسقامهم بدل العذب عذابأ، وجرعهم بالسيف مرأ وصلبأ، فقتل منهم الكثير والباقي بين مهزوم وأسير وغنم من أسلحتهم ما به الكسر لأجنتهم (١٧).

لقد طالب والي كرمنشاه على أثر هذه الهزيمة النكراء التي ألحقتها به شمر وشيخها الصلح والهندة من داؤد باشا، وبذلك حمى الشيخ الجليل صفوك بن فارس الجربا بغداد وما حولها من مناطق ديالى من السقوط بيد الأيرانيين وذلك عام ١٨٢١م.

على أثر هذا النصر الذي أحرزته شمر أزداد الوضع المادي لشمر تحسناً، ووقيت الصداقة بين صفوك وداؤد باشا، وأصبح الشيخ صفوك في مقدمة شيوخ العشائر عند داؤد، كما عزز المحزم مكانة شمر بين القبائل العربية، وأحكمت شمر سيطرتها على كامل الجزيرة الفراتية فضلا عن المكّة الأولى بين العشائر عند المماليك في بغداد، والسلطان العثماني بالنسبة لقبائل العراق العربية، لتتأكد هذه المكانة عام ١٨٢٢م عندما أنقذ الشيخ صفوك القوات العثمانية والمملوكية من أيدي الفرس بقيادة أخي الشاه وولي عهده الأمير عباس ميرزا والي أذربيجان الذي كان في مواجهة مع القوات العثمانية التي لم تستطع مقاومة الأمير عباس وحدها، لذلك طلب السلطان العثماني من داؤد أن يرسل له قوات فضلا عن ما كان قد طلبه من ولاية الموصل وديار بكر، فأرسل داؤد باشا على الفور قوة مكونة من عشرة آلاف مقاتل تحت قيادة طالب اغا (١٨) في ذات الوقت شق علي ميرزا حاكم كرمان الذي كان الشيخ صفوك وشمر قد هزما جيشه في نواحي الخالص عصا الصلح، وحاول أن يهاجم القوات العثمانية من الخلف، فكان له الشيخ صفوك مع شمر بلمرصاد، لأن الشيخ صفوك كان قد وضع شمر ظهيرا لقوات الوالي داؤد باشا وللقات العثمانية، واستطاع أن يقضي على قوات والي كرمان المهاجمة بتكتيك عسكري بارع، فقسم الشيخ صفوك فرسانه إلى

(١٦) . ابن سند، مرجع سابق، ص ٣٤٠.

(١٧) . نفسه، ص ٢٤١، نورس، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(١٨) . نورس، مرجع سابق، ص ١٦٢.

مجموعات أعارت على القوات القاجارية، فقامت هذه القوات بملاحقة ومطاردة فرسان الغارة الشمامرة فأوقعها الشيخ صفوك في كمين معد لها قرب قزانيا، واستطاع أن يقضي على هذه القوة التي كان هدفها ضرب القوات العثمانية من الخلف، ثم التوجه لاحتلال بغداد، في حين كان داود باشا قد بعث إلى السلطان العثماني محمود الثاني طالباً النجدة، فلم يرسل السلطان له القوات اللازمة بل طلب من محمد علي باشا والي مصر أن يوجه قوة من مصر لإنقاذ العراق من الأيرانيين.

سحق الشيخ صفوك هذه القوات وهزمها شر هزيمة، ودخل المعسكر الأيراني وغنم منه الكثير، كما قضى وباء الكوليرا على ما تبقى من الجيش القاجاري الذي كان يواجه العثمانيين، وانتهت هذه الحملة الفارسية بلفشل، واستطاع الشيخ العربي صفوك بن فارس أن يحمي العراق وأرضه من احتلال آخر حاول الإيرانيون أن يحققوه^(١٩) وأشار المؤرخ ابن سند لهذا النصر الذي حققه الشيخ صفوك بأبيات من الشعر جاء فيها:



(19) . Williamson, Op. cit, p32,

لكرركلي، مرجع سابق، ص ٣٠٠، نولر، مصر والعراق، ص ١٢٤

هم الاكرام فاسأل عنهم منهم
من حل ساحتهم ضيفاً رأى بهم
ما ضام جارهم دهر ولا خذلوا
ما شام نار قرئ سار فيمهما
لو رام ضيفهم أرواحهم سمحوا
ما ساد سائدهم الا بمصلاته
وحقهم ما ضاعت نار عاديه
ما فاخروا العرب الا فاق ناشنهم
مولعون بما اباهم الفوا
كأنهم لقرئ الاضياف قد خلقوا
مخدمون ولكن في مجالسهم
لولاهم ما زها بدو ورابية
ولا ظعنن في البيداء عودها
إذا إنتمى فالى الاجواد من ثعل
والحاملين من الخطي اطوله
والنارلين بنجد كل رابية
لم يركبوا العير في بدو ولا حضر
شم اباة فما ادوا إلى ملك
لا يشتكي جارهم منهم سوى كرم
هم ينحرون من الكوم البهارز ما
لو كان في الناس منهم واحد ودعوا
لم الر مطلقهم اندى واكرم ام
لكن سألت الندى عنهم فقال الا
يكاد من كرم الاخلاق يبذل ما
اعطى صديقاً ففاق الجود من هرم
سل عن فواضله أعداءه فهم
ياشمرى رأينا من مواهبه
اني مدحت لسمعي عنك ما قصرت

من يسألون إذا ما إشتكت الأزم
أسداً إذا صدموا سحباً إذا كرموا
مولئ ولا وخموا طبعاً ولا وجموا
إلا ورافعها حتى تشام هم
فاليتق الله في الأرواح ضيفهم
خضابها علق ممن بغى ودم
إلا وموقدها أسيفهم بهم
بكل فضل به فاقت كهولهم
قبل الفطام الندى يهوى وليدهم
وللطعان لأسد الغاب تصطدم
لكل ضيف بتعجيل القرى خدم
ولا زها أجا والنيير والعلم
طعن الفوارس عنها صيرم رزم
والبالذين إذا ما ضمن غيرهم
كي يعلم الأسد أن الرامحين هم
عنها تقاصرت الحزان ولأكم
لكن شياظم منها الكمت والدهم
أتاوة او عرا جاراتهم ظلم
لو بثوا في الأرض لم يوجد بها لؤم
لو كان في إرم ما مسها قرم
من الكريم لأوحى نحوه الكرم
أبوه ام فارس ام ذا صفوقهم
كل كريم وأسخاهم أخيرهم
في الأرض وهو يرى أن الندى وجم
وهل يضارع شيئاً نلتاً هرم
من عد ما أثبتوا من نزرها سنموا
ما ليس يحصره طرس ولا قلم
عن أن تجاريه في سحه الديم

فسيرت فيك افكاري قوافي لا
ولم أرد بمديحي فيك جائزة
لكنني رجل أهوى الكرام ومن
إذ كنت افرغت وسعاً في نصيحتي
نصرتي بيني عم ضراغمة
فصبحوا عجماً قد خالفوا وبغوا
هم صبحوهم ولكن انت قائدهم
إذ ساوروهم على جرد مطهمة
شم العرائين مالات شكالمهم
سلوا السيوف على سود الوجوه فمذ
روافض حسبوا فجر الهدى سحماً
راموا معاداة من ظلت بوانده
ومذ اذاقهم الخطي مرتعشاً
ردوا خزاي على الاعقاب تحصبهم
والدارعون ولكن بالقلوب فكم
فكنت اجراهم مهراً إلى رهج
قد ساعدتك اسود قال قائلهم
فعد العجم امثال الرمال وهل
لله عرب اطاعوا امر منصلت
لكنه ذادهم عنه بمنصلت
فخراً صفوق لان ناصرت منتصراً

تتفك تضرب امثالاً فتنسجم
وان تكن ثريت من سببك الأمم
كانوا لخير وزير في الوري خدم
وكنيت قاضيه لما بغى العجم
باعوا على كل خطار نفوسهم
بمرهقات تخال الشهب فوقهم
لولاك ما كسروا هاماً ولا جزموا
لو لم يكونوا جبلاً خلقت بهم
ان لان من غيرهم حادث شك
شاموا بوارقها اتجابت بها الظلم
وليس مثل البياض الساطع السحم
بالمرهقات من الباغين تنتقم
والمشرقي به المستأسد الشكم
بالبيض والسمر أبطال الوغى القدم
كروا وما ادرعوا الا قلوبهم
والبيض تنشر والمران ينتظم
سلوا الظبي وبحبل الله فاعتصموا
يصادم العرب في كراتها العجم
وهزبري له من سمره أجم
فأسلموا العز لما سل وإنهزموا
به الأماثل في أيامه ختموا^(٢٠)

استطاع الشيخ صفوك أن يقتضي على قوة منظمة ومسلحة تسليحاً
جيداً بقواته البدوية التي كان سلاحها الأساس السيف والرمح، في الوقت الذي
سد داود أبواب بغداد وحضر المدينة لحصار طويل محتثاً ببنادقه ومدافعه،
استطاعت شمر أن تهزم هذه القوات بتماسكها وحسها العربي الأصيل، في
الدفاع عن الأرض وصيانة التراب لحماية العرض، وكان التفوق الفردي

(٢٠) . ابن سند، مرجع سابق، ص ٢٥٦.

للبدوي الشمري وتمكنه من أساليب القتال السريع، وحكمة قائد شمر وشيخها وما يمتلكه من حس عسكري ممتاز، وقيم عربية أصيلة اثرها الأساسي لتحقيق هذا النصر على هذه القوات المعتدية، وتخليص بغداد من السقوط بيد الفرس،

لقد عرف الوالي المملوكي على بغداد داود باشا للشيخ صفوك صنيعة الشهم النبيل، وما فعله تجاه العراق وبغداد، فأنعم عليه بلقب "وزير"^(٢١)، وأقطعته عاتيه وما حولها لتكون تحت إدارة هذا الشيخ الشمري، وله موارد، ويذكر ذلك ابن سند بقوله: "ولما نصر صفوك هذا الوزير المقدم.. أقطعته عاتيه وما يتبعها من القرى وهذا عطاء لم أره من غيره لمثل صفوك"^(٢٢).

أضحى المحزم وهو لقب حمله الشيخ صفوك لأنه لم ينزع حزام الحرب عن جسده لفترات طويلة^(٢٣)، من المتقدمين لدى داود باشا المناصرين للوزير المملوكي، وذا حظوة في بلاط الولاية، وكثرت الهدايا والعطايا التي قدمها داود باشا للشيخ صفوك الجرباء، وأضحيا صديقين حميمين بعدما كان كل منهما يتوجس من الآخر ويخافه.



(٢١) . نفسه.

(٢٢) . نفسه.

(٢٣) . زكريا، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٧١.

الصراع بين شمر وعنزة في الجزيرة ١٨٢٢-١٨٢٥م

في عام ١٨٢٣م كان نفوذ شمر ممتدا من نهر الفرات في الجنوب إلى ماردين في الشمال، ومن الموصل ونهر دجلة في الشرق إلى ما وراء نهر الخابور في الغرب^(٢٤)، وبسبب هذا الاتساع الكبير في الأرض كان لابد أن يحدث احتكاك مباشر بين شمر وبين قبائل عنزة الآتية من الأراضي النجدية، بإعداد كبيرة جداً طالبة المرعى والمنزل الجيد، نتيجة الجفاف، والصراعات الدموية التي كانت على أرض شبه الجزيرة العربية بين ابن سعود وأتباعه الوهابيين مع غيرهم من القبائل الأخرى، ومن ثم مجيء قوات محمد علي باشا والتي مصر وما فعلته في شبه الجزيرة العربية، وبعد أن دخلت قبائل عنزة في صراعات مريرة في بلادية بلاد الشام مع أبناء عموماتها الذين كانوا قد سبقوا إلى تلكم البوادي، توجهت نحو أراضي شمر طامعة فيها وفي مراعيها، فحبرت الفرات باتجاه أرض الجزيرة واعتدت على شمر وبيوتاتها وهي في مراعيها وضمن حماها أمنة، مما أذكى صراعا طويلا بين شمر وعنزة بقيت آثاره إلى اليوم في أذهان العامة في العراق، بما عرف بمصطلح (شمر وعنزة).

اصطدمت شمر بقبائل عنزة في العام ١٨٢٣م التي غزتها ضمن حماها في موقع يقال له (بصلة)، وحدثت معركة شرسة بين الطرفين استمرت حوالي الشهرين، كان لفرسان شمر الغلبة فيها، وكسرت عنزة وأسر هودج (حصه) بنت الحميدي بن عبد الله بن هذال شيخ العمارات،^(٢٥) مع غنائم كبيرة جداً من الإبل والأغنام والخيول، وعاد الشيخ الشاب صفوك من هذه الغزوة إلى مضاربه منتصراً ظافراً^(٢٦)، مع فرسان شمر الذين دافعوا عن موطنهم ومراعي ابلهم وأغنامهم وشرف عشائهم.

(24) Williamson, Op. cit, p. 32.

(٢٥) . حديد، مرجع سابق، ص ١٠٦-١٠٧.

(٢٦) . ابن سند، مرجع سابق، ص ٣٥٨.

لم يرق لداؤد باشا والي بغداد هذا النصر الذي حققه حليفه المحزم على عنزة، بل كان يرغب في أن تكسر عنزة شوكة شمر، فهو لا يريد أن يزداد هذا الفارس البدوي قوة ومنعة، لأن داؤد باشا على الرغم مما قدمه للشيخ صفوك له كان في نيته أن يجعل العراق كله تحت قبضته، وفكر جدياً بالانفصال عن الدولة العثمانية، فليس من مصلحته أن يكون معه فارس عربي قوي قد ينافسه على السلطة إذا ما حاول الانفصال، بل كان يرغب في أن تبقى قوة شمر تحت نظره، وضمن الحدود التي ليس فيها خطر عليه ولا على كرسي حكمه، خاصة وأنه غير عربي إذ كان في الأصل مملوكاً والشيخ صفوك عربي خالص المروبة، فسيكون حظه أوفر في أخذ السلطة من يده، وسيكون أهل بغداد وسكان العراق إلى جانبه ضد التسلط التركي والمملوكي.

فقام داؤد باشا واتصل بحميدي ابن هذال واعلمه أن قواته لن تساعد الشيخ صفوك إذا ما غزت عنزة حتى شمر وقبائلها ثقتية، بالرغم من أن قوات داؤد باشا لم تساعد الشيخ صفوك وشمر في مناح بصاله، وبالفعل حدث هذا اللقاء بين شمر وعنزة في العام ١٨٢٤م، إذ قام حميدي بن هذال والعمارات مع الرولة والفدعان من عنزة بعد أن تهيؤوا لهذه الغارة مدة سنة كاملة، حتى صار العنزي يذبح وليد فرسه كي لا يضعفها من الرضاعة ويقول: (لعيون حصه ما تمصه)،^(٢٧) بالإغارة على مضارب شمر في منطقة (السبيخة) قرب بيجي، وتطاحن الفريقان واستطاعت عنزة في النهاية أن تغلب شمر بكرة أعداد رجالها الذين جاءوا مع ابن هذال، وتغنم العديد من الخيول مع قطعان كبيرة من الأغنام، ثم عادت إلى الشامية عبر الفرات، ولم تستطع عنزة البقاء على أرض الجزيرة ضمن حامي شمر خوفاً من ردة فعل الشيخ صفوك وشمر على هذه الغزوة، كما بقيت شمر محافظة على أرضها وحماها والحرب سجال.^(٢٨)

شمر الشيخ صفوك بعد مناح سبيخة بطبيعة العلاقة الحقيقية بينه وبين سلطة المماليك في بغداد، إذ كان من المفروض أن تتدخل القوات الحكومية إلى جانب شمر في هذه المعركة، ولكن داؤد باشا وتعبيراً منه على أنه لا

(٢٧) . الحادثة مشهورة لدى شمر .

(28) . Williamson, Op. cit, p32.

يمكنه أن يتخطى عن شيخ شمر وقبيلته، وتعويضاً عما خسرت شمر في هذه المعركة أرسل إلى الشيخ صفوك مبلغاً من المال قدره ثلاثين ألف قرش دفعة واحدة، ليثبت للشيخ صفوك صداقته له ولشمر التي سبقتها قبل أعوام في صد الغزو الإيراني على العراق، وبالتالي ليزيد من قدرته شمر على مواجهة عنزة إذا ما عادت ثانية⁽²⁹⁾، لكنه في الحقيقة كان مرتاحاً من هزيمة شمر لأنه كان يعتقد أنه استطاع أن يكسر قوة هذا التجمع القبلي، وإن بإمكانه أن يستخدم عنزة كقوة ضاربة إذا ما حاولت شمر أن تقوي سلطانها على حسابها، وهذا ما سوف تفعله السلطة العثمانية دائماً تجاه شمر على أرض الجزيرة الفراتية.



جمع من عنزة

(29) . Ibid, P33.

أوضاع شمر ١٨٢٥-١٨٣٠م

كانت عائلة المحمد وشمر قد فقدت خلال هذه الفترة أو قبلها الشيخ عبد العزيز بن مطلق الجربا (الدواي) وهو من الفرسان المشهود لهم، إذ أنه غاب عن مضارب شمر في إحدى رحلات الصيد ولم يعد، وانقطعت أخباره منذ ذلك الحين ولم يوقع له على أثر. (٢٠)

وخلال هذه الفترة من حياة شمر على أرض الجزيرة الفراتية قتل ظاهر بن فارس أخو الشيخ صفوك، الذي في داره كان يعيش المساكين والمحتاجون لشدة كرمه وورعه، في خلاف علني بعد فقدان اثر الشيخ عبد العزيز المطلق على يد الشيخ فهد حفيد الشيخ مطلق الجربا، واحد رجله المدعو مزعل، الذين تركا أرض الجزيرة بعد هذا الحادث ونزلا إلى جبل

شمر، وشارك الشيخ فهد المطلق مع الدغيرات من شمر ومن سار معها من قبائل شمر نجد في المعركة التي حدثت بينها وبين العواجيه من ولد سليمان من عنزة، بعد أن كان العواجيه قد غزوا أراضي شمر عندما اضطربت منطقة الجبل بعد مجيء القوات المصرية إلى أرض الجزيرة العربية، مما عرف عند أهل البادية بمناخ ظفرة الذي كانت الغلبة فيه لشمر نجد بقيادة الشيخ فهد بن سلطان بن مطلق الجربا (٢١).



(٢٠) . لروايه مشهوره وموثقة لدى شمر.

(٢١) . نفسه.

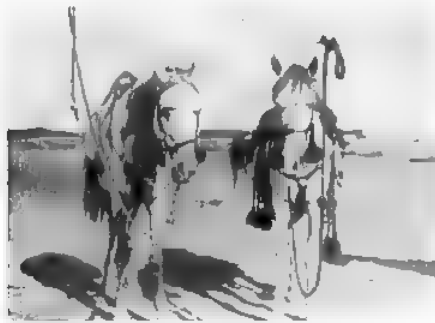
ووصف الشاعر الحسيني الهكازمناخ ظفرة في هذه الأبيات: (٣٢)

يا دارالعنا حليرين كيف يا دار عقب الشيخ زاد الظلامي
يا دار ابو سميط خلاك يا حيف فز اللغا ذباح عجب السنمي
اقفا ولا خلا بنجد تحاسيف ابوه وجده هم خراب الطعامي
لقفا ايبارنو اقطاعن هراجيف حط الشرايع له اكصادن ايمامي
لما على الملموم ياخذ على الكيف ولا على ديرة مرببي اليتامي
يا دار ونظبوج شرابة الكيف البدو للآثر اك مالهم الزامي
تنحي ولا نقعد لهم كلاليف ونبعد عن الأروام رطن العجمي
يا دار ناتييك فسوق المواجيف ونسودع عظام الي يطبك ارمامي
يا مزنة غرة نشت لها رفاريف تمطر على ظفرا ومطرها كراشيف
تمطر على ظفرا ومطرها كراشيف تفتح بها بكع النسور الأثامي
زيديها جرد المهار المزاغيف وعشا اردون امسيحين الأودامي
ضعلين يسرن وجرن من الليف من واقصه ما شبعوا للمقامي
يسرن بثر شيخن لنا رد للسيف هو شيخنا خيا عجفا سنامي
ياما نبجنا لون هالك العراجيف سلمى واجا وهالك العصامي
نبسي نكلسط ميرها للضاييف ويطرأوا الحضيران باب الطعامي
من عصفرون تسمع لحسه رواجيف تسري على ضوحوه بليل الظلامي
ويا حملتن حديث وجمعها نعها شيف ولا هي جرودن جت بهلها شمامي
تتلي نعيسن يطرودن الجلاخيف ومحمد وعدوان ست الجهامي
وزمل المنيعيات يحدى زفازيف على المناخ الشين يحدى شمامي
ونعمك من العصلان اورلاذ ابا سيف كساية العيدان ريش النعامي
ونعمك من التومان خضابة السيف بالعون هاشوا يوم هب الولامي
يتلون اخو نورا زبون المجاليف اليا حط من فوق السيال الجتامي
بالسيف نسف نبشي الراس تنسيف بمخضر جسيت ثمن الف شامي
ان ذعذع الهدلى على الخيل كل كيف تدهش بطروعات السبايا الحولامي
وعبدة سظام اللي براسه زعاتيف اولاد سنعوس اصلااب العظامي

(٣٢) . من التراث الشعري الشمرى..

يتلون ابن جبرين ريف المناسيف
نهجت السر اجموعهم بالتواصيف
ونكست لربعي اللي عزيزين التواصيف
انا اشهد أن اقلوبهم صمم بالخليف
اولاد علي شوكة الحرب اهل كيف
ان جيت بوسطهم كيفت تكيف
ارفضا لعيني اصبحت الغرد العيف
تسمع لهم شررا منادى الفراريف
مطارج تزرع بهم مثل الفراريف
ان صدروهن ووردوهن وهن عيف
حريمهم في راس ظفرا مواجيف
ترى ياربع مفتاح اتسوي زعائيف
تحيزموا لهم بكشوشهن والتطاريف
ويلما نبحنا دون الأثماد وهيف
ويدارنا حنا لنا به تصاريف
عينيك يارمان زين الهفايف
ابن زهوة فارقت الهراجيف
الأولة سحين بالحين بتجريف
دزن بعيدان البنزوي وتتجريف

ابو صنيذح الحريبة اسطامي
يمار وجيه اجموعهم بنخدامي
يمار بالزهم والجمع زامي
يردون حوض الموت ورد الضوامي
عدوهم ما يرتهي منهم بالمنامي
واللي احذاهم برعين بالكلامي
شوفي بعيني ما هو رد العلامي
وحساسهم تشدا غضااض الجتامي
تزرع بالقصبيدير من عين رامي
اليا ما غدا شررا الهشيم الركامي
لك الحمد يشكن الحفا والرثامي
ردوا لنصب امطلاك التجامي
ويلما كسرتنا من جموع جهامي
وتسعرن دون عمارت تسامي
سلمي ورمان واجا والعصامي
دونك خذينا كشهم والجهامي
الأجرب العيطي ظواه الهيامي
ظليت اوداع ما يعود تمامي
وراحوا معيفين الرجال الكرلامي



وفي ظاهر بن فارس الجربا قيلت العديد من الأبيات الشعرية التي تذكر أخلاقه وصفاته وشملته:

البارحة الفاظر علينا تلوجي يدوي نحرها اليا ادبحن الميازين
كفاج بالله هودي يا الخلوجي لا تفتنين ألقوب ناسن مريحين
تفتنين الي بقلبه تلوج جمرة غظا والقلب ياخذ ميادين
أجاويج بالصوت بحس زعوج بلجي يريح القلب وإنتي تريحين
انت غدالج حاشين يكالج بوجي ثمنه اليا طب المدينة بعشرين
وأنا على ظاهر وسيع الفجوج من خلقتة ما حلف الشمري دين
لاياخذ العقبا ولارياه عوج الي ببيتته يشبعون المساكين
خريصات فوق الخيل مثل البروق على عجيد القوم للروح مهدين
اليا نواو الخير سمن بروجي مكاسير البولاد ما هم خفيين^(٣٣)

كانت المدونات عن السنوات الأخيرة من حكم داود باشا وعلاقته بشمر وشيخها صفوك نادرة، ولكن الأحداث أشارت إلى أن تدهور تلك العلاقة قد بدأ منذ انتهاء معارك داود باشا مع أهالي كربلاء المقدسة الذين ثاروا على جور سلطته عام ١٨٢٥م، فأرسل إليهم قواته النظامية بقيادة سليمان مير أخور (آمر الأصطبلات) مع عدد من العشائر العربية.

وكان الشيخ صفوك الجربا وشمر بضمنها مرغما مع ١٥٠ فارس و ١٠٠٠ راجل، ويصف احد الكتاب الكرblانيين الشيخ صفوك بقوله: "كان بطلا صنيديا وفارسا عنيدا معروفا بدقته في الرماية"،^(٣٤) استمرت المعارك مع الكرblانيين ٩ جولات دون أن تحقق القوات الحكومية نصرا حاسما على عليهم، وقد انشقت في احدى المعارك تلك بندقية الشيخ صفوك وأصابته اطلاقها في كتفه، ثم انتهت تلك المعارك مع أهل كربلاء دون أن تحسم لصالح قوات داود باشا، كما أن خلافا حدث بين الشيخ صفوك وأمر قوات

(٣٣) . من التراث الشعري الشمري.

(٣٤) . محمد حسن مصطفى الكلبدار، كربلاء مدينة الحسين (بغداد: ١٩٦٩م) ص ٢٢٣.

الحكومة سليمان مير أخور، عندما طلب المير أخور من العشائر أن يقدموا نساء لتطريب جنوده^(٣٥).

رفض الشيخ صفوك هذا الأمر بشدة، وكان من نتيجته ان انسحب الشيخ صفوك مع من معه من شمر وترك ارض الحسينية التي كان ينزلها عند عشائر المسعود من شمر التي ناصرتة وقاقت معه قوات المير أخور، وتخلّى عن حصار كربلاء واتجه إلى موطنه قرب جبل سنجار، ثم قام مع شمر بثورة عارمة ضد داود باشا وسلطته منذ العام ١٨٢٧م^(٣٦)، اثر تصرفات المير أخور وواليه داود باشا، متزامناً بذلك مع إعلان داود فيما بعد عصيانه على السلطة العثمانية، ومحاولة الاستقلال بولاية بغداد والبصرة عن الدولة العثمانية.

مما حدا بالملطان محمود الثاني نتيجة هذا التصرف إلى إرسال قوة كبيرة من الجند العثمانيين تحت قيادة علي رضا الآز والي حلب، للقضاء على تمرد داود باشا وإعادة بغداد إلى حاضرة الدولة العثمانية، وإبقائها تحت سلطتها، وهنا نرى حنكة وذكاء الفارس الشمرى الشيخ صفوك الجربا تجاه هذه الأحداث، فبادر إلى مساعدة علي رضا باشا في حملته ضد داود كي يتخلص من منافسه على زعامة الأرض العراقية داود باشا، لاسيما وان أهلي بغداد كانت لهم تطلعات نحو الاستقلال عن الدولة العثمانية والانضمام إلى الجهد الوحدوي الذي كان يقوم به محمد علي باشا ولي مصر، للتخلص من السيطرة العثمانية، وقد تم الاتصال مع الشيخ صفوك من قبل بعض وجهاء بغداد للتخلص من سلطة داود باشا، لذلك نرى أن الحملة عندما سارت إلى بغداد كان الشيخ صفوك وشمر تسير إلى جانب علي رضا باشا فضلاً عن سليمان بن غنام شيخ العقيل الذي كان هو وقبيلته في يوم من الأيام القوة القبليّة الرسميّة التي بيد المماليك، وبها يضربون القبائل العربية المتمردة على سلطتهم^(٣٧).

(٣٥) . نفسه.

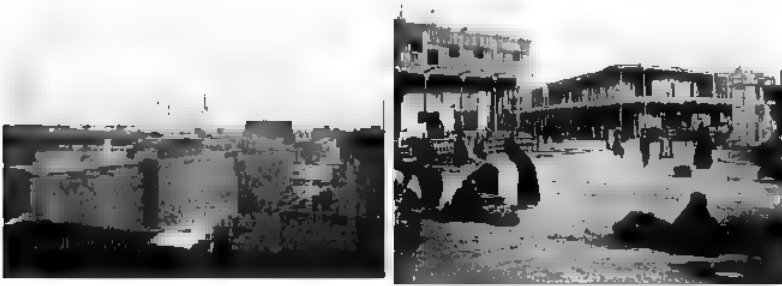
(٣٦) . نولر، داود باشا، ص ١٠٨.

(٣٧) . جيمس بلي فريزر، رحلة فريزر إلى العراق، ترجمة جعفر خياط (بغداد:

١٩٦٤م) ص ١٢١-١٢٢.

ويصف لنا الشاعر عبد الله بن ربيعة دور الشيخ صفوك في معارك
كربلاء بقوله:

وهو الذي خلى السويطي عدا القوم والشمرى للشام يطرد ضحينة
وصفوك من كون المقير الى اليوم متقلد قلب النعامة قرينة^(٣٨)



كربلاء عام ١٩٠٩م بعدسة مس بيل

(٣٨) . من التراث الشعري الشمرى.

دور الشيخ صفوك في إسقاط محاليل العراق

برز الخلاف بين داود باشا والسلطان العثماني منذ عام ١٨٢٦ م، عندما أراد السلطان محمود الثاني أن يقوي السلطة المركزية للدولة بسن بعض الإصلاحات وتلكؤ داود باشا في تطبيق تلكم الإصلاحات، كما كانت لداود باشا مساهمات رمزية في الحرب الروسية العثمانية عام ١٨٢٧ م مما حدا بالسلطان بأن ارسل صادق أفندي وهو من كبار موظفي الدولة ليلبلغ داود باشا طلب السلطان باستقالته، ولكن داود قتل الرسول ورفض أمر السلطان وتحصن في بغداد مع من معه من القوات، في حين جهز السلطان محمود الثاني حملة كبيرة بقيادة علي رضا باشا الاز للتوجه والقضاء على حكم داود باشا. (٣١)

كان واجب الشيخ صفوك وشمس في الحملة التي ارسلها السلطان بقيادة الاز أن يقطع طرق المواصلات بين بغداد وباقي أجزاء العراق، فقامت شمس بهذه العملية ومع ذلك فلقد لاذت على الأرض كتلت تشير إلى أن جيش داود كان قادراً على الصمود أمام قوات السلطان ومن تحلف معها، إلا أن الأقدار شاءت غير ذلك، فقد قضى وباء الطاعون على معظم جيش داود وأصيب داود نفسه بهذا المرض، وفر الكثير من أعوانه من حوله إلا بعض الموظفين المخلصين له ومنهم يوسف أغا رئيس الحسابات، الذي حاول القيام ببعض العمليات العسكرية لكسر الحصار الذي فرضه الشيخ صفوك وقاسم العمري ومن معهما على بغداد.

حاول يوسف أغا العودة إلى بغداد على رأس قوة مسلحة ومعه أموال كثيرة كان قد جمعها من نواحي كركوك، فأسرع الشيخ صفوك مع خمس مئة من خيالة شمس و ثلاثين من مشاة عقيل أنباع سلمان بن غنام من حملة البنادق، ووضع خطة على أساس أن يكمن مشاة عقيل في أحد الوديان الجافة بينما يقوم خيالة شمس باستدراج قوات يوسف أغا إلى هذا الكمين، ونفذ

هذا الكمين بنجاح، وسقط عدد كبير من القتلى من أتباع يوسف أغا، حتى أن الأغا نفسه سقط أسيراً بيد الشيخ صفوك، وجاء هذا النصر بفضل شجاعة وخبرة الشيخ صفوك الحربية الفذة^(٤٠)، ثم خرجت قوة أخرى من بغداد بقيادة محمد المصرف أغا ومحمد باشا البابائي واتجهت على طريق مندلي خاتقين باتجاه شهرزور، وكان الشيخ صفوك قد أوعز إلى محمد البردي رئيس شمر طوكة أن لا يدع أحداً يخرج من بغداد، فتصدت شمر طوكة لهذه القوة واصطدمت بهم ولم تستطع هذه القوات التي أرسلها داود الصمود أمام شمر طوكة المتفوقة عليها، فهرب محمد باشا البابائي ونجا بنفسه وأسر محمد المصرف وأخذ ما كان معه من مؤن وأموال ثم أخفي سبيله^(٤١).

استمرت القوات الحكومية وفرسان شمر في محاصرة بغداد عام ١٨٣٠م، واحتلت شمر الجانب الغربي في حصارها، ثم دخلت بغداد في هذا العام واتخذ الشيخ صفوك داراً له في الجانب الشرقي من بغداد، ولكن القوات الموالية لداود تاروا في وجه قاسم العمري وهو والي عربي جلس على كرسي الولاية بمساعدة الشيخ صفوك ومن معهما، مما اضطر الشيخ صفوك بعد أن شدد على داره الحصار من قبل بقايا جند داود أن يعبر النهر سباحة إلى الجانب الثاني، ومن ثم سحب فرسان شمر إلى خارج المدينة، في حين قام أحمد باشا التفكجي يوم ١٣ حزيران من عام ١٨٣٠م بخلق قاسم العمري وإلقائه في البئر^(٤٢).

كان هذا الحدث قبل وصول القوات التي مع علي رضا الاز، ثم أتت قوات الاز وأعادت الحصار على بغداد من جديد، وفي شهر تشرين الثاني من العام نفسه أي ١٨٣٠م اشتد الطاعون في بغداد واستمر لعدة أشهر، ثم كان فيضان دجلة العارم في ٢٧ نيسان من عام ١٨٣١م الذي دمر البيوت، وأغرق الشوارع في بغداد. مما كان له مع الطاعون الأثر البالغ في ضعف

(٤٠). نول، آل محمد، ص ١٢٤،

Williamson, Op. cit, p33.

(٤١). نول، داود باشا، ص ٢٦٢ - ٢٦٣، نورس، مرجع سابق، ص ٢٥٩.

(٤٢). نول، داود باشا، ص ٢٥٩ - ٢٦١.

قوة داود باشا وجيشه، وتشتت أعوانه في الوقت الذي لا زالت القوات العثمانية ومن معها من قوات قبلية تحاصر بغداد^(٤٣)

دخلت القوات الشمرية والعثمانية بغداد في أيلول من عام ١٨٣١م للمرة الثانية عبر الباب الشرقي للمدينة^(٤٤)، ومن ثم انتشر الفرسان الذين مع المحزم في أرجائها، وأثناء دخول القوات الشمرية إلى بغداد للقبض على داود باشا، أتجه فرسان من شمر والحقل إلى السراي وقاموا بتخريبه، وأخذ الشمامسة ما تبقى من خزينة السراي، وقدموا الأموال إلى الشيخ صفوك الذي أعطى قسماً منها لشمر، وأعطى عبد الله الرشيد الذي كان عنده أموالاً وطلب منه أن يعود إلى نجد ويؤسس أمارته في حائل التي عرفت بلمارة آل رشيد فيما بعد^(٤٥).

دخل الشيخ صفوك وسليمان بن غنام بغداد بعد محاصرتهم لها مع علي رضا لعدة أشهر ومدافع الدولة العثمانية تقصف بغداد، وفي النهاية نفذ صبر الأهالي وبادر شخص من التجار اسمه الحاج خليل إلى الاتصال بقوات علي رضا وتم فتح أبواب بغداد لقوات الحملة، ودخلت بغداد وألقت القبض على داود وأعوانه، وأثناء دخول القوات العثمانية ومعها شمر بغداد قُتحت المسجون وهرب السجناء، وممن هرب من سجن داود حمود الثامر شيخ المنتفك الذي كان قد احتل في اغتيال الشيخ بنيه الجربا، ومن المقربين من داود باشا فيما مضى، ثم ساءت العلاقة بينه وبين داود فيما بعد فوضع في السجن، فهرب مع من هرب وهنا نراه يلتجئ إلى الشيخ صفوك ويستجير به خوفاً على حياته من فرسان شمر المطالبين بالثأر للشيخ بنية الجربا، فأجاره واحسن استقباله، وابقاه لديه فترة من الزمن^(٤٦)، وهذه هي أخلاق الجربا وحسن كرم ضيافتهم وعلو منزلة الدخيل لديهم.

(٤٣) . نفسه.

(٤٤) . جيمس ريموند وليستيد، رحلتي إلى بغداد في عهد لوالي داود باشا، ترجمة سليم طه التكريتي (بغداد: ١٩٨٤م) ص ١١٥.

(٤٥) . جبار يحيى عبيد، التاريخ السياسي لإمارة حائل، ١٨٣٥-١٩٢١، رسالة ماجستير غير مشورة (بغداد: ١٩٨٧م) ص ٢٥-٣٣.

(٤٦) . فريزر، مرجع سابق، ص ١٢٢، لسعدون، مرجع سابق، ص ١٧٩.

بعد أن نجح علي رضا والشيخ صفوك وسليمان بن غنام في القضاء على ملطمة داود باشا، حاول علي رضا أن يبعد القوات البدوية عن بغداد لما كانت تسببه من مضايقات لسكان المدينة، ولكي يكون في مأمن من خطر هذه القوات عليه وعلى جيشه، نظراً لما كان يتوقعه من الشيخ صفوك الذي كان ليس على وفاق تام مع العثمانيين، ولديه النية الوطنية للتخلص من السيطرة العثمانية، خاصة وأن الانتصارات المصرية في بلاد الشام كانت حافزاً قوياً له على تحقيق هذا الهدف^(٤٧).

وفي السنة ذاتها أي عام ١٨٣١م أعلن عجيل بن محمد المتاع السعدون مع المنتفك عصيانه على السلطة العثمانية في بغداد، وحاول أن يتعاون مع الأمير تركي بن عبد العزيز آل سعود، وينضم إلى الوهابيين، وكان عجيل السعدون قد ضبط المنتفك على عهد داود، فكان من معاونيه المقربين إذ عينه منذ العام ١٨٢٦م شيخاً على المنتفك، ومن ساندوا داود في تمرده على السلطات العثمانية، فكان من الطبيعي أن يعاقب من قبل العثمانيين^(٤٨)، فطلب علي رضا من الشيخ صفوك أن يتوجه نحو المنتفك ويقضي على هذا التمرد، وهنا نرى الشيخ يلبي هذا المطلب ربما ليتخلص من بغداد وما كانت تسببه المدينة لرجاله البدويين من مضايقات، وهم الذين لم يتعودوا على سكنى المدن أو القتال فيها من جانب، ومن جانب آخر كان الشيخ صفوك يحس بمرارة في صدره لقتل السعدون الشيخ بنه بن كرينيس، ولتوجه ضربة إلى الحركة الوهابية من خلال محاربة أحد أنصارها البارزين، فتوجه بقواته الشمرية نحو ديار المنتفك قرب سوق الشيوخ ومعه القوات العثمانية بقيادة بكراغا الجلوي الموصلية وسليمان غنام شيخ العقيل وقوات أخرى^(٤٩).

دارت معركة كبيرة بين الطرفين أحرز الشيخ صفوك ورجاله نصراً حاسماً على المنتفك، وقتل عجيل السعدون في المعركة بعد أن كبا عن فرسه

(٤٧) . نولر، مصر والعراق، ص ١٥٥-١٥٦.

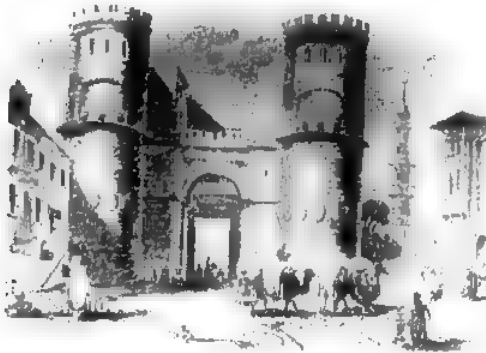
(٤٨) . نولر، دلاؤ باشا، ص ١١١-١١٢، السعدون، مرجع سابق، ص ١٦٨.

(٤٩) . يعقوب سركيس، مباحث عراقية (بغداد: ١٩٤٨م) ج ١، ص، ٤٠٣.

ومات مع سبعة من رجال السعدون^(٥٠)، ثم عاد الشيخ صفوك إلى شمال الوطن ليحقق طموحاته في التخلص من السيطرة العثمانية، ويحقق نواة الدولة العربية بالتعاون مع محمد علي باشا ولي مصر.

لقد أصبحت عشائر شمر من أكبر عشائر العراق فعلية وأكثرها قدرة على الحركة لتعدد وتنوع ميزات القتالية، وكثرة الازمات العسكرية التي دخلت فيها وخاضتها، وكلها أكسبت الشيخ صفوك خاصة وشمرة عامة خبرات عسكرية وسياسية لم تكن تتوفر لغيره في تلك الظروف لشيوخ العشائر الأخرى أو لعشائرهم، كان من نتائجها أن أطلق هذا الشيخ الشمرى السلطات العثمانية سنوات عدة بعد عام ١٨٣١م^(٥١).

وقد وصف لنا كاتب اميركي الشيخ صفوك الجربا خلال هذه الفترة من زعامته بقوله: "فارس عربي وجهه ينطق بالشهامة العربية، وقلبه ينبض دماً عربياً أصيلاً، ونفسه عالية تنبى الخضوع لحاكم غير عربي".^(٥٢)



أحد ابواب بغداد على عهد داود باشا

(٥٠). نفسه، ص ٢٨٤.

(٥١). د عبد العزيز سليمان نوار، بين العراق ومصر في القرن التاسع عشر، مجلة

لهلال القاهرة: ١٩٦٢م، عدد تموز، ص ٤٣.

(52). Williamson, Op. cit, p33 ٤٣.

(التوجه العربي) (الوحدوي) للشيوخ صفوك والحربا

بعد سقوط بغداد على يد علي رضا والشيخ صفوك وسليمان بن غنام في العام ١٨٣١م كانت السنوات الثلاث التالية بمثابة نقطة تحول كبيرة في تاريخ العراق والمشرق العربي في العصر الحديث، فخلالها ظهرت بوادر الشعور القومي العربي بضرورة التوحد والتخلص من السيطرة العثمانية، وكان محمد علي باشا والي مصر قد شغل العراق في ذهنه مكتبة كبيرة، وسعى لربطه مع الخليج العربي بمصر لتخليصه من الأطماع الإنكليزية التي كانت تحاك ضده، فضلاً عن السيطرة العثمانية، وقد عبر محمد علي عن ذلك عندما خاطب أحد المسؤولين الفرنسيين بقوله:

انني أستطيع أن أفتح عكا ودمشق وبغداد بكلمة واحدة مني، وأبني المنتصر إبراهيم باشا سيتوجه في أقل من عام ليحقق مقاصدي على ضفاف دجلة والفرات، لأنها حدود ثابتة للدولة التي أسعى إلى إنشائها. وقد أجاب إبراهيم باشا عندما سار بحملته نحو الشام عن سؤال: ما مدى خط مسير حملته قلائد: أنه سيسير قدماً إلى كل بقعة يتكلم أهلها اللغة العربية.^(٥٢)

لقد أكد إبراهيم باشا هذا الهدف في حملته على الشام، إذ أن القوات المصرية وبعد أن دخلت دمشق عام ١٨٣٢م انطلق صراع بين السلطان العثماني محمود الثاني ومحمد علي الذي كان والياً للسلطان على مصر، وبدأت الأخبار ترد عن وجود مشروعات يدرسها محمد علي لتأسيس دولة قوية موحدة تضم العراق والشام ومصر، والجزيرة والمغرب العربي، فضلاً عن السودان، وبالفعل وبعد أن سيطر إبراهيم باشا على بلاد الشام أرسل قواته فدخلت أورفه وكانت تابعة لبغداد كما أرسل برسالة إلى والي حلب

(٥٢). نولر، مصر والعراق، ص ١٦٦، د، إبراهيم خليل أحمد، موقع لعراق في محاولات محمد علي لتأسيس دولة عربية، بحث مقدم إلى جامعة أرقازنيق، ١٩٩٠م، ص ٧-٩.



محمد علي باشا والي مصر

محمد باشا جاء فيها: أنه يريد انتزاع بلاد العرب وما يجاورها وإنقاذ الأمة من المصائب التي ابتليت بها، وأكد عباراته هذه في رسالة أخرى وجهها إليه و نص فحواها: أن على المرء أن يضحى بحياته في سبيل قومه وعشيرته^(٥٤).



إبراهيم باشا بن محمد علي

(٥٤) . أحمد، موقع العراق، ص ١٠، نولر، مصر والعراق، ص ١٦٧، د عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني (الموصل: ١٩٧٥م) ص ١٩٤.

لم يكن الشيخ صفوك الجربا بعيداً عن هذه الأحداث، وهو الوطني الذي دافع عن تراب العراق ضد الغزو القاجاري وأسقط حكم المماليك الغريب عن هذا الوطن، فضلاً عن أنه كان على اتصال مع أهالي بغداد في ثورتهم ضد علي رضا باشا، بعدما قام المفتي عبد الغني الجميل بثورته في ٢٨ مايس من عام ١٨٣٢م ضد التسلط العثماني على بغداد، وتصرفات جند الباشا علي رضا القاسية مع أهاليها، إذ أندفع أهالي جاتبي الكرخ والرصافة مع الجميل في ثورته مما اضطر والي بغداد علي باشا إلى ضرب أزقة بغداد ومحلاتها بالمدافع، بعد أن قلت زمام الأمر من يده، مما اضطر المفتي عبد الغني الجميل أن يغادر بغداد ويتجه نحو دمشق ثم عاد إلى عاقه بعد ذلك بسنتين، في الوقت الذي كانت العلاقات بين الشيخ صفوك وعلي رضا قد ساءت بشكل كبير^(٥٥) بسبب طموحات الشيخ صفوك وتطلعاته الوطنية، ورغبته في إدارة بغداد^(٥٦) التي أقلقت علي رضا الاز، فأخذ يتصرف مع هذا الفارس الشمري باللامبالاة وعدم تقديم ما وعده به من امتيازات من السيطرة والحكم على أرض الجزيرة الفراتية، كي يقوم المحزم بواجبه الوطني في تكوين النواة التي بها سوف يستطيع فيما بعد تخليص أرض العراق من السيطرة العثمانية. عندما علم الشيخ صفوك بوجود المفتي عبد الغني الجميل في عاقه التي كانت لا تزال تحت إدارته منذ العام ١٨٢٢م، كتب إلى الجميل رسالة جاء فيها:

إلى متى هذا الجلاء والفراق عن وطنك واهلك. وأنا اليوم جار لك وبازل المال والرجال أمامك، إذا شئت تجمع الجموع ونسوق الجيوش معك لتحارب بها علي رضا باشا، واني جدير إذا اصطحبتك ولقت عنان جوادي إلى بغداد أن أسقطها وأجعلك واليا مكانه فيها أن أحببت ذلك.^(٥٧)

فرد عليه الجميل برسالة يشكره فيها على ما عرضه عليه الشيخ صفوك، وطلب منه فيها أن يصلح بينه وبين علي رضا، فكتب الشيخ صفوك

(٥٥) . محمود بن سلطان بك الشاوي، ذيل مطالع السعد، تحقيق عبد الجبار العمر، افاق

عربية (بغداد: ١٩٨١م) عدد ٦-٧، ص ٦٧-٦٨.

(٥٦) . العزوي، العراق بيت احتلالين، ج ٦، ص ٣١٧.

(٥٧) . نفسه، ص ٦٨.

إلى والي بغداد علي رضا يسترحم للمفتي الجميل، قتم الصلح بين الاثنين وهذأت الأحوال بينهما بفضل وساطة الشيخ صفوك. المهاب الجانب من قبل علي رضا باشا في ذلك الوقت. (٥٨)

لقد شعر علي رضا بنوايا الشيخ صفوك. لذلك حاول الباشا إقناع الشيخ الجليل بان يتوجه مع ثلاثين ألف مقاتل ممن كانوا تحت أمرته نحو الأناضول، ويقاقلوا الجيش المصري في أورفه، لكن الشيخ صفوك كان قد عقد الاتفاق مع محمد الجدعان أحد شيوخ العقيل، وسليمان خطاب من شيوخ الزبيد عام ١٨٣٢م وأرسلوا رسائل إلى إبراهيم باشا يطمونه فيها أنهم على استعداد تام لتخليص العراق من السيطرة العثمانية، وما على القوات المصرية إلا أن تبعت بقوة رمزية تقدر ثلاث مئة فارس فقط كما قام الشيخ صفوك الجربا وبدافع من الحس الوطني العربي بإرسال الرسائل إلى شيوخ العشائر العربية في العراق للثورة ضد السيطرة العثمانية، والانضمام إلى القوات المصرية المتواجدة في الشام. (٥٩)

قام الشيخ صفوك بالتحرك نحو الشمال باتجاه منجار، كي يجمع القوات اللازمة لإسقاط الحكم العثماني في بغداد، ولكي يكون على مقربة من القوات المصرية، ليحقق سرعة وصول وتلقي الرسائل من إبراهيم باشا، الذي أشارت بعض الوثائق انه قام بإرسال بعض المستشارين العسكريين إلى الشيخ صفوك كي يساعدوه في مقاومة القوات العثمانية، في الوقت الذي جاء فيه يحيى باشا الجليلي الذي كان والياً على الموصل وتم إخراجها منها من قبل أهالي المدينة عام ١٨٢٨م، بعدما عانت المدينة من قحط شديد بين عامي ١٨٢٤ و ١٨٢٨م ولم يتحمل أهل الموصل تصرفات يحيى باشا الجليلي، خاصة بعد الطاعون الذي حل فيها عام ١٨٢٨م وحصد حوالي ١٨ ألف نسمة، مما اضطر أهل الموصل بالثورة على الجليلي وإبعاده في هذا العام (٦٠)، فجاء قادماً من حلب قبيل دخول إبراهيم باشا إليها، التي سكنها بعد

(٥٨) زنفه، منهل علي الجميل، ثورة عام ١٨٣٢م في العراق، مجلة المورد (بغداد:

١٩٨١م) مجلد ٧، عدد ٢، ص ١٢٧.

(٥٩) . احمد، موقع العراق، ص ١١-١٢.

(٦٠) . رؤوف، الموصل، ص ١٨٣.

أن عزلته السلطات العثمانية عن ولاية ديار بكر التي ولي عليها بعد خروجه من الموصل، كما اشارت إلى ذلك الوثيقة المصرية المؤرخة في تشرين الأول من عام ١٨٣٢م وهذا نصها:

من ابراهيم باشا يكن إلى ابراهيم باشا بن محمد علي

في ١٦ أكتوبر ١٨٣٢م

الى دولة الباشا السرعسكر من ابراهيم باشا يكن:

يعرض انه وصل ساع قالما من مدينة الموصل فأخبر بان يحيى باشا الجليلي بعلمنا فر من حلب جمع نحو اربعة الاف شخص من العربان واستولى على الموصل بمساعدة الشيخ صفوق الجريا شيخ العشائر، ولم يبقى في يد المتسلم المنسوب من قبل علي باشا الاحي واحد فقط وهو قريب من السقوط، ولما احتج المتسلم المنسوب من قبل علي باشا على يحيى باشا أعلمه بأنه استولى على الموصل بلمر من دولة ابراهيم باشا، وانه سأل الساعي عن اثناء بغداد فأجاب انه لا يدري شيئا عنها. (٦١)

لقد التقى الجليلي بالشيخ صفوك في سنجار، وشارك مع قبائل شمر في حملتها ضد اليزيدية الذين أرادوا التحرش بالقوات الشمرية في شهر تموز من عام ١٨٣٢م (٦٢)، وأستطاع الشيخ صفوك مع شمر القضاء على هذه القوات، ونظير هذا التعاون تقدم الشيخ صفوك مع اربعة الاف فارس شمري ودخل المدينة ونصب يحيى باشا الجليلي على الموصل التي رحبت بالقدامين، لاسيما وان أهالي الموصل كانوا يعتبرون الشيخ صفوك أحد أبرز رجالهم الوطنيين.

(٦١) . نفسه، ص ٥٥.

(٦٢) . نفسه، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.



الموصل في بداية القرن العشرين

أعلن يحيى باشا بن نعمان الجليلي عندما دخل الموصل انه تولاهما من قبل إبراهيم باشا والقيادة المصرية في الشام، بالرغم من أن الجليلي لم يلتق بإبراهيم باشا، ولكن تعاونه مع الشيخ صفوك الذي كان قد وضع كل ثقله مع المصريين يؤيد ذلك ويبقي تحالفهما مستمرا لأجل تخليص العراق من السيطرة العثمانية، مما اضطر الباشا علي رضا والي بغداد أن يرسل إلى يحيى باشا بن نعمان الجليلي مرسوم الولاية، ويعترف به واليا على الموصل. ^(٦٣)

لقد قوى هذا التحالف الجبهة الشمالية ضد علي رضا والحكم العثماني لبغداد، ففي نهاية عام ١٨٣٢م وبداية عام ١٨٣٣م كانت القوات المصرية قد سيطرت على الطريق الإستراتيجي بين الموصل و حلب^(٦٤)، والتحالف القوي بين يحيى باشا الجليلي والشيخ صفوك على أحسن حال، فتوجه المحزم نحو بغداد لإسقاط الباشا بأمر من والي مصر محمد علي باشا كما يقول القنصل الإنكليزي في بغداد تايلر^(٦٥)، فبدأ الشيخ صفوك يقطع طرق المواصلات بين

(٦٣) . نفسه، ص ٢٠٣-٢٠٥.

(٦٤) . نفسه.

(٦٥) . نفسه، ص ٢٠٥.

بغداد واستبّول كما أشار إلى ذلك الرحالة الإنكليزي بروس (Pros)^(٦٦)، ثم قام الشيخ صفوك بحصاره لبغداد الذي استمر حوالي ثلاثة أشهر، في الوقت الذي بقيت الرسائل والاتصالات مستمرة بين الشيخ صفوك ويحيى باشا الجليلي وبعض الشخصيات ورؤساء العشائر العراقية الأخرى مع القيادة المصرية، من أجل تنسيق المواقف لإسقاط علي رضا والحكم العثماني في بغداد.^(٦٧)

وفي أثناء حصار الشيخ صفوك لطلي رضا في بغداد، خطى هو وشيوخ بعض العشائر خطوة سياسية هامة نحو التخلص من السيطرة العثمانية، عندما قدم الشيخ صفوك ومعه سليمان الخطاب عن الزبيد، وعبد العزيز حمود السعدون عن المنتفك، ومحمد المروح عن العزة، وذرب الشلال عن الخزاعل، طلباً إلى الباب العالي بوساطة يحيى باشا الجليلي والي الموصل يعرضون فيه مشاكل الإدارة العثمانية في ولايات العراق، وعدم استقرار البلاد لتجاهل الولاة العثمانيين لمشاعر أهله القومية، وقد دعوا في طلبهم إلى تعيين والٍ عربي يتفهم مشاعرهم ويتجاوب مع آمالهم وتطلعاتهم المشروعة.^(٦٨) كمنافرة سياسية من قبلهم لتغطية اتصالاتهم وتعاونهم مع الجهد المصري في بلاد الشام، لكن السلطات العثمانية تجاهلت هذا الأمر، وأوعزت إلى قواتها في سيواس وديار بكر وغيرها للتحرك نحو العراق لتفتيت القوة العربية الموحدة والقبض على زعيمها الشيخ صفوك الجري، خاصة وأن مطالبهم هذه تتنافى مع سياسة السلطان محمود الثاني في فرض الإصلاحات والمسلطة المركزية على أقاليم الدولة العثمانية.

لعب علي رضا الورقة التي كان العثمانيون يستخدمونها دائماً ضد العشائر، فبعد أن قضى على الثورة التي قامت في بغداد بضربه المدينة بالمدفعية في العام الذي سبق حصار صفوك الجري الثاني لها عام ١٨٣٣م،

(٦٦) د. جابر خليل، نكريت من خلال المصادر التاريخية، المؤرخ العربي (بغداد:

١٩٨٨م) جلد ٣، ص ٢٨٥.

(٦٧) د. عبد العزيز سليمان نوار، ثورة عام ١٨٣٢م في العراق، مجلة الهلال (لقاهرة:

١٩٦٥م) عدد شباط، ص ٢٥، فريز، مرجع سابق، ١٣٢.

(٦٨) د. أحمد، موقع العراق، ص ١١.

ولعلمه أن القوات البدوية لم تتعود على الحصار الطويل للمدن، وجه أنظاره نحو الجموع الغفيرة من عنزة التي كفت تطمع بمراعي شمر وحماها الخصبة، فوعد شيوخها إذا هم انتصروا على شمر الجربا أن تكون هذه المراعي والحمى لهم^(٦٩)، فجاءوا الشيخ صفوك وشمر من الخلف مما اضطر الشيخ المحزم أن يتخذ قرار حكيماً بعد أن ناقش هذا الوضع الجديد في مضيئه، وقرر أن تتجه زوبع مع رئيسها حمود الظاهر الحمام وتشاغل عنزة، في حين يحارب هو القوات الحكومية التي أرسلها علي رضا، وقد أشار الشاعر أبن روسان إلى ذلك بقوله:

الله من قلب به الغل ظنيسان من سلجن ببضامري بالسديرة
باصفوك كملن الهدايي والبدان تكشست ما غير زوبع ذخيرة
تكشست ما غير طلجين الأيمان ذخاير جندك يا أزيون المغيرة
غلبا تفاجي القوم بوجيه الاضعان بي راي معطي الشخص نيب المغيرة
حيد الطراد اليا غدا الهوش عجنان يومن قواد السبابا مريرة
أليا بعد تسعين شيوخ بحكران أشيوخ بشر فرخت بالجزيرة^(٧٠)

استطاع الشيخ صفوك أن يكسر القوات الحكومية وتحصل شمر على غنائم كبيرة منها، ثم تحرك المحزم لمساعدة حمود الظاهر وزوبع وتم كسر عنزة بعد معركة صعبة بين الطرفين ألت إلى غنائم كبيرة من الخيول العربية الأصيلة وأعداد كبيرة من الجمل غنمتها شمر من عنزة، ثم فك الشيخ صفوك الحصار عن بغداد وانسحب شمالاً بعد أن أصطدم بهذه القبائل الغازية، لأن رسالة وصلته من يحيى باشا الجليلي يطلب فيها مساعدة الشيخ صفوك لان أمر عزله عن الموصل كان قد صدر من الباب العالي، وقد وقعت هذه الرسالة في أيدي قوات علي رضا بعد أن كان الشيخ صفوك قد تركها على الأرض التي نصب عليها خيمته عند حصاره لبغداد:

(٦٩) . نوار، آل محمد، ص ١٢٦-١٢٧.

(٧٠) . من التراث الشعري الشمر.

أتجه الشيخ صفوك الجريا نحو الشمال ولم يكف الوالي علي رضا عن إحاكة الدسائس والمؤامرات ضد الشيخ الجريا وشمّر، فحاول أن يستخدم السياسة العثمانية التي نوهنا عنها وهي فرق تسد، فأعلن عن عزل الشيخ صفوك عن مشيخة شمّر، وأشعل النزاع القديم بين العمر والشيخ صفوك حول الزعامة على شمّر، فأسند المشيخة إلى الشيخ شلاش العمر (تل اللحم)^(٧١) ابن عم الشيخ صفوك، لتكون نتاجه لصالح السلطة العثمانية بتفكك هذا التجمع القبلي القوي، وربما يقتل الشيخ صفوك، ولكن كما يقول المثل المشهور تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، لأن شمّر لم تتخل عن شيخها وزعيمها صفوك، ولم يستطع الشيخ شلاش العمر إلا أن يجمع أفراداً قلائل من شمّر تحت أمرته، وبقي الشيخ صفوك الزعيم القبلي غير المنازع على مشيخة شمّر، في ذات الوقت الذي وقع فيه علي رضا باشا بالشرك الذي نصبه للشيخ صفوك^(٧٢)، وذلك عندما استقدم قبائل عنزة لفك الحصار عن بغداد، لأن الباشا عندما شعر بزوال الخطر عن بغداد أوعز إلى زعماء عنزة بأنه لم يعد بحاجة لخدماتهم، ولكن شيوخ عنزة رفضوا العودة مع قبائلهم إلى ديارهم على الجانب الغربي لنهر الفرات. وأوضحوا للباشا أنهم أنجزوا ما طلب منهم وعلى الباشا علي رضا أن يقدم لهم ما وعدهم به من امتيازات وأموال، ولأجل دعم مطلبهم هذا عسكرت عنزة قرب بغداد وأخذ أفرادها يقطعون الطرق ويغيرون على القرى المجاورة لمعسكرهم.^(٧٣)

كان علي رضا قد قام أثر تحرشات عنزة تلك، ولأجل تقوية مشيخة الشيخ شلاش العمر أمام الحكومة المركزية، فقد أمر الباشا الشيخ شلاش أن يقوم بمن معه من شمّر بحملة القوافل عبر الصحراء بدلاً عن قبيلة العقيل، لمنع القبائل الأخرى من مهاجمة هذه القوافل، لكن الشيخ شلاش وشمّر التي معه فشلوا في هذا الأمر، لأن أفراد قبائل عنزة المنتشرة حول بغداد وفي داخل الصحراء كانت تتعرض لهذه القوافل. مما اضطر الباشا إلى أن يعيد

(٧١) . شهرته لكرمه.

(٧٢) . نولر، آل محمد، ص ١٢٨.

(٧٣) . نفسه، ص ١٣٢-١٣٣.

هذه المهمة إلى قبيلة العقيل^(٧٤)، وقام الاز بتجهيز حملة عسكرية كان يضمها عدداً من المدافع لضرب عنزة، وأوعز إلى الشيخ شلاش أن يجهز من معه من فرسان ويلتحق بالحملة، لقد لبى الشيخ شلاش هذا الطلب على الفور، وفي هذه الأثناء كان الشيخ صفوك على إطلاع تام بما يجري حول بغداد، وهنا تبرز نخوة الشيخ العربي الأصيل وكرم أخلاقه. عندما لم يرض أن يخوض أبن عمه شلاش معركة غير متكافئة مع قبائل عنزة التي كان يزيد تعداد أفرادها عن ٣٥ ألف رجل^(٧٥)، فطلب منه في البداية الانسحاب والالتحاق به في الشمال، ولكن الشيخ شلاش العمر رفض ذلك وتصلب في مواقفه، فأرسل إليه الشيخ صفوك رسالة جاء فيها: "أنا وأنت عدوان متخاصمان ويمكننا أن نسوى النزاع بيننا في موسم مناسب، لكن شرف العشيرة في الوقت الحاضر قد تعرض للخطر ولا أستطيع السكوت على ذلك ما لم أقدم معونتي للمحافظة عليه".^(٧٦)

رفض الشيخ شلاش رسالة ابن عمه الشيخ صفوك، مما اضطر الفارس الشهم ذو النخوة العربية الأصيلة إلى إرسال ٢٠٠٠ فارس من فرسان شمر لمساعدة الشيخ شلاش العمر^(٧٧)، واعتبر أن هذا العدد كافياً لنصرة الشيخ شلاش ومن معه من شمر.

لم يكن إرسال هذا العدد من الفرسان نوعاً من الخذلان للشيخ شلاش أمام هذا العدد الضخم من عنزة، لكن الشيخ صفوك كان يثق بالقوات الحكومية التي مع علي رضا وبسلاحه الجيد، أمام هذه القبائل التي لم تمتلك سلاحاً جيداً، لكن واقع الحال سار على غير ما توقعه الشيخ صفوك، فقد انهزمت قوات الباشا في بداية المعركة التي حدثت في ٢٨ تشرين الأول من عام ١٨٣٤م. ووقع عدد من المدافع في يد قبائل عنزة، ودارت الدائرة على فرسان شمر الذين كانوا مع الشيخ شلاش العمر، فقتل عدد منهم وذهب ضحيتها الشيخ شلاش نفسه، إذ قتل وقطع جسده إربا بعد أن تركت عنزة

(٧٤) . نولر، تاريخ العراق الحديث، ص ٦٥.

(٧٥) . نولر، آل محمد، ص ١٣٠-١٣٢، فريزر، مرجع سابق، ص ١٣٣.

Williamson, Op. cit, p37.

(٧٦) . فريزر، مرجع سابق، ص ١٣٤، العزوي، عشائر العراق، ج ١، ص ١٤٣.

(٧٧) . فريزر، مرجع سابق، ص ١٣٤-١٣٥.

القوات الحكومية وهاجمت شمر التي مع الشيخ شلاش، وهي تهوس: (خلي النظام واقتل الجربا)^(٧٨)، وكان حدوث هذه المعركة في هور عقروق في الموقع المعروف (بأبي ثوب)^(٧٩)، فاعتبرت غزوة أن نصرها كان على شمر لا على باشا بغداد وقواته.

لقد تكلم الشيخ صفوك لما لحق شمر من ضحايا وخسائر وأخذ بإعادة تخيم قبيلته في المنطقة الغربية من سنجار، خاصة وأنه على أبواب مواجهة شاملة مع العثمانيين، بعد أن نحي يحيى باشا الجليلي عن الموصل وأرسل في منصب حكومي رفيع إلى اسطنبول، واستعاد علي رضا عاقبته السياسية بعد رحيل غزوة عن ضواحي بغداد، وتمكنه من إيقاع خسائر لا يستهان بها في شمر عدوته التي يحاول شيخها جاهداً القضاء على سلطته في بغداد، وسيطرة الدولة العثمانية على العراق.

كان لما أصاب شمر من هزيمة أمام غزوة عاملاً من العوامل التي مكنت القيادة العثمانية من توجيه ضربات قاصمة إلى الحليين الكبارين يحيى الجليلي والي الموصل الميل إلى المصريين، والشيخ صفوك المتعاون معهم، وكذلك القيام بتنمير القوى العراقية الميالة إليهم من أمثال أمير راوندوز محمد بك ميركور في شمال العراق. الذي كان قد كون تحالفاً قوياً مع الشيخ صفوك ضمن أواصر الأخوة العربية الكردية منذ بدء الاتصالات مع الجانب المصري لأجل تخليص العراق من السيطرة العثمانية.^(٨٠)

تطلب واقع الحال من العثمانيين التخلص من المحزم أولاً: خاصة وإن اتفاق يحيى باشا الجليلي مع الشيخ صفوك الجربا ضد السلطة العثمانية في العراق وبلاد الشام، أمل البقية الباقية من مماليك بغداد في استعادة شيء من النفوذ، وتحقيق بعض من طموحاتهم في مكاسب إدارية مرموقة، فانضموا إلى هذا التحالف تحت زعامة آخر قائد مملوكي هو عنيت أغا، فضلاً عن انضمام محمد بك ميركور أمير راوندوز إلى هذا التحالف مع بدر خان البوتاني، وتم الاتفاق على الزحف نحو بغداد وطرده علي رضا منها،

(٧٨). نفسه، ١٣٥.

(٧٩). نفسه، ص ١٣٤ - ١٣٥..

(٨٠). نولر، ثورة عام ١٨٣٢، ص ٢٥، لوريمر، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٩٤٦.

ومما يؤكد هذا التحالف أن جميع المتحالفين كانت تجمعهم رغبة واحدة وهي التخلص من السيطرة العثمانية:

كانت فكرة التخلص من هذه الزعامات تدرس بعناية وعلى أعلى المستويات. فقد كانت السلطات الإنكليزية الدبلوماسية وغير الدبلوماسية تبذل جهوداً واسعة لتقوية جانب الحكومة العثمانية في العراق، والقضاء على القوى المؤيدة للمصريين. ^(٨١)

وكان هناك أمل العثمانيين طريقتان للتخلص من الشيخ صفوك:

- ١- إرسال حملة كبيرة ضد قبائل شمر وإنزال ضربات المتتالية حتى ترغم على الخضوع للأوامر، وتضطر إلى تسليم الشيخ صفوك إلى والي بغداد تهيداً لإسناد المشيخة لزعيم متفاهم مع الحكومة.
- ٢- تدبير مؤامرة توقع بالشيخ صفوك في قبضة رجال الحكومة.

لقد كان الطريق الأول وعرأ وغير معروف النتائج، حيث أن الحكومة ومنذ زمن بعيد قد فشلت في السيطرة عسكرياً على أية قبيلة أو عشيرة بدوية، وكانت الحملات الحكومية ضد العشائر الكبرى لا تنتهي إلى انتصار حاسم، وغالباً ما كانت تنتهي بتفاهم بين الطرفين على أساس أن يتنازل كل طرف عن بعض ادعاءاته أو مطالبه، ولكن هذه الظروف الجديدة لم تكن تجدي معها الحلول الوسط حيث أن وجود المحزم على رأس قبائل شمر كان كفيلاً بأن يجعل حكومة بغداد في انزعاج دائم من التعاون بين الشيخ صفوك والقيادة المصرية في الشام. ^(٨٢)

كان علي رضا يدرك أنه من الضروري أن يتخلص من الشيخ صفوك بالذات. على اعتبار أن غيره من آل محمد (مشايخ شمر) ليس على كفايته أو قدرته في التفاهم مع القيادة المصرية في الشام، وحيث أن طريق القوة كان لا يحقق أهداف علي رضا فقد عمد إلى أسلوب الخديعة والتأمر، وهو أسلوب مهر فيه علي رضا إلى حد كبير، وأستطاع بوساطته أن يحقق

(٨١) . نولر، آل محمد، ص ١٢٧-١٢٨.

(٨٢) . نفسه، ص ١٢٧-١٣٩.

تنتج هامة ما كانت الدولة تستطيع أن تحققها إلا بنفقات مالية كبيرة، وبإسالة
دماء غزيرة.

كان القبض على كل من الشيخ صفوك وحليفه محمد بك والي
راوندوز صورتين من صور تلك المؤامرات الناجحة التي ابتدأت بمراسلات
ومفاوضات، وألوان من الخدع الدبلوماسية التي دبرها علي رضا ضد القوى
الوطنية، ومن خلال تعاونه الوثيق مع القائد العثماني رشيد باشا الذي تحرك
بقواته من ماردين إلى داخل أرض الجزيرة الفراتية، ومن ثم أعلن رشيد باشا
أنه سيخلع على الشيخ صفوك في حفل يقام خصيصاً لذلك، ضمن خديعة
مدبرة، وكان الشيخ صفوك في موقف لا يحسد عليه بعد مقتل ابن عمه الشيخ
شلاش ومن معه من رجال شمر، وتوطين من عاد منهم، فكان في أمس
الحاجة إلى هدنة وتعاون مع حكومة بغداد، بعد عزل يحيى باشا الجليلي،
وكما تم إلقاء القبض على محمد بك ميركور، ولأجل تضسيد جراح شمر
ويعيد اليها تماسكها خاصة أولئك الذين كانوا تحت إمرة الشيخ شلاش، بعد أن
كسروا أمام قبائل عنزة^(٨٣)، قبل الشيخ صفوك الدعوة، وما أن ذهب إلى
مقر الاحتفال مع نفر قليل من أتباعه حتى القي القبض عليه^(٨٤)، لقد كان
القبض على الشيخ صفوك حلقة من سلسلة من المؤامرات العديدة المتشابهة
التي أدت إلى القبض على محمد بك وعلى عدد من الزعماء الأكراد الوطنيين
في حينه.

أرسل هؤلاء جميعاً إلى خربوط تحت حراسة مشددة عام ١٨٣٥م،
وبعد وقت قصير نفذ حكم الإعدام في محمد بك، بينما نقل المحزم إلى
اسطنبول، وعاش فيها منفياً هو وابنه فرحان ٣ سنوات، وهنا يجدر بنا أن
نتساءل: هل كان للإنكليز دور في تلك المؤامرة التي أدت إلى القبض على
الشيخ صفوك.^(٨٥)

أن السبب الذي جعلنا نلقي بهذا التساؤل هو أنه كانت للدبلوماسية
الإنكليزية النشاط ريتشارد وود Rideshared Wood قنصل بريطانيا في

(٨٣) . نور، تاريخ العراق الحديث، ص ٨٤.

(٨٤) . نور، آل محمد، ص ١٣٧-١٣٩.

(٨٥) . نفسه، ص ١٤٠.

حلب^(٨٦) دور كبير في إقناع محمد بك بالاستسلام للعثمانيين، وبعدهم التمادي في الثورة ضد السلطان العثماني، وكان هدف الإنكليز من وراء ذلك هو تقوية قبضة الحكومة العثمانية على ما تحت يدها حتى تستطيع أن تركز جهودها بعد ذلك ضد الوجود المصري في الشام وشبه الجزيرة العربية، وليصبح ظهرها آمناً عندما يشتبك الجيش العثماني مع الجيش المصري في الشام في الجولة التالية المنتظرة.

لقد كانت لدى الإنكليز مصلحة كبرى في شد أزر الدولة العثمانية ضد الوجود المصري في الشام، أو في شبه الجزيرة العربية، ولهذا كانت السلطات البريطانية معنية كل العناية بأن يكون ظهر الجيش العثماني آمناً عندما يخوض المعركة المقبلة ضد المصريين في الشام، هذا فضلاً عن أن تقوية قبضة الحكومة على قبائل شمر بالذات يعين الإنكليز على تنفيذ مشروعاتهم الكبرى بشأن استخدام العراق كطريق قصير للمواصلات بين الشرق والغرب، بوساطة تشغيل خط بواخر بين الموانئ الإنكليزية والساحل السوري، وبين أعالي نهر الفرات والخليج العربي والهند.

الملاحظ أن الإنكليز ركزوا في ذلك الوقت عنايتهم بشدة على طريق العراق للربط بين الشرق والغرب، واتجهت الحكومة البريطانية إلى إدخال مشروعاتها إلى حيز التنفيذ في أعقاب التوسع المصري في الشام، حيث أن هذا التوسع قد أدى إلى أن صار هذا الإقليم طريقاً للمواصلات بين الشرق والغرب عبر كل من الشام ومصر تحت سيطرة حكومة القاهرة، ومن ناحية أخرى كان المشروع الإنكليزي لربط الشرق بالغرب بوساطة خط بواخر يعمل في نهر الفرات لا يخدم هذه الأهداف فقط بل كذلك كان يمكن الإنكليز من التصدي لأية قوة مصرية تحاول عبور نهر الفرات إلى العراق، حيث أن البواخر التي كانت معدة للعمل في نهر الفرات كانت بواخر مسلحة.

كان تنفيذ كل تلك المشروعات والأهداف الإنكليزية يتطلب الوصول إلى تفاهم مع العشائر الكبرى المسيطرة على الطريق بين الساحل السوري ونهر الفرات، حيث وضعت الخطة على أساس إرسال بواخر مفككة من

(٨٦) . نول، تاريخ العراق الحديث، ص ١٠٥.

إنكثرا إلى الساحل السوري، ومنه إلى نهر الفرات، وهذه العملية لا يمكن لها أن تتم بنجاح إلا بعد الوصول إلى تقاهم مع قبائل شمر، وكذلك مع عنزة، ولهذا عندما أقرب موعد إرسال الباخرتين المعدتين للعمل في نهر الفرات إلى العراق، أرسلت السلطات الإنكليزية إلى العراق اثنين من رجالها المعارفين بطبائع العشائر، وهما كريستيان رسام C. Rassam، والمستراليوت Eliot. الذي قل عن الأول قائد البعثة المكلفة باستخدام الباخرتين في نهر الفرات جسني: أنه ينحدر من سلالة عربية، إذ أنه ينتمي إلى عائلة نصرانية من مدينة الموصل، في حين أشار لايارد إلى انه من اصل ارمني، وقد عمل مترجماً لدى جسني، وكانت له علاقات طيبة مع الجربا شيوخ شمر. (١٧)

كل هذه الاستعدادات تؤكد لنا أن الإنكليز كانوا يفضلون وجود شيخ غير الشيخ صفوك على مشيخة شمر، ومن ثم كان القبض على المحزم في هوى الإنكليز، لأنه يزيح عن طريقهم زعيماً صعب المراس، قادراً على تهديد مشروعاتهم بخطورة.

كان الإنكليز في حاجة إلى تقاهم أكيد أيضاً مع عشائر عنزة، حيث أن إنهاء العداء بين هذه العشائر من جهة وقبائل شمر من جهة أخرى كان أمراً ضرورياً لنجاح المشروعات الملاحية الإنكليزية في الفرات، فهل كان من الممكن للإنكليز أن يتوصلوا إلى اتفاق يرضى عنه هذان الخصمان المتعاديان.

لقد كان ذلك عسيراً، ووجود الشيخ صفوك في المشيخة يجعل هذا الأمر أكثر تعقيداً وصعوبة، أما وجود شيخ آخر مكانه، يكون أقل حزمًا منه وأكثر ليونة، فله يمهّد الطريق بسهولة أمام الإنكليز.

وكان المرشح الجديد لمشيخة شمر بعد إلقاء القبض على المحزم اخاه الشيخ محمد بن فارس الجربا على هذه الصفات التي تمنّاها الإنكليز أن يكون عليها، ولعل هذا الحال يفسر لنا جلياً نجاح المفاوضات التي دارت بين المسؤولين الإنكليز وشيخ شمر الجديد بشأن عقد صلح دائم بين شمر وعنزة،

(٨٧) . نوري كوبي، الطريق إلى نينوى (بغداد: ١٩٩٨م) ص ٩٦-٩٧.

فتحدثنا الوثائق الإنكليزية عن أن الإنكليز توصلوا إلى اتفاق يكفل لهم التنقل بين الساحل السوري ونهر الفرات دون أن يتعرضوا لأية هجمات من جانب العشائر، واستطاع جسني Chesney في رحلته على الباخرة الفرات^(١١) في منتصف عام ١٨٣٦م داخل الأراضي العراقية، بعد غرق باخرته الأولى دجلة على بعد عدة أميال من دير الزور، أثر عاصفة هوجاء، كنتيجة حتمية للتفاهم الذي استطاع أن يحققه جسني مع قبائل شمر وعزة بعدم التعرض لبواخره، خاصة وأن بريطانيا كانت قد حصلت من السلطان العثماني محمود الثاني على فرمان منذ كانون الأول من العام ١٨٣٤م يسمح لها باستخدام نهر الفرات لأغراضها التجارية، فحقق جسني ما كانت تصبو إليه بريطانيا من مشاريع استثمارية في نهر الفرات.



الشيوخ صفوك ونشأة إمارة آل رشيد الشمرية في حائل

لقد مر بنا أن الشيخ مطلق الجربا الذي كان قد سادت مشيخته على شمر الجبل كلها قد غادر ارض الجبل عام ١٧٩١م، اثر معركة العدو التي قتل فيها الشيخ مسلط الجربا، ثم الصراع المرير الذي خاضه مع آل سعود وأتباعهم الوهابيين الذين اجتاحت ارض نجد، لقد بقيت قسم من قبائل شمر وأهل حائل في منطقة الجبل ولم يغادروا مع الشيخ مطلق، بل انضوا تحت راية الأمير سعود بن عبد العزيز الذي عين محمد بن عبد المحسن بن محمد بن عيسى بن علي الملقب بالسمن الرعابي من آل جعفر من عبدة أميراً على حائل ومنطقة الجبل، وبقي حاكماً عليها إلى أن دخلت القوات المصرية ارض نجد وأسقطت الدرعية وحكم آل سعود عام ١٨١٧م، ثم اغتيل محمد بن عبد المحسن من قبل احد رجال إبراهيم باشا^(٨٩)، لأنه كان يشك في ولائه للمصريين، على الرغم من أن حائل ومنطقة الجبل لم يعاملها المصريون بقسوة مثلما فعلوا مع الدرعية وبعض مناطق تجد الأخرى، لان أهل الجبل وقفوا على الحياد ثم مالوا إلى المصريين.

صار صالح بن عبد المحسن بن علي حاكماً على حائل بمباركة المصريين، وفي هذه الفترة ظهر عبد الله وعبيد الرشيد من الخليل من آل علي على مسرح الأحداث في حائل، وتزوج عبد الله الرشيد من سلمى بنت محمد بن عبد المحسن، وأصبح عبد الله مسؤولاً عن الحجيج الذي يمر في ارض حائل وجبل شمر، ثم حدثت المعارك بين شمر والعواجية من ولد سليمان من عنزة التي انتهت بمعركة ظفرة، التي انتصرت فيها شمر على العواجية، وشارك فيها عبد الله الرشيد وأخيه عبيد دون موافقة حاكم حائل صالح بن عبد المحسن، مما اضطر عبد الله وعبيد الرشيد أن يخرجوا من حائل مع أختهم نورا بعد أن اشتد الخلاف مع حاكم حائل، الذي خاف على مركزه من هذه القوة الشابة المتمثلة بعبد الله وعبيد الرشيد، والتجأ الأخوان

(٨٩) . العريفي، مرجع سابق، ص ٧١.

في البداية إلى منطقة جبة عند آل رخيص من شمر، الذي أكرم وفانتهم ثم اتجهوا بعد ذلك إلى العراق بعد أن سهل لهم ابن رخيص أمور سفرهم^(٩٠) وأرسل معهم الرسائل إلى الجربا شيوخ شمر.

وعند وصولهم إلى هيت على الفرات نزلوا ضيوفاً عند الشيخ سميطة الفهد الجربا، لأن الشيخ فهد الجربا والد الشيخ سميطة كان قد قاد معركة ظفرة ضد عنزة في نجد، وعبد الله وعبيد من المشاركين فيها، فثمة معرفة قوية كانت تجمع بينهم، فضلاً عن كون الجربا بيت المشيخة على عموم شمر، فمكثا عنده فترة من الزمن، وتزوج الشيخ سميطة من نورة أخت عبد الله وعبيد الرشيد^(٩١)، ثم عاد بعدهما عبيد الرشيد إلى جبل شمر في حين اتجه عبد الله إلى الشيخ صفوك الجربا، ومكث عنده فترة من الزمن، وشارك مع شمر في دخولها إلى بغداد، وعندما استحوذت شمر على خزانة السراي التابعة لداود باشا قام الشيخ صفوك بإعطاء عبد الله الرشيد كمية كبيرة من الأموال. وأمره أن يتوجه إلى حائل ويحاول أن يكون له سلطة فيها، في الوقت الذي قام فيه الشيخ صفوك بإعلام المصريين عن عبد الله وما ينوي القيام به، لأن أرض نجد لازالت في هذا الوقت تحت السيادة المصرية.

عاد عبد الله الرشيد إلى أرض الجبل والتقى بأخيه عبيد ربما في جبه أيضاً عند ابن رخيص، فأعلمه أن حائل أصبحت تحت أمرة عيسى بن عبد الله بن علي، وهو تابع للمصريين، وعلم أيضاً أن الأمير تركي بن عبد الله بن سعود الذي كان على الرياض، وهو مطلوب للسلطات المصرية قد قتل من قبل ابن عمه مشاري بن سعود وذلك سنة ١٨٣٣م^(٩٢)، فاتفق عبد الله وعبيد أن يتعاونوا مع الأمير فيصل بن تركي ضد ابن عمه مشاري، فأتجه عبد الله إلى الأمير فيصل وكان في أطراف القطيف، وأهداه قسماً من الأموال التي كان قد جاء بها من العراق، ثم سارا معاً نحو الرياض وحاصراها، ثم استطاع عبد الله الرشيد أن يدخل قصر مشاري ويقتله بيده، ومن ثم فتح

(٩٠) . العريفي، مرجع سابق، ص ٧٨، الرشيد، مرجع سابق، ص ٨٨.

(٩١) . الظاهري، مرجع سابق، ص ١٤٦، الرشيد، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٩٢) . أحمد عبد الغفور عطار، سفر الجزيرة (مكة: ١٩٤٤م) ص ٨٧.

أبواب القصر ودخل الأمير فيصل بن تركي الرياض يوم ١٨/٦/١٨٣٤م^(٩٦)، بعد أن كان الأمير عبد الله قد حصل من الأمير فيصل بن تركي على كتاب خطي فيه تولية عبد الله الرشيد على حائل إذا ما استطاع أن يدخل قصر مشاري ويقتله، فتوجه عبد الله إلى حائل مع قوة من الجيش أرسلها معه الأمير فيصل بن تركي، بعد أن أجلسه عبد الله في قصر الرياض مكان أبيه.

وصل عبد الله إلى أطراف حائل فطم به عيسى بن عبد الله وهدد باستخدام الحامية المصرية الموجودة في حائل، فخاف عبد الله على أهل حائل ودخل المدينة خفية واستطاع أن يأخذ معه زوجه سلمى بنت محمد بن عبد المحسن الطلي، وخرج بها مع خادمه حسين الذي أمره عبد الله أن يحصل زوجه بنت العز والدلال على ظهره، لأنها لا تقوى على المسير، وقال عبد الله الرشيد لحسين هذه الأبيات:

أرم النعول لمغزل العين يا حسين واشكك لها من ردن ثوبك لياته
يا حسين والله ما لها سبت رجلين يا حسين شيب بالضمير هكعانة
جنب حثك الكاع واضرب لها اللين وأقصر خطا رجائك ومشي مشيئة
وان شلتها يا حسين ترى ما بها شين حيث الخوي يا حسين مثل الأمانة^(٩٧)

اتجه الأمير عبد الله إلى جبة عند آل رخيص ثمانية الذين عرف آل رشيد فضلهم عليهم فيما بعد، وذلك بأن ابن رخيص كان لا يدفع الزكاة لأمر حائل من آل رشيد إلى أن انتهت أمارتهم، وهم معززون مكرمون إذا ما جاءوا إلى ديوان ابن رشيد.^(٩٨)

جمع عبد الله وأخيه عبيد قوة كبيرة من شمر ودخلوا حائل عام ١٨٣٥م وهرب حاكمها عيسى بن عبد الله متجهاً إلى المصريين في

(٩٣) . نفسه، الرشيد، مرجع سابق، ص ٦٣، ٨٨، بربين، مرجع سابق، ص ٢٧٣، أمين الريحاني، نجد وملحقاته (بيروت: ١٩٨١م) ص ٩٣، الخضيري، مرجع سابق، ص ٢١٣-٢١٤.

(٩٤) . الخضيري، مرجع سابق، ص ٧٥-٧٦.

(٩٥) . نفسه، العريفي، مرجع سابق، ص ٧٨.

المدينة المنورة، ليأتي بالقوات ضد عبد الله الرشيد وأخيه عبيد الذي كان له بالمرصاد، إذ لحق به وقتله في أطراف حائل.

استقر الأمير عبد الله على إمارة حائل. واخذ بمسيرة القوة المصرية الموجودة على أرض شبه الجزيرة العربية، وتبادل الرسائل مع خورشيد باشا وقدم للمصريين عام ١٨٣٧م أعدادا كبيرة من الجمال لنقل أحمال الجيش المصري^(٩٦)، مما جعل خورشيد باشا الذي وثق بالأمير عبد الله عندما أكد له الأخير أنه تحت الراية المصرية، ثم مجي الشيخ صفوك الجريا إلى خورشيد باشا عام ١٨٣٩م ووثق العلاقة بشكل أكبر بين آل رشيد والمصريين، فوضع خورشيد باشا للأمير عبد الله قوة من الجيش المصري مكونة من مئتي فرد كحامية مصرية في حائل، تعمل تحت إمرة الأمير عبد الله الرشيد، وقد بقيت هذه القوة عند ابن رشيد حتى بعد انسحاب القوات المصرية من نجد.^(٩٧)

أخذ الأمير عبد الله من حائل يمد سلطانه على كل الأقاليم النجدية التي حوله، في حين أن الأمير فيصل بن تركي كان قد القي القبض عليه من قبل المصريين، وأرسلوه إلى مصر في السنة ذاتها التي أجلسه الأمير عبد الله في قصر الرياض، أي عام ١٨٣٤م، وبقي في مصر إلى العام ١٨٤١م عندما أفرج عنه المصريون، فتوجه إلى الأمير عبد الله في حائل، فسار معه الأمير عبد الله تحت رماح شمر وسيوفها ودخلا الرياض وأجلسه ثقية في قصر الإمارة لآل سعود^(٩٨)، فكان للأمير عبد الله الرشيد وشمر الدور الأساس في إعادة الإمارة إلى آل سعود.

(٩٦) . لعرفي، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٩٧) . عبد الرحيم، وثائق شبه الجزيرة العربية، ص ٥٨١، ٦٣٩، بيرين، مرجع سابق، ص ٢٨٦.

(٩٨) . حلال، مرجع سابق، ص ٣٤١-٣٥٥، بيرين، مرجع سابق، ص ٢٧٢، الخضيري، مرجع سابق، ص ٢٣١.

نفي الشيخ صفوك إلى إسطنبول

تم نفي الشيخ صفوك مع ابنه فرحان إلى الأستانة، وأصبح هذا الشيخ الشمري بعيداً عن مضارب شمر، وتحت نظر السلطان العثماني محمود الثاني، ووصف الشيخ صفوك الذي خاض المعارك والصراعات على أرض الجزيرة منذ عام ١٨١٨ م إلى عام ١٨٣٥ م وليمنس الكتب الأمريكي بقوله: "خلال فترة سبعة عشر عاماً ارتفع الشيخ صفوك بن فارس من زعيم قليل الشأن في عام ١٨١٨م، إلى أن أصبح أقوى شيخ في الجزيرة عام ١٨٣٥م، وقد حكم الشيخ صفوك أجزاء من العراق وسوريا وتركيا الحالية، وكان يشار إليه بسلطان البر، وملك الصحراء، واسمه محل هبة، وأي أمر له كان ينفذ، وكلمته كانت قانوناً".

لقد كان حامياً للعديد من القبائل العربية الصغيرة، وحليفاً قوياً لوالي الموصل، وجابى للضرائب في عدد لا يمكن حصره من القرى، والمسيطر على طرق القوافل، ومحارباً مشهوراً، لقد وصل الشيخ صفوك إلى عنفوان قوته بمساندة قبيلة متحدة تعتبره قائداً وشخصية مهيبة".^(٩٩)

لقد كان العثمانيون بأمر الحاجة إلى قبائل شمر في صراعهم مع القيادة المصرية، فكان عليهم كسبها إلى جانبهم، ولو حدث أنهم أعدموا شيخها صفوك، فإن ذلك سيؤدي إلى عدااء مستحكم يمنع من أي تعاون قوي بعد ذلك مع السلطة العثمانية، أما الإبقاء على حياته وإعادته إلى منصبه، فالآمال في تعاونه مع السلطان تصبح محتملة التحقيق.^(١٠٠)

وترجع أهمية شمر إلى أن اتصالاتها بالقيادة المصرية في الشام كانت مباشرة، حيث أن أرض الجزيرة العراقية تربط بين العراق والشام، ومن ثم كان على العثمانيين ألا يثيروا حفيظة هذه العشائر في هذه الظروف، حتى لا تنضم قبائل شمر بأسرها إلى المصريين، إذ أنه كان من المتعذر على

(99) . Williamson, Op. cit, p39-40.

(100) . Ibid, p40-41.

الحكومة العثمانية أن توجه ضربة حاسمة إلى شمر، على شاكلة تلك الضربة التي وجهتها إلى محمد بك ميركور، و إعدام المحزم سيعود بالمشكلات المعقدة، وبالتالي يكون تجنب إعدامه خير للحكومة العثمانية.

ومن ناحية أخرى كان الشيخ صفوك أكثر إدراكاً لمشكلات المنطقة عن غيره من شيوخ العشائر، ومن ثم كان كسبه لجانب السلطان يعطي الحكومة العثمانية إمكانات كبيرة سواءً من حيث الدفاع عن العراق أو الهجوم على الشلم.

وإذا ما نجح العثمانيون في كسبه إلى جانبهم، وخاض المعركة المقبلة في صف الجيش العثماني، فإن النفقات التي ستنتفحها عليه الحكومة ستكون قليلة، حيث أن العشائر تتكفل بنفقات تحركاتها، خاصة وإن ميدان المعركة المتوقعة ليس يبعد جداً عن الجزيرة ومضارب شمر. (١٠١)

كان المسئولون العثمانيون يعتقدون أن إقامة المحزم صفوك فترة مناسبة في العاصمة العثمانية، ومشاهدته ورائعها، وزيارته السراي السلطاني الفخم سيغير من نظراته نحو الأتراك العثمانيين، ولهذا كان من الأمور التي عني بها المسئولون الأتراك أن يرى الشيخ صفوك الجربا ما يجعله يحترم الدولة العثمانية، ويشعره بعظمتها، وأتساع ثرواتها، وقدراتها، وأن يلتوا في قلبه الخضوع والطاعة للسلطان العثماني. فكان من بين الأماكن التي قام المحزم بزيارتها السراي السلطاني نفسه.

عندما ذهب الشيخ صفوك إلى هناك أبهرته الرياض ومظاهر العظمة والملك، وكان يتلفت يمينا ويساراً على عادة البدوي عندما يؤخذ بمثل هذه المظاهر (١٠٢)، فصار ذلك من دواعي دهشة أكابر رجال السراي، ولكنهم أخفوا مشاعرهم تلك لأنهم كانوا يسعون إلى كسب ثقة هذا الفارس العربي، ويبدو أن مناقشات عديدة دارت بين الشيخ صفوك الجربا والمسؤولين العثمانيين بشأن موقفه في المستقبل من الصراع العثماني المصري. (١٠٣)

(١٠١). نول، آل محمد، ص ١٤٣-١٤٤.

(١٠٢). العزوي، عشائر العراق، ج ١، ص ١٥٥.

(١٠٣). الظاهري، مرجع سابق، ص ٢٣٤-٢٣٥.

كان الشريف عبد المطلب بن عون شريف مكة قد اتجه منذ العام ١٨٣٠م نحو العراق وتجول في منحه ومنها بغداد، ثم سافر إلى الشام ومنها إلى اسطنبول^(١٠٤)، فكان له الدور الهام في إدخال الشيخ صفوك على السلطان محمود الثاني، وتوسط في إصلاح ذات البين وتقريب وجهات النظر بين الطرفين، والشيخ صفوك الذي كان في أمس الحاجة إلى هذا الصلح ليعود إلى

شمر ومشيجته عليها، وحسب اعتقادنا أن هذه العلاقة المتينة التي تكونت بين الشيخ صفوك والشريف عبد المطلب، تكونت عندما جاء الشريف عبد المطلب إلى العراق وتجول فيه، فربما زار الشيخ صفوك في مضاربه وأعيد الماضي القريب من العلاقة الحسنة بين أولاد العمومة شرفاء مكة وال محمد الجريا.

كانت الفترة التي قضى فيها الشيخ صفوك إقامته في الأستانة ما بين ١٨٣٥ إلى ١٨٣٨م عصيبة على شمر، تركت أثرها في حياتهم على أرض الجزيرة، وكانت فرصة ساحة لطفي رضا الازكي يكون مسيطراً سيطرة تامة على شمر، فقام الباشا بتعيين أحد أفراد آل محمد شيخاً على قبائل شمر خلفاً لصفوك الجريا وهو الشيخ محمد الفارس أخو الشيخ صفوك، ولكن الشيخ محمد لم يكن ذا شخصية تماثل شخصية سلطان البر، لذلك لم يستطع أن يسيطر على قبائل شمر، وحدثت بعض الغزوات التي قامت بها بعض القبائل المجاورة ضد شمر، لكنها فشلت في كسر شوكة شمر وقوتها.



السلطان
محمود الثاني

(١٠٤) . بحاثن، مرجع سابق، ص ٣٤٨، لظاهري، مرجع سابق، ص ٢٣٤-٢٣٥.

حاول الشيخ محمد الفارس أن يعمل على التماسك الداخلي لشمّر
لحين عودة الشيخ صفوك وابنه فرحان من منفاهما في اسطنبول، واستطاع
إلى حد كبير أن يحقق ذلك على الرغم من صغر سنه، وعدم تمكنه من جعل
كل القبائل الشمرية تنضوي تحت رايته، وكانت كل من عبده وأسلم والطيان
وزوبع تحت قيادة الشيخ محمد الفارس، وتحت لوائه حوالي اثني عشر ألف
فارس^(١٠٥)، في حين انضوت باقي قبائل شمّر تحت راية الشيخ نجرس
الزيدان

خلال هذه الفترة من حياة شمّر على أرض الجزيرة حدثت غزوة
هايس القعيط (أخو سعدة) من الخرصة، على العواجية من عنزة في قلب نجد
من أرض الجزيرة العربية، وتعد هذه الغزوة من مآثر النخوة العربية
والفروسية الخالدة في ذلك الوقت، إذ أن سعدون العواجي وولديه عقاب
وحجاب كانا من فرسان عنزة المشهود لهم في نجد، وصادف أن وقع أحد
الشمامرة أسيراً لديهم هو هزلول الشويهري، فأخذ هذا الأسير ينتحي بالجربا
شيوخ شمّر وفرساتهم، ووصل الخبر إلى هايس القعيط وهو في شمل غرب
الجزيرة الفراتية عند منطقة بحرة الهول قرب سنجار، فتجهز هو وابن أخيه
كتعان مع ثلاثة من فرسان الخرصة، وجهاز معه الجمال الخاصة لحمل الماء
والمحتاج (الزماميل)، ويعدون فوق الخمسين واتجه بهم نحو نجد، وهو شيخ
كبير، وعند وصوله إلى منازل العواجية من عنزة، وقع في أيدي هايس
وفرساته أحد الشامرة الذي كان قد التجأ إلى العواجية، فأطلق سراحه بعد أن
أخذ عليه العهد أن لا يبلغ العواجية بقدم شمّر، ولكن هذا الشمري أفهم
العواجية بقدم شمّر من خلال هذين البيتين عندما أنشدها في مجلس سعدون
العواجي:

يا عقاب بدل ديرتك له بيرة إرحل وخلي الجف ما به مصاريف
ياتيك طيـرن من طيور الجزيرة قبلك اليا داجن على الشيخ ما شيف^(١٠٦)

(105) . Williamson, Op. cit, p40-41.

(١٠٦) . من التراث الشعري لشمري.

علمت العواجية من عنزة أن شمر قد جاءتهم غازية، فتجهز عقاب وحجاب مع جمعهم من ولد سليمان ولحقوا بفرسان شمر، وعندما تقابل الفريقان علم هابس القبيط أن الفرسان الذين معه لا قبل لهم بمن مع العواجية من عنزة، فترك جمال المتاع (الزماميل) وابتعد مع فرسانه، فقامت عنزة بأخذ المتاع وقتل الرجل الذين كانوا مع الجمال، ثم لحق عقاب وحجاب مع فرسانهم بهابس وفرسانه من شمر، فحدثت معركة ضارية استمرت لبضعة أيام في طراد بينهم كان النصر في نهايتها لشمر مع هابس، بعد أن قتل عقاب وحجاب وهما من خيرة فرسان عنزة، وأخذ هابس بثأر الشمري الأسير هذلول الشويهري الذي قتله العواجية، وعاد إلى أرض الجزيرة الفراتية منتصراً، وأصبحت هذه المعركة مضرب المثل عند أهل البادية في النخوة والفروسية. وأرخها التبييني من قواصيد البدو بهذه الأبيات:

عودن عدا بس بالزماميل والخيل	يدور مقتا قص بغرات الأجانب
بأول زمانه عنب الكنس الحيل	وخبط بيمناه البحر عقب ما شاب
راح النذير وفزع النزل بالليل	والخيل ركبت ما جلا بيهما الأداب
وتوافقوا بالطعن بحد الغرمليل	متكافئين مثل لبا زيد وذباب
غربي زبارا وريج مثل الهماليل	وانشبت احراب القوم بكطي الأصحاب
وتعاودوا للهوش ربعن متاجريل	حمالة الساقة عريبين الأنساب
وردو صنادق فارس يرعب الخيل	يوي صيده يوم جانبته الأسباب
جان نوت تزعج الصوت بالحيل	لعيون هيفا نردع الشيوخ بحجاب
حريمهم تصرخ صريخ المحلحيل	جاهن عليمن بأول الخيل ما طاب
وحريمنا لجن بزوين الهلاهيل	متوكدات من شلعة الحر لعقاب
يا ضبيب لو ذبحت كل الزماميل	ذبحت دخيل البيت ما تفتح الباب
اربع ليالي ما لقوه المراسيل	علبت خذ كوح المصير بثراب
ذنيك هذه بالعواجي غراييل	من شق جيب للناس شقوقه اجياب ^(١٠٠)

الصلح العثماني المصري وحملة الشيخ صفوك

أفرج العثمانيون عن الشيخ صفوك قبيل وقوع معركة نزيب عام ١٨٣٨م وعاد إلى مشيخته. بعد أن وافق عن مضض على الدخول في المعركة إلى جانب العثمانيين، فقام بإعداد رجاله للمشاركة في المعركة المقبلة. والمعروف أنه في أوائل ١٨٣٩م كان الجيش العثماني قد أخذ يستقز القوات المصرية في شمال الشام، ثم عبرت القوات العثمانية نهر الفرات، وأصبح من الضروري خوض معركة حاسمة بين الطرفين، وأضحى الشيخ صفوك من اكبر زعماء القبائل الذين يستندون العثمانيين في معركتهم ضد الجيش المصري.

كان من الطبيعي أن تراقب القيادة المصرية كل تلك التحركات. وغيرها من التحركات التي تهدد الجيش المصري في الشام، وكانت التهديدات الموجهة إلى المصريين قوية من جانب العراق، فقد كان والي الموصل العثماني (محمد أنجه بيرقدار) على رأس بعض الكتائب التي عبرت نهر الفرات إلى ضفته الغربية، كما كانت هناك الشائعات القوية التي تردد أن علي رضا باشا سيقود قوة كبيرة ينضم بها مع الجيش العثماني الذي كان بقيادة حافظ باشا.

جاءت الأنباء إلى القيادة المصرية أن قبائل شمر بقيادة الشيخ صفوك ستنتشر على طول المنطقة الممتدة بين حاة ودير الزور، ولو القينا نظرة سريعة على هذه المنطقة التي قيل أن الشيخ صفوك سيتولى أمرها، لوجدناها تلام حرب الصحراء التي كانت تنتقها قبائل شمر، وأغلب الظن أن الخطة العثمانية وضعت على أساس أن تعمل العشائر العربية وراء خطوط مواصلات الجيش المصري منطلقاً من قواعدا الصحراوية.

يبدو أن القيادة العثمانية كانت قد حولت كثيراً على ما سيقدمه الشيخ صفوك من مجهودات عسكرية، حيث أن حافظ باشا القائد العام للجيش العثماني بعث ابنه ليكون مع الشيخ صفوك الجربا في تلك الجهات.

وتشير التقارير العديدة التي تلقتها القيادة المصرية عن تحركات قوات شمر، إلى أن هذه القيادة كانت قد أولت عناية كبيرة جداً لتحركات شمر، وهذا يرجع إلى أن عيون المصريين في العراق كتبوا يقولون أن هذه القوات العشائرية هي أخطر ما في العراق من القوات الضاربة، وأن ما لدى علي رضا باشا والي بغداد من قوات ليست سوى قوات من المرتزقة (الباشيورك)، أما شمر فكانت كثيرة العدد سريعة الحركة، قادرة على إنزال خسائر كبيرة في الجيش المصري وسط الشام، في الوقت الذي يكون فيه الجيش المصري منشغلاً بالمعركة، وقد وصفت القيادة المصرية خطورة التحركات الشمرية بشكل دقيق عندما قالت: أن تلك العشائر لو انطلقت من نهر الفرات صوب الشام فإنها ستحول المنطقة الممتدة من المعرة إلى الشام خراباً.^(١٠٩)

إن هذا التحول في موقف الشيخ صفوك من القيادة المصرية كان ظاهرياً. لأنه بعد أن عاد في نهاية عام ١٨٣٨ م^(١١٠) كان بحاجة إلى أن يساهم العثمانيين، فقام بهذه التحركات ضد القيادة المصرية التي كان حليفاً لها في يوم من الأيام، وتخلت عنه ولم تف بوعودها في تحرير العراق من السيطرة العثمانية، ومساعدة الشيخ صفوك في خلافه مع علي رضا باشا قبل اعتقاله.

لقد كان انتقال القوات الشمرية من الجزيرة العراقية إلى ضفاف نهر الفرات أمراً يسيراً، حيث أنها كانت تسير في طرق صحراوية اعتادت على مثيلاتها، ولكن لكي تنتقل هذه القوات إلى الضفة الغربية عبر نهر الفرات كان لا بد لها من استخدام عدد من السفن، فطلب الشيخ صفوك من حافظ باشا القائد العام القوات العثمانية أن يزوده بالسفن اللازمة لنقل قواته، ولكن حافظ باشا اعتذر له بأن جميع السفن التي كانت تحت يده منهكة في نقل الجيش الرئيس من الضفة نهر الفرات الشرقية إلى ضفته الغربية، فأضطر الشيخ صفوك إلى الانتظار بعض الوقت حتى يتمكن من نقل قواته إلى الضفة الأخرى للنهر.

(108) . Williamson, Op. cit, p40-41.

(١٠٩) . عبد الرحيم، من وثائق شبه الجزيرة العربية، ص ٦٣٨ - ٦٣٩.

كان على القيادة المصرية في الشام أن تواجه قوات شمر بقوة كافية لردّها إذا ما هاجمت منطقة حماة، وكان في حماة حين ذاك لوائين من الفرسان، وبسبب توقع هجوم شمري على حماة فقد تقرر عدم اشتراك هذين اللوائين في المعركة المقبلة. بل صدرت إليهما الأوامر بعدم التحرك من حماة والحفاظ عليها.

وحيث أن التقارير الواردة إلى القيادة المصرية عن تحركات شمر كانت مضطربة، وكانت هناك إشاعات عن أن الشيخ صفوك قد لا يشارك في المعركة المقبلة، فإن المسؤولين في القاهرة تباطؤوا في إرسال القوات التي طلبها إبراهيم باشا، ثم لم تلبث التقارير وأكدت أن الشيخ صفوك عبر نهر الفرات بقواته صوب نصيبين، وأصبح على المسؤولين في القاهرة تدارك الأمر بسرعة، فأرسلوا على جناح السرعة اللواء الحادي والثلاثين إلى الشام ومعه بطاريتي مدافع وقوات عشائرية مصرية. (١١٠)

جاءت هذه التعزيزات على اثر ما جاء في نص فرمان سلطاني أرسله السلطان محمود الثاني إلى واليه على الشام وفيه: أن الشيخ صفوك الجريا وصل الخابور جامعاً جموعاً كالجراد منتشرة، قد ملأ الفضاء والبر، وجمع هذه القوات التي تربوا على أربعين ألف مقاتل لنصرت القوات العثمانية ضد القوات المصرية. (١١١)

وعلى أي حال كانت قبائل شمر أداة من أدوات تشتيت المجهودات الحربية المصرية، ولكن المعركة الحاسمة التي كانت ستقرر مصير المنطقة هي تلك التي كان يستعد لها الجيشان المصري والعثماني بالقرب من نزيب، ولقد دارت المعركة فعلاً في ٩ حزيران ١٨٣٩م وانتهت بتدحار شامل للجيش العثماني ونصر حاسم للقوات المصرية.

وخلال هذه المعركة كانت قبائل شمر قد أصبحت على مقربة منها، وشاهد رجل شمر النخين ألبمسا الطرابيش الحمر ليظهروا وكنههم جزء من

(١١٠) - نولز، آل محمد، ص ١٤٤.

(١١١) - نفسه، ص ١٤٤-١٤٦.

الجيش العثماني، مع قبائل السبعة والفتحان من عنزة.^(١١٦) كيف نزلت الهزيمة الحاسمة بالعثمانيين، وأغلب الظن أن الشيخ صفوك لم يلق بقواته في المعركة لموقفه المبذني من العثمانيين، وللتعاون السابق له مع القيادة المصرية، ولكن موقفه بعدها أصبح حرجاً، فهو من وجهة نظر القيادة المصرية المنتصرة كان مع جيش العدو، ومن ثم فيجب مطارفته هو الآخر، وفعلاً وجهت القيادة المصرية ضد شمر قوة من العشائر التي جاءت من مصر لغرض مقللة العشائر الموالية للعثمانيين..

كان الشيخ صفوك قد أدرك أن لا قبل له بالتصدي للجيش المصري المنتصر، فانسحب بقواته مسرعاً تاركاً دواب شمر لدى بعض العشائر المخلصة له، ولما لم تجد القوات المصرية أثراً لشمر أنزلت العقاب بالعشائر التي أخفت دواب شمر لديها، وكان طبيعياً أن تكون المطاردة محدودة الأهداف حيث أن الحكومة المصرية كانت لا تفكر في مد سيطرتها على العراق، مما اضطر الشيخ صفوك للذهاب إلى خورشيد باشا بن محمد علي وواليه على الجزيرة العربية، والتقى به في شهر آب من عام ١٩٣٩م وأزال اللبس الذي صار لدى القيادة المصرية تجاهه وتجاه شمر التي تحت إمرته.^(١١٧) كما أن الشيخ صفوك أعاد الهجوم على العشائر المصرية من قبائل الهلادي وأعاد منها أموال شمر التي كانت نهبتها، وذلك في عام ١٨٤٠م ودفع بهذه العشائر إلى شمال الأراضي السورية.^(١١٨)

تعتبر الفترة الواقعة ما بين ١٨٣٩ و ١٨٤٢ م فترة تحول خطيرة في تاريخ المشرق العربي، فقد أدت هزيمة العثمانيين في نزيب إلى إقناع الحكومة العثمانية بأنها لن تستطيع التغلب على المصريين إلا بالتعاون مع القوى الأوروبية الكبرى، وكانت إنكلترا مستعدة للتدخل لصالح السلطان العثماني ضد مصالح مصر الفتية، حتى تضمن لنفسها اليد العليا في المشرق العربي، وفعلاً تدخلت الدول الكبرى بتوجيه من إنكلترا وفرضت على مصر الانسحاب من الشام، ومن شبه الجزيرة العربية، وترتب على انسحاب

(١١٦) . نول، تاريخ العراق الحديث، ص ٢٠٦.

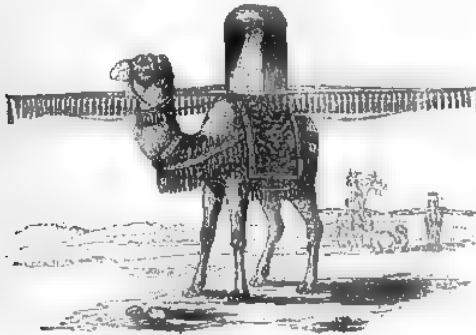
(١١٧) . عبد الرحيم، وثائق شبه الجزيرة، ص ٦٣٩.

(١١٨) . لوينهايم، رحلتي، ج ٢، ص ٨٥.

المصريين من المشرق العربي أن تفرغت الحكومة العثمانية إلى حد كبير لتحقيق سيطرتها على ولايتها العربية عن طريق القضاء على العصبية المحلية فيها، وتولى تنفيذ هذه السياسة في العراق نجيب باشا والي بغداد الذي خلف علي رضا الاز في عام ١٨٤٢م واستمر متعاقبا على هذا المنصب حتى العام ١٨٤٧م. (١١٥)

عندما عاد الشيخ صفوك إلى شمر والزعامة لها في نهاية عام ١٨٣٨م، لم يجد تلك القبيلة الموحدة التي تركها في بداية عام ١٨٣٥م، عاد الشيخ صفوك إلى شمر تحت الراية السلطانية في مواجهة القوات المصرية التي فقد الشيخ صفوك ثقته بها، لأنه رأى فيها أنها لم تكن صادقة في الأهداف التي نادى بها، ولم تتوجه لتخليص العراق من السيطرة العثمانية، بعد أن قضى في الأساتة حوالي ثلاث سنوات، واتفق مع العثمانيين أن يقدم لهم ثمانية آلاف جمل، وألف رأس من الخيل للمجهود الحربي العثماني لمقاومة المصريين، ولكن الشيخ صفوك في الحقيقة لم يستطع أن يقدم كل هذا العدد للقيادة العثمانية. (١١٦)

عاد الشيخ الجليل إلى شمر مع ابنه فرحان الذي أثرت فيه حياة المدنية، وتعلم التركية. وذهب إلى المدارس العثمانية، وأصبح شغوفاً بالحياة المدنية ومحولاً أن يزواج بينها وبين حياة البداوة التي عاشها مع شمر، التي سوف تترك أثرها على سياسته عندما تصبح المشيخة إليه بعد وفاة والده كما سيمر بنا.



عطفة

شمر كما

رسمها

لايلرد

(١١٥). نولر، آل محمد، ص ١٤٤-١٤٥.

(١١٦). عبد الرحيم، من وثائق شبه الجزيرة العربية، ص ٦٣٩.

السلاطين العثمانية وشمرو ١٨٤٠م ١٨٤٥م

خلال السنوات القليلة التالية تراوحت علاقات شمر والحكومة بين الصداقة الأكيدة والعداء الصريح، فقد حاول الشيخ صفوك بين ١٨٤٠ و ١٨٤٥م، أن يستعيد مكانته السابقة كلقوى زعيم قبلي في الجزيرة التي اهتز مركزها إقامته الإجبارية في اسطنبول وما رافق عودته من أحداث، ولكن وبمرور الوقت واجه هذا الزعيم العربي صعوبة متزايدة في السيطرة على هذا التجمع القبلي الذي كان عدد أفراد ما بين ٣٥ و ٥٠ ألف نسمة، وما انضوي تحت لواء شمر من قبائل بدوية وريفية حوالي ٦٥ ألف نسمة^(١١٧)، وفي استخدام نفوذه المعتاد لدى الحكومة المركزية.

ساهمت ثلاثة عوامل في إضعاف السلطة المطلقة والجاذبية الشخصية لزعيم شمر الأكبر ولو بشكل محدود:

أولاً: أن الشيخ صفوك لم يستطع الاستمرار كزعيم لشمر قوي السلطة بلا منازع، فقد ظهرت زعامات من داخل آل محمد نافسته على الرئاسة المتمثلة بمشيخة الشيخ نجرس الزيدان (راعي درعه).

ثانياً: حصلت مجاعة شديدة لشمر بين عامي ١٨٤٥ و ١٨٤٦م، بشكل عام، استنزفت الثروة الشخصية للشيخ صفوك، مما تركت أثراً واضحاً على الوضع المادي للشيخ صفوك.

ثالثاً: ازدياد القوة العسكرية للدولة العثمانية. وما حاولت أن تمارسه حكومة بغداد للسيطرة على شمر، ولعل ما قام به الوالي نجيب باشا من تدخل في شؤون القبائل مثلاً على قوة العثمانيين المتزايدة في الجزيرة^(١١٨)، ورغم انشغال شمر في غارات ثلوية بين عامي ١٨٤٠ و ١٨٤٣م إلا أن الشيخ صفوك ظل عموماً خارج التيار الرئيس للشؤون الإقليمية، وقد أسهم

(١١٧). نور، تاريخ العراق الحديث، ص ١٥٠.

(118). Williamson, Op. cit, p44-45.

جاءت معاونة آل الجومرد للشيخ صفوك للعلاقة القوية بينهم كما بينت الرسالة في أنه المرسلة من الشيخ صفوك الجربا إلى التاجر عبد القادر الجومرد، الذي كانت علاقته بالشيخ صفوك قد بدأت عندما كان الجومرد قادماً من حلب ومعه تجارة كبيرة، وأراد قطاع الطرق التعرض لها، فكان أن تواجد الشيخ صفوك مع جمع من شمر في مكان تواجد القافلة، فقام الشيخ صفوك على الفور بحماية القافلة التي كانت تحمل من ضمن أحمالها كمية من الذهب، وأرسل خمسين فارساً لحمايتها حتى وصلت سلامة إلى الموصل. (١١٩)

كان علي رضا باشا قد وافق مرغماً أن يترك للشيخ صفوك وظيفة إدارة عائلته، إلا أن باشا الموصل الذي كان يريد عائلته لنفسه أحتج بشدة ضد هذا القرار، وبعد مناقشة طويلة أقنع علي رضا الشيخ صفوك في نهاية عام ١٨٤١ أو أوائل ١٨٤٢م بترك إدارة عائلته، وأعطى بدلاً منها أراضي على نهر الدجيل^(١٢٠) ورداً على ذلك قام الشيخ صفوك بشن غارات عديدة قرب نهر الخابور، كما وواجه زعيم شمر صعوبات أخرى بمحاولة عدة قبائل تابعة له أن تنهرب من دفع الخوة لشمر، كما أرسل الشيخ فرحان إلى بغداد ليصل إلى تسوية مع نجيب باشا الوالي الجديد على بغداد أملاً منه في الاحتفاظ بولاء هذه القبائل، ثم عاد إلى منطقة الموصل ليلتقي مع تلك القبائل ويعمل على ضبطها، وفي تشرين الثاني من عام ١٨٤٣م جدد نامق باشا الحاكم الجديد لولاية بغداد تعيين الشيخ صفوك زعيماً أكبر لشمر أمام السلطة العثمانية.

قاد المحزم حملة ناجحة ضد عزة بالقرب من حران في أيار ١٨٤٤م ضمن الصراع الطويل بين الفريقين على الغنمة والطمع في مراعي وحشى شمر، وبقيت شمر مستتبلة في الدفاع عن مراعيها وحماها، في الوقت الذي وقفت الحكومة موقفاً عدائياً من الشيخ صفوك، ففي عام ١٨٤٤م عين نامق باشا رسمياً شيخاً منافساً للشيخ صفوك هو الشيخ نجرس الزيدان الذي كان قد

(١١٩). د. عبد الجبار الجومرد، مذكرات الدكتور عبد الجبار الجومرد، مخطوط لدى

ولده الدكتور جزييل الجومرد، اطلع عليها الباحث، ورقة ١٠.

(١٢٠). لوريمر، مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٤٠.

أعلن نفسه شيخاً على شمر منذ أن نفي الشيخ صفوك إلى استنبول، وبذلك نقض والي بغداد تعهده للشيخ صفوك، فحاول المحزم أن ينهي هذا التحدي لمكافئته فكاند لشمر بأن يعيد إقامة علاقات الصداقة مع حاكم بغداد^(١٢١)، وهذا الأسلوب ليس جديداً على الحكام العثمانيين في بث الفرقة داخل شمر من خلال خلق زعامات داخل بيت المشيخة، ليكونوا منافسين للزعيم الذي انتخبته شمر لنفسها، عندما لا يكون الزعيم على هوى السياسة العثمانية على الدوام أمثال الشيخ صفوك الجربا.

لم يمض وقت طويل حتى حانت الفرصة لزعيم شمر الراجب في استعادة مساندة الحكومة له، ففي صيف ١٨٤٤م قامت عنزة التي اضطرت إلى مغادرة ديارها نتيجة لحريق محرم، بمحاولة غزو الجزيرة بحثاً عن أراضي للرعي، وبعد أن وجدت الحشائش اللازمة لحيواناتها، بدأت تقوم بغارات فيما بين بغداد والموصل، وطلب كل من نجيب باشا ومحمد شريف باشا حاكم الموصل المساعدة من شمر لوقف غارات عنزة، فوافق الشيخ صفوك على عرض الحكومة. وذهب إلى القتال معه ألف من محاربي شمر، وأخيراً واجهت شمر قوة من عنزة تقدر ٢٠ ألف محارب، تحت قيادة الشيخ دهم بن غبين إلى الشمال الغربي من الموصل، وبمساعدة عدد من الفرسان الأكراد بقيادة بدر خان بك البوتاني (١٨٠٣-١٨٦٩م) التي كانت في تحالف قوي مع شمر، استطاعت شمر أن تهزم عنزة وتدفع بقوتها الأكثر عدداً نحو الجنوب في اتجاه تلعفر وأسكي موصل.

بعد سلسلة من الاتصالات حاول خلالها دهم بن غبين أن يحسن من علاقاته مع حاكم الموصل، استأنف القتال بين قبائل عنزة وشمر في خريف عام ١٨٤٤م. وبعد عدة معارك حاسمة لصالح شمر وشيخها صفوك عادت عنزة إلى نهب المنطقة الريفية المحيطة بالموصل في نهاية عام ١٨٤٤م وأوائل عام ١٨٤٥م، شمر بعدما دهم بن غبين أن قبيلته تواجه نزاعات أكبر منها، فوافق على شروط الصلح مع الحكومة التي قضت بعودة عنزة إلى الصحراء السورية، وبدفع إثارة تتكون من ١٥ ألف رأس من الغنم، وما يزيد عن ٣ آلاف جمل و٨ آلاف فرس.

(121) . Williamson, Op. cit, p44-45.

لكن اتفاقية السلام هذه لم تنته الصراع الطويل الأمد بين شمر وعنزة، لأن هذا الاتفاق لا يحكم قوانين الصحراء ونظام الغزو القبلي، وعليه فقد هاجمت شمر عنزة أثناء عبورها نهر الفرات، واستولت على ٧ آلاف من أغنامها، فرد دهم بن غبين على هذه الهزيمة التي منيت بها عنزة التي باركها العثمانيون، بالقيام بغارات على امتداد نهر الزاب الأصغر، وأخيراً قامت شمر بعد معارك طاحنة بدفع عنزة من ولاية بغداد إلى الصحراء السورية في نهاية عام ١٨٤٥م، بعد أن حققت عليها انتصاراً حاسماً. (١٢٢)

لقد كانت هذه المعارك بين شمر وعنزة من صدامات الغزو الفاصلة التي سجلها التأريخ القبلي في الجزيرة، وتعرف أحداثها بين البدو (بالسبع أكوان) أي المعارك السبعة، واريخ القصيد البدوي بطولات شمر وشيخها صفوك من خلال العديد من القصائد والأبيات الشعرية، ومنها قصيدة لردهان بن عنكا في السبع كوان:

بن الرحابيل وأرتحل يا ابن كيشون ذودك مع المسبوك مثل الجلابه
ومن الحفا خلى عبيده يتصاكون والحقهم ابن كويخ تدعك لرجابه
وشرب المعجل جنهم شرب غليون والآ اهل الحرة نهيبهم انهابه
وأكلى جما الهزير يمشي على الهون كثرخنين الخلاج وشئت اذهابه
من فوك حمرا جنها عين مجنون تزهي بجديد اللبس ما هي هلابه
خربصاك عرجان الطلاب يعيون جيلهم منهم يعاف الطلابه
أعضى من المصري على الحرب يعضون وأقطع من الهندي نلك من اكرابه
وان روحوا من عقب طاعن ومطعون عي الردي منهم يوري صوابه (١٢٣)

(122) . Ibid, p42-43.

(١٢٣) . من الفزات الشعري لشمري.

ومما قاله ردهان بن عنكا في الشيخ صفوك:

يا راكبن ملحا طويلن سنامه يا شاف بالي من طويلات الأبواع
يا راكبة كرب عليها المساما مع جربة ماء على الكبد نقاع
ملفالك أبو فرحان عز الجهامه الشيخ السي للمخاسير فداع
شمر جزورن والسيفلا سنامه عزى الشيخ فاخته ذيب الأقطاع
يلمن خبر شيخن يقلش احزاهه يبيع تسع اجموع بخصان هزاع
لا يعجبك شمران قلب النعامه وحين ما ينفعك اليا جاك فزاع
هايس بعد العلم حامي الجهامه بفرح به المضروب اليا جا وفزاع^(١٢٤)



العثمانيون ومقتل الشيخ صفوك

أنشغل الشيخ صفوك وشمّر في أوائل ١٨٤٦م في عدة غزوات وقعت أخطرها في تلال سنجار، حيث قتلت شمّر زعيماً يزدياً مع ٨ من محاربيه، بالرغم من متانة العلاقة بين شمّر والطائفة اليزيدية. خاصة على عهد الشيخ صفوك، ويبدو أن المحزم استخدم هذه الغارات لتأكيد سلطته المطلقة على أرض الجزيرة الفراتية، ول يؤكد لجميع الأطراف الذين حوله أنه الزعيم القوي المهيب لشمّر، ومن يتبعها من القبائل، ومع ذلك، ففي خلال ١٢ شهراً التالية كان زعيم الصحراء الذي لا يزال قوياً يرقد مقتولاً غدراً على يد قائد عثماني مأجور.

وسنحاول في السطور الآتية توضيح ما حدث للشيخ صفوك، وكقطة بداية فقد كان شيخ شمّر رجلاً يقدر نفسه تقديراً عالياً جداً، ويعد نفسه شخصية قوية وهامة، وعمل على الاحتفاظ بالمكتة التي تمتع بها في العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر، ويبدو أيضاً أنه كان يستاء طبعاً من أي تعد على امتيازاته الشخصية كزعيم بدوي، وتمشياً مع ذلك رفض أن يخضع سواء لرغبات قبيلته التي كانت لا تتماشى مع مثلها وقيمها أو للحكومة. وقد نشأ هذا الرفض بلا شك من حقيقة أن الشيخ صفوك كان يقدر بوضوح القوة التي كانت عليها شمّر كسيده للجزيرة بلا منازع، وبالتالي لم يستطع المحزم أن يتكيف مع تدخل الحكومة في شؤون القبائل.

خاصة وأنه كان يقود تجمعاً قبلياً أبى أن يكون تحت سلطة آل سعود عندما كان في نجد، وكذلك أبى أن تتدخل السلطات العثمانية عندما رحلت شمّر إلى أرض الجزيرة الفراتية، وكانت قبائل شمّر تتكاتف دائماً ضد التدخلات العثمانية في شؤونها الداخلية، ووجد الشيخ صفوك في التوسع المصري فرصة لتحقيق هدفه للاستقلال بتلك الجهات، ولكن تفوقت

الدبلوماسية العثمانية على الخطط السريعة التي كان يضعها وينفذها الشيخ صفوك لتنفيذ حلمه النبيل. (١٢٥)

أصبحت حقائق الحياة في الجزيرة في عام ١٨٤٦م لا تتلائم مع مفهوم الشيخ صفوك عن قوة شمر ودوره هو بالذات كزعيم أكبر للقبيلة، وتغيرت الظروف السياسية والاقتصادية في الجزيرة في العشرينات والثلاثينات، ويأتي في مقدمة هذه التغيرات الوجود الإداري العثماني المتزايد الذي زاد من الضرائب على سكان الريف والحضر والبدو في الجزيرة، (١٢٦) وأصحابها زيادة في الرشاوي والعقوبات الإدارية، وقد منعت هذه النفقات المرتفعة الشيخ صفوك من الحفاظ على أسلوب حياته المعتاد كزعيم بدوي عظيم، لأنه كان عليه أن يدفع ما يتوجب عليه وعلى شمر من ضرائب للدولة، وبالتالي تآكل نفوذه بين قبائل شمر المختلفة نوعاً ما نتيجة لهذه الضرائب، فضلاً عن محاولات السلطة العثمانية المتكررة لتقويض سلطة الشيخ صفوك من خلال خلق المنافس له الواحد تلو الآخر على رئاسة شمر من داخل بيت آل محمد.

خلال الأربعينات من القرن التاسع عشر مارس الجيش العثماني نفوذاً متزايداً في إقليم الجزيرة، من خلال حملاته الفعلية ضد الدويلات الكردية شرق الموصل، وعلى الرغم من أنه لم يكن أبداً هدفاً مباشراً لهذه القوة الجديدة، إلا أن الشيخ صفوك كان يخشى بوضوح نموها، وسعى إلى تدميرها بغزواته المتفرقة عليها أو على من بحمايتها من القبائل في الأعوام ١٨٤٦ و١٨٤٧م، محاولاً بذلك المعهود إبقاء شمر خارج سطوة العصا العثمانية

كانت مجاعة عام ١٨٤٤م الشديدة التي دامت سنتين، قد أعقلت الشيخ صفوك عن تحقيق طموحاته وتقوية سلطته، لقد حرمت المجاعة الشيخ من ثروته الضخمة التي كان يملكها، واضطرت هذه المجاعة التي ضربت أرض العراق وبلاد الشام. ومنها بالطبع أرض الجزيرة الفراتية إلى بيع مجوهرات نسائه الخاصة ومائتيته كما ذكر ذلك لا يارد كي يشتري الحبوب والطعام لهذا

(١٢٥). نولر، تاريخ لعرق الحديث، ص ٤٧١.

(126). Williamson, Op. cit, p42-43.

التجمع القبلي الضخم^(١٢٧)، مع بيعه لعدد من خيوله الأصيلة إذ أنه كان يملك سلالة الصقلاوي من هذه الخيل^(١٢٨)، وهذه من أنبل صفات هذا المحمدي الكريم الذي أبت نفسه الكريمة أن يترك أعداءه عذرة في هذه المحنة العصبية، فضلاً عن أهله شمر، ولعل ما قاله العززي الذي أتاه مع جموع من عذرة وقد ضاقت بهم السبل، وكاد الجوع يقضي عليه وعلى من معه، بعد أن طرّقوا أبواب شيوخ عذرة ولم يلقوا عندهم ما يشبع جوعهم وجوع عيالهم، أتوا إلى الشيخ صفوك الذي اكتال لهم حتى أشبعهم، فقال فيه هذه الأبيات: ^(١٢٩)

جينا من النكره نبي خشم سنجار وجيناك يا عز الغريب المجنا
يلطير يالي لبرك السريش عفار دونك المبارك منتسبين وطننا
يا مجيل تسع لجموع بالموسم الحار يسومن مور اشويو خناس عنا
من عند رجل اشيج أيا مصفط الكار ترى ما بقى به موجد النار منا
مار المسعدة ألي بين فردة والمرار وهذاك الي بحياته تهننا

فضلاً عما كان يمثلّه الشيخ نجرس الزيدان راعي درعه شيخ شمر المنافس، والذي ساندته الحكومة من شوكة في الظهر، وتحدياً قوياً للشيخ صفوك في ظل هذه الظروف العصبية على شمر وشيوخها. ^(١٣٠)

خلال شهر نيسان من عام ١٨٤٦م قام جراح المقيمة البريطانية في بغداد لايارد بزيارة إلى مضارب الشيخ صفوك، وذلك عندما كان لايارد يقوم بـالتنقيب عن الآثار في منطقة النمرود، مع عدد من أصدقائه ومن بينهم كرسيتيان وهرمز رسام، وعدد من تجار الموصل، وقد بلغ موكبه ٤٠ شخصاً الذين أتى بهم إلى الشيخ صفوك، ونزلوا ضيوفاً عند المحزم الذي عاملهم بأعلى درجات الاحترام والكرم، كما أشار إلى ذلك لايارد نفسه، وهذا ليس

(127) . Ibid, p44.

(١٢٨) بلنت، قبائل الفرات، ص ٢٢٢.

(١٢٩) . من التراث الشعري الشمرى.

(130) . Williamson, Op. cit, p44.

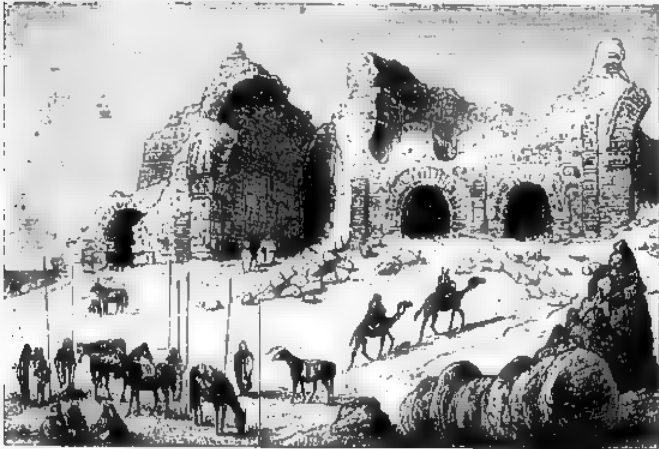
غريباً على هذا البيت الكريم، على الرغم من الظرف المالي الصعب الذي كان يمر به الشيخ صفوك، نتيجة المجاعة الشديدة التي فتكت بهذه المنطقة من أراضي الدولة العثمانية منذ العام ١٨٤٤م، كيف والشيخ صفوك مضرب المثل في سخاء اليد وسعة الكرم، حتى أصبح كرمه مثلاً عند العامة، فإذا ما تحدث شخص ما عن كرمه وما قدمه لضيوفه ردوا عليه بقولهم: (والله لوك صفوك) أي والله لا تبلغ هذا الوصف إلا لو كنت الشيخ صفوك. ^(١٣١)

وصف لنا لا يارد منزل شمر التي مع الشيخ صفوك الذين كانوا في رحيل الذي المستمر منذ الفجر حتى العصر من يوم وصول لا يارد إلى مضارب شمر، كما وصف لنا شخصية الشيخ صفوك ومائة خلقه، وكياسة ملقاه لضيوفه، وما يتمتع به من طول القامة، وجمال الوجه، وأناقاة الثياب العربية التي كان يرتديها من كوفية بيضاء وعقال موشى بالذهب، ودمير مزركش ينم عن علو المنزلة وطيب حال.

كما وصف لنا الشیخة عمشة لحسين أم الشيخ عبد الكريم، وما كانت تتمتع به من كونها السيدة الأولى بين نساء الشيخ صفوك، ومكانتها المميزة بين نساء الشيخ الأخريات، وأعطانا صورة واضحة عن أكبر أولاد الشيخ صفوك الشيخ فرحان، وما كان يتمتع به من مكانة مميزة لدى والده ولدى شمر، وتميزه بذكاء واسع، وخلق عظيم، ورأي نافذ عند والده الشيخ صفوك وعند عموم شمر.

كان هدف لا يارد من هذه الزيارة حمية نفسه وموقع تنقيته في النمرود، عن طريق الشيخ صفوك وشمر من عمليات السلب والنهب التي ربما ظن انه سينعرض لها، لولا هذه الحمية التي أرادها وحصل عليها من قبل الشيخ صفوك، كما وانه أراد زيارة آثار الحضر التي هي ضمن حسی شمر، ولا يجرو أي أجني على الوصول إليها دون موافقة وحماية شيخ شمر، وقد زارها فعلاً بعد أن أرسل معه الشيخ صفوك اثنين من رجاله المخلصين كان من بينهم فارسه الخاص داثان، ويعد ما دونه لا يارد عن

شخص المحزم ومضارب شمر بمنازلها وترحالها من أجمل ما دون في هذا الجانب الحقيقي عن شمر وشيوخها الجربا. (١٣٢)



الحضر كما شاهدها لايارد

أظهرت أعمال الشيخ صفوك في السنة التي تلت أيلول ١٨٤٦م بأنه مصمم على الإبقاء على قوته واتساع سلطته، ففي خريف ١٨٤٦م، تحركت شمر من شمال بغداد نحو منطقة الموصل الهادئة، فتغيرت الأحوال بسرعة عندما ظهر المحزم في شمال العراق، إذ بدأت شمر في ضبط القبائل الخاضعة لها جنوب حمام الطيل، وأوقفت الحركة في نهر دجلة، وأغار على القوافل في طريق حلب الموصل. نتيجة للضغط المتزايد عليها من قبل سلطات بغداد والموصل العثمانية، دخل الشيخ صفوك مملكة بدرخان بك البوتقي، الزعيم الكردي الثائر على السلطة العثمانية بالقرب من جزيرة ابن عمر، من خلال تحالف قوي ومنظم ضد السلطة العثمانية، وفي مناورة ذكية

(١٣٢) . كوبي، مرجع سابق، ص ٢٧٥-٢٧٦،

Henry Layard, Nineveh and its remains (london: 1948) p111-124

من الشيخ صفوك بعث بلينه فرحان الذي كان محملاً بهدايا قليلة وبوعده بلمزيد منها مستقبلاً ليتفاوض مع نجيب باشا في بغداد، مبيناً لباشا بغداد أن شمر ليست في خصام مع سلطات بغداد، ولا مناصرة لبدر خان في تمرده على الدولة، وقد حاول الشيخ فرحان في إقناع الحاكم ببقاء الاعتراف بالمحزم زعيماً أكبر لشمر رسمياً أمام الحكومة في بغداد، فأستجاب نجيب باشا لطلب الشيخ الشاب، ولكنه قد المنصب لفرحان، فأكد نجيب باشا عملياً اعترافه بقيادة الشيخ صفوك لشمر من خلال اعترافه بالشيخ فرحان.

لقد نتج عن إعادة التعيين الرسمي هذا أن فقد الشيخ نجرس الزيدان المساندة الحكومية الرسمية له، كما وعد نجيب باشا أيضاً بإرسال قوات عسكرية للمساعدة في الحفاظ على النظام في الجزيرة، وتحت نظر شمر وشيخها، على الرغم من الغرابة إلى حد ما في موقف نجيب باشا هذا تجاه عدوه المتشدد الشيخ صفوك الذي يعلم جيداً أنه لا يمكن هزيمته في مواجهة عسكريته^(١٣٣)، ولكن يمكن تفسير ما فعله بسهولة أن حاكم بغداد أراد أن يقر السلام في الجزيرة، وأختار أن يتعامل مع شمر ذات السطوة القوية على أساس أنه وحده بإمكانه إحلال السلام بين القبائل العربية من جانب، ومن جانب آخر كان نجيب باشا يهيء الأرض لما سوف ينفذه من غدر بالمحزم فيما بعد، خاصة وأن نجيب باشا هذا من الولاة الذين نجحوا في القضاء على جميع الزعامات الوطنية التي حالت دون تقوية قبضة الحكومة العثمانية على أجزاء هامة من البلاد، فقد غدر بلشيخ صفوك مثلما فعل مع سليمان بن غنام شيخ العقيل الذي اغتيل عام ١٨٤٠م، ومن قبل مع محمد بك ميركور أمير راوندوز.^(١٣٤)

يبدو أن المشاكل التي واجهت الشيخ صفوك في خريف ١٨٤٦م كانت أكثر تعقيداً من تلك التي واجهت نجيب باشا في تعامله مع شمر، إذ كان عليه في البدء أن يحل مشكلة الوحدة القبلية، وموقف الشيخ نجرس الزيدان ومن معه، أستخدم الشيخ صفوك كل السبل الدبلوماسية المناسبة لحل هذه المعضلة التي واجهتها شمر، في الوقت الذي كان يجب على الشيخ صفوك أن يحتفظ

(133) . Williamson, Op. cit, p46.

(١٣٤) . نولر، تاريخ لعرق الحديث، ص ٤٧١.

بعلاقات طيبة مع مختلف كبار الموظفين العثمانيين، لأنه بدون مساندتهم كان عليه أن يواجه ليس فقط غضبهم عليه، بل وأيضاً فقداناً للأمن والاستقرار لشمر.

إجمالاً كانت السنتان ١٨٤٦ و ١٨٤٧ م من السنوات المحرجة للغاية بالنسبة إلى شمر على أرض الجزيرة الفراتية، ونتيجة لانجذابها بين الحياة البدوية التقليدية والنفوذ الجديد لسيطرة الحكومة المركزية المتزايدة، سعت شمر إلى تحقيق التكيفات الضرورية لبقائها كقوة موحدة متماسكة وقوية، ودار جوهر القضية حول مسألة إذا كان من الممكن لشيخ بدوي تقليدي مثل الشيخ صفوك أن يحتفظ بمكانته كقائد لشمر دون منافس، ولكن الإجابة على هذا السؤال كما أظهرت الأحداث التالية كانت ايجابية إلى حد كبير، لولا تدخلات باشوية بغداد في شؤون شمر الداخلية، إذ قرر الشيخ صفوك مرة أخرى والذي كان يتمتع بحماية طيفه بدر خان بك كظهير له، أن يعيد توحيد القبيلة تحت سيطرته. بغض النظر عن النتائج. التي قد تحدث، وكذلك ما سببت علاقاته بالقائد الكردي بدر خان بك. الذي كان قد أسس إمارته الكردية البوتانية في حصن كيفا^(١٢٥) من الحرج لنجيب باشا، الذي كان الباب العالي قد وجه إليه اللوم الشديد رسمياً لاعترافه بفرحان الزعيم الرسمي لشمر.

كان المحزم يأمل في كسب ود العثمانيين، وإن لا يدخل معهم في نزاع مسلح، وشمر تمر بهذه الظروف الصعبة، وإن يعاملهم بود واحترام، وبطلب المساعدة العسكرية منهم إذا ما احتاج إلى ذلك، وفي محاولة منه لتوحيد الكلمة داخل شمر دعا الشيخ صفوك الشيخ نجرس للحضور إلى مضيفه لمناقشة قيادتهما المشتركة للقبيلة، رفض الشيخ نجرس هذا العرض، وأملأ في التغلب على تردد الشيخ نجرس، أرسل الشيخ صفوك ابنه فرحان لكي يدعو شخصياً الشيخ نجرس إلى المضيف، بعدها زار فرحان الشيخ نجرس وقدم إليه وعده الشخصي بالأمان إذا قام الأخير بزيارة الشيخ صفوك، وبين الشيخ فرحان للشيخ نجرس بأن هناك خلاف عائلي بين الشيخ نجرس

(١٢٥) . لوينهايم، البو، ج ١، ص ٢٣٩.

وأولاد عمومته ليس له علاقة بمنصب المشيخة على شمر يريد الشيخ صفوك ان ينهيه.

جاء الشيخ نجرس ودخل المضيف وأستقبل من قبل الشيخ صفوك ببرود، وأخذ الاثنان بالحديث حول زعامة شمر وموضوع الخلاف العائلي، وأوضح الشيخ صفوك الأخطاء التي وقع فيها الشيخ نجرس عندما نافس المحزم على المشيخة، وانتهى الحوار بينهما وقام الشيخ نجرس بترك المجلس وخرج من المضيف، بعد أن شعر بأن خطراً ما يتهدهده، فحققه اثنان من أولاد عمومته، هما الشياخان سميح الفهد و هجر العمر وقاما بقتله عند باب بيت الشيخة عمشة زوج الشيخ صفوك لخلاف عائلي قديم بينهم. (١٣٦)

نقمت قسم من قبائل شمر على شيخها صفوك واتهموه أن له يد في التخطيط لقتل الشيخ نجرس، ومن أجل أن يقفوا في وجه المحزم، انتخبوا الشيخ عيادة من الزيدان شيخاً لهم بدل الشيخ صفوك، وكلفت قبائل شمر التي ساندت الشيخ نجرس الزيدان قد تفرقت في كل اتجاه مباشرة بعد حادثة القتل هذه (١٣٧). ورغم ذلك وبعد انتخاب عيادة كشيخ للقبيلة تجسعت هذه القبائل عند الزيدان بالقرب من ماردين لمحاربة الشيخ صفوك، وخوفاً على وحدة شمر ولأجل ضبط قبائلها المتمردة حاول الشيخ صفوك أن يحمي نفسه بالتحالف مع السلطة العثمانية، وتوطيد علاقات الصداقة مع نجيب باشا وآخرين من كبار الموظفين العثمانيين.

حاول الشيخ عيادة ان يقوي مركزه مع السلطات العثمانية في ولاية كردستان، إذ عرض على مشير الجيش العثماني فيه رغبته في ان يكون على مشيخة شمر امام السلطات العثمانية في هذه الولاية، و يكون يدهم الضاربة فيها بمن معه من شمر التي شيخته، وارسل رسالة بذلك جاء نصها:

أضطر الشيخ صفوك إلى الاعتماد على المساعدة التركية له وتراجع في اتجاه الشمال الغربي إلى ديرك وديار بكر، وسرعان ما تحققت المساعدة الحكومية عندما أرسل مشير ماردين ٦٠٠ جندي لمساعدة الشيخ فرحان في

(١٣٦). نولر، آل محمد، ص ١٤٧.

(١٣٧). نفسه.

لخضاع قبائل شمر المتمردة، فغضب الشيخ عياده من مساندة الحكومة للشيخ صفوك فبدأ مع محاربيه في شن غارات في كل اتجاه، ووقعت تلحفر في غرب الموصل ضحية لهجومهم، وأمتد نشاط هذا القسم من شمر إلى الشرق، فقام بغارات خاطفة على شهبزيان ومدن أخرى، وقاموا بسد وقطع معظم طرق الصحراء المؤدية إلى الغرب، وتسبب الشيخ عياده في إحداث فوضى واسعة جداً. حتى أن الشيخ صفوك طلب المساعدة من نجيب باشا كي يوقف تمرد الشيخ عياده، فوافق الحاكم العثماني على إرسال كتيبة من الجند إلى الشيخ صفوك. الذي كان قد جاء إلى الشمال من بغداد مع من معه من شمر ليعيد العدة لضبط الشيخ عياده ومن معه من شمر. (١٣٨)

غادرت الفرقة العثمانية بغداد تحت قيادة إبراهيم أغا في نهاية تشرين أول ١٨٤٧م، والتقت بالمحزم في مضاربه بعد ساعات قليلة خارج بغداد، واتجهت القوة المشتركة شمالاً استعداداً للتخلص من الشيخ عياده المثير للشغب، وبدأ كل شيء جاهزاً مع ذهاب محاربي شمر لاستطلاع الطرق وتأمينها، بينما ظل الشيخ صفوك في المؤخرة تحت حماية بعض من أفراد شمر، وبقي إبراهيم أغا قائد القوات العثمانية في المؤخرة، بزعم مساعدة الشيخ صفوك في حالة أية متاعب، وبينما كان فرحان والجزء الرئيس من شمر في طريقهم للقاء الشيخ عياده، سنحت الفرصة لإبراهيم أغا لتنفيذ أوامر نجيب باشا السرية، وعند صدور إشارة متفق عليها أطلق جندي عثماني النار على ظهر الشيخ صفوك، وقام إبراهيم أغا بقطع رأسه بأسم السلطان العثماني، وخلال ساعات كان نجيب باشا يمسك برأس سيد الصحراء. (١٣٩)

كان إبراهيم أغا هذا من ضباط السلطان الخاصين، وهو شركسي مسيحي، ثم أسلم وأشتهر بتنفيذ مؤامرات ناجحة ضد الزعماء الوطنيين والمعادين الثوريين على السلطان العثماني، كان ماهراً في التخلص منهم بطريقة الخاصة، وأسلوبه في الاحتيال والوصول إلى مجلس الأمير الثائر، بأسلوب ذكي، ومن ثم ينقض على ضحيته ويصرعه بضربة من سيفه أو

(138) . Williamson, Op cit, p47.

(139) . Ibid.

بإطلاق الرصاص عليه فينتهي أمره بسرعة فنتقة، ثم يعطن أن ذلك قد تم بأمر السلطان العثماني، ويأخذ رأس الضحية إلى مسؤوليه.

تلك كانت مهارة إبراهيم أغا وهذا هو تاريخه، لكن الشيخ صفوك كان لا يعط عنه شيئاً، إذ أنه عقد العزم عليه في بعض العمليات التي كان ينوي القيام بها، في الوقت الذي كان فيه إبراهيم أغا يتحين الفرصة للقضاء على الشيخ صفوك الجربا. (١٤٠)

ومن الجدير بالذكر ملاحظة طبيعة التدخل العثماني في شؤون شمر، إن حاكم بغداد لم يكن في قدرته أن يتحدى القبيلة عسكرياً في عام ١٨٤٧م، بعد بقاءها في الجزيرة لما يقرب من ٥٠ سنة، فسعى إلى إضعاف قوة شمر بأساليب غير مباشرة، ومن أجل تحقيق هذا الهدف تبنى نجيب باشا مظهراً من مظاهر السياسة العثمانية القبلية، ونفذها بحذافيرها حينما زرع الخلاف داخل بيت الزعامة على شمر، واستغل الظروف الأخيرة التي آلت إليها أوضاع الزعامة على شمر أحسن استغلال. للقضاء على الشيخ صفوك وزعامته على شمر.

ربما أعتقد الوالي نجيب باشا أنه باغتيال الشيخ صفوك سيحل مشكلة شمر وقوة الزعامة فيها، وفي الواقع فقد أثبت الشيخ صفوك أنه آخر شيخ من شمر في القرن التاسع عشر. أحتل مكانة لا ينافسه فيها أحد كسيد للصحرَاء، ففي ظل قيادته وصلت شمر إلى ذروة قوتها العسكرية، ولأسوء حظ شمر تسبب عدم معرفة الشيخ صفوك بنوايا إبراهيم أغا إلى مصرعه. (١٤١)

لاشك أن الشيخ صفوك الجربا على الرغم من بداوته من معدن فريد بين شيوخ العشائر، فكان واسع الأفق والثقافة البدوية، وما اكتسبه من خلال احتكاكه بمن حوله من القرى والمدن، قاد شمر بصديق وطني خالص، وشعر بقيمة العراق. وبذل الكثير من أجله، واعتبر الشيخ صفوك مع شمر أقوى قوة

(140) . Ibid

نور، آل محمد، ص ١٤٩.

(١٤١) . نور، آل محمد، ص ١٤٩.

عربية بدوية ضاربة ظهرت في القرن التاسع عشر بوجه العثمانيين على هذه الأرض العربية. (١٤٢)

كان لمصرع الشيخ صفوك على هذه الصورة أن جعل منه أسطورة البادية. إذا ما أضيف إلى تأريخه الطويل، كما أن مصرعه عمق الهوة بين آل محمد الجربا وشمس وبين العثمانيين،

لقد ترك الشيخ صفوك العديد من الأبناء الذين لعبوا دوراً في تأريخ العراق وسوريا الحديث وهم.

- | | |
|----------------|-----------------------------|
| ١- فرحان: | له عقب (الفرحان). |
| ٢- عبد الكريم: | له عقب (العبد الكريم). |
| ٣- فارس: | له عقب (الفارس). |
| ٤- عبد الرزاق: | له عقب (العبد الرزاق). |
| ٥- عبد الرحمن: | له عقب (العتوية). |
| ٦- معجون: | له عقب (برجس) ليس له عقب. |

العمشات



الجتب

(١٤٢) . فولر، تاريخ العراق الحديث، ص ٤٥٥.

ورثي الشيخ صفوك بالعديد من الأبيات والقصائد الشعرية من قبل شعراء البداية، الذين تغنوا ببطولاته ومآثر جود يده، ومنها ما قلناه فيه الشاعر ردهان بن عتكا: (١٤٣)

قال الذي ما تاجر بجيله	ولا بيعه وقت الغلا بالتفليس
بيوت من طرف الغرايب نشيله	أما على الحشرات والا النواميس
ويا ونة ونيتها جنج ليله	وهنيكم يا نايمين مفاتيس
ما ونة إلي غلاين عن صميله	بالكيض وأفخت موميك المراميس
أفخت عن الوعاد ما ينثي له	وظلت تصفح به هبوب النساتيس
قالوا يأتني قلت ولا أنا مشيله	ولا ظلتني ياتي بعيد المكاتيس
أمشطر موسى يدور الغليله	ومشطر موسى يقص المنافيس
وويل جيل صفوك وطول ويله	ويلن بموس يسرت القلب تمويس
أكفى مع الجلال يومي شليله	ورد وخابر بالشريرة كوانيص
لحجوه على العبر القصيم الجميله	صافوه زعران العيون الطماميس
ليت الفجيدة بالجهامة وخيله	وخمسة من الأمار وخمس التخاميس
بمن أنت ياحرز القلوب الطويلة	الياضاعت الشوقك وصارت لواليس
من غبت عنا يا أبين لخي سبيله	غاب السعد عن نزلنا والنواميس
نرتع رتيع الصيد ونجفل جفيله	وصرنا مثل فرز المواعز بلا تيس
وبسنا السهل من عقب رأس الطويلة	ونقنا الحفى من عقب لين المداسيس
ولد اللويزي جنب الزمل شيله	النت خابر ما يفك العراتيس
إبكرك وأنا مقطعي من اغفيله	بكوت عجوزن وقفت بالماتريس
لقت ولدها طايح مع حليله	وعقب الطرب جن بدلت بالهداريس

الفصل الخامس

الشيخ الباشا

الشيخ فرحان باشا

تم إقرار الشيخ فرحان باشا بن صفوك شيخاً لمشايخ شمر من قبل العثمانيين منذ عام ١٨٤٦م، أي في حياة أبيه صفوك كما بينا سابقاً، فكان لمقتل أبيه على يد القوة العثمانية التي أرسلها نجيب باشا اثر بليغ عليه وعلى من معه من قبائل شمر، الذين كانوا معه، دون الشيخ عيادة ومن ترمد معه من شمر على سلطة الشيخ صفوك، وحفاظاً على من معه من شمر الذين هبطت معنوياتهم عند وصول خبر مصرع سلطان البر إليهم، وخوف الشيخ فرحان من عدم قدرتهم على مواجهة قبائل عنزة التي كانت تهيب لغزو كبير على شمر. عندما شعرت بالوضع الغير مستقر لشمر.

وكذلك ازدياد مخاوف الشيخ الشاب الذي كان لا يتجاوز عمره ٢٥ عاماً من السلطة العثمانية، التي كان يعلم عن خططها ووسائلها الكثير، لذا نراه يبتعد بمن معه من شمر عن مركز الدولة في بغداد، وتوجه بهم إلى الجنوب صوب الهندية عند حليف والده وادي بك بن شفلح الشلال شيخ زبيد، ومعهم وسلطان ركوبهم فقط، بعد أن بقي أولاد الشيخ صفوك الذين كانوا لا يزالون صغاراً فترة من الوقت عند بدر الكعيط من الخرصة، وتحت رعايته، فأحسن الشيخ وادي إكرامهم وأنزلهم في منازل تليق بمكانة كل منهم، وأعطاهم ما يحتاجون من زاد وأثاث.

مكث الشيخ فرحان وفرسلته عند الشيخ وادي فترة من الزمن إلى أن هدأت الأوضاع في مضارب شمر، بعد خسارتها مع الشيخ عيادة في مناخ الأحمدى مع قبائل عنزة، والذي قتل فيه الشيخ عيادة وعدد ممن كان معه من أفراد شمر، نتيجةً لانسحاب القوات الحكومية التي كانت معها كعادتها من أرض المعركة، وهذا في الحقيقة مخالف لما ذهب إليه بعض الكتاب المعتمدين على الأخبار التي تناقلها القناصل الإنكليز من أن الشيخ فرحان التجأ إلى عدوته اللودة عنزة عند مصرع المحزم.^(١)

لقد عرفت شمر صنيع الشيخ وادي معها في محتتها. فقررروا أن يردوا الجميل لشيخ زبيد، وإن يكون له فضل في أعناقهم. فاختاروا حلفان يقسمون به كحلل صدق على أعمالهم، وإكراما للشيخ وادي ولزبيد عامة، فكانوا ومازالوا يحلفون (بحياة زبيد وال منهم وادي) ^(٢)، في الوقت الذي كان فيه نجيب باشا قد أقر الشيخ عيادة على مشيخة شمر قبل مقتله وعزل الشيخ فرحان كما بينت الوثائق العثمانية.

تعهد خطي من الشيخ عيادة من مشايخ شمر على الاستيطان داخل حدود آيالة كردستان، ومعاونة الدولة العثمانية على حماية المنطقة الممتدة من الجزيرة الى حدود مدينة اورفة، مقابل توجيه مقام المشيخة له على عشيرته:

باعث تحرير المستند هو انه:

انا الشيخ عيادة من مشايخ شمر، قد اعطيت القرار التام بأنني مع عشيرتي الذين تحت يدي، اون في خدمة الدولة العلية، وأستخدم في خدمة الذوات المأمورين في محافظة تلك الأطراف، اعني بهم جناب علي باشا المقيم في ناحية (جل اغا) وجناب حسين باشا المقيم في سيروك، المأمورين من اوردوي همايون مشيري (مشير الجيش الهمايوني) حضرة المشير الأقحم ومعاونه جناب الحاج سليمان اغا المأمور من كردستان مشيري حضرة افندينا اسعد باشا المفخم.

وقد تعهدت ان اكون داخل حدود آيالة الكردستان مع عشيرتي الذين تحت يدي، ولا اخرج خارجا من داخل حدود الآيالة المذكورة، بل اكون مستخدما في محافظة الطرقات البرية والنواحي والقرى من حد الجزيرة (المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات شمالي بغداد) الى حد اورفة.

فعلی هذا القرار قد جعلوني شيخا على عشيرتي المذكورة، وإن خالفت شيا وخرجت من حدود الآيالة المذكورة، اكون متنزلا ومعزولا من المشيخة التي انا منصوب بها على عشيرتي الذين تحت يدي.

(٢). هذا الحلفان مشهور لدى شمر وخاصة عند كبار السن منهم.

وعلى هذا النوع صار القرار والرابطة، وقد اعطيت هذا السند من طرفي ومهري في ختمي، يبقى محفوظا في قلم ايالة كردستان لحين الحاجة.

حرر وجرى في ثالث يوم من شهر شوال الشريف سنة ستة وستين وماتين والف.

المقر بما فيه

الشيخ عيادة، من مشايخ شمر (٢)



رسالة الشيخ عيادة

(٢). د. سنان معروف، احوال العراق السياسية والاجتماعية خلال العهد العثماني (لندن:

١٩٩٦م) ص ٦٠، وتاريخ هذه الرسالة هو عام ١٨٥٠م.

استمر الوضع غير المستقر لشمّر حتى بداية عام ١٨٥٠م عندما أعاد نجيب باشا الاعتراف بفرحان كشيخ أكبر لمشايخ شمّر، وسحب اعترافه بالشيخ عبادة بعد مقتله، وتأكّد الوالي نجيب أن التوازن السياسي في الجزيرة لا يمكنه الاستمرار إلا إذا قاد شمّر أحد أبناء الشيخ صفوك، ويجب أن يكون هذا القائد ذا شخصية قوية وثقافة سياسية عالية، تؤهله للتعاون والتعامل بشكل أفضل مع الحكومة في بغداد والسلطات العثمانية في اسطنبول.^(٤)

ولكننا عند تحليل العلاقة بين شمّر والعثمانيين خلال العشرين سنة التالية، يتضح أن مقتل الشيخ صفوك ونجاح نجيب باشا في ذلك، لم يوفر للعثمانيين الانتصار الكامل الذي كانوا يسمعون إليه في السيطرة على أكبر تجمع قبلي في أرض الجزيرة الفراتية، بل على العكس من ذلك فإن قتل المحزم قد عمق هوة العداء بين شمّر والعثمانيين^(٥)، فطلى الرغم من موقف الزيدان ومن معهم من شمّر من الشيخ صفوك أثر حادث مقتل الشيخ نجرس، لكنهم استنكروا بشدة ارتكاب نجيب باشا فعلة الغدر بالشيخ صفوك، وقبلها البدو باستياء شديد باعتبارها تعدّ غير مسبوق وتجاوز غير مشروع لحقوق شمّر وشيخها صفوك.^(٦)

أصبح الشيخ فرحان على رأس القيادة على شمّر بشكل تام ودون منافس ذا شأن منذ العام ١٨٥٠، وهو شخصية محبوبة من قبل عموم قبائل شمّر، ذات صفات وتجارب جيدة في الحياة تجعله جديراً بالمشيخة سواء لدى الحكومة العثمانية في بغداد أو عند عشائره، فهو الابن الأكبر للشيخ صفوك من بين اولاده الستة، ومن زوجه الحضرية. وقد شارك أباه سنوات النفي في استنبول ١٨٣٥-١٨٣٨م، ويبدو أن مظاهر الأبهة والعظمة التي شاهدها هناك جعلته يعتقد أن السلطة العثمانية لا تقهر، وأحس أنه من الضروري إيجاد أسس قوية للتفاهم مع الحكومة العثمانية في العراق، والعشائر الشمرية.^(٧) والشيخ فرحان هو صاحب دين وتقوى وعبادة، وقد أطلق عليه أبناء

(٤). لوريمر، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٠٠٩.

(5). Williamson. op. cit, 49.

(6). Ibid.

(7). Ibid, p50.

نور، آل محمد، ص ١٥١

شمر (شهر البتول) لحسن طالع ودينه، لذلك نراه يقف بحزم ضد غارات السلب والنهب التي كانت تقوم بها بعض القبائل الشمرية، كما انه ممن حاول أن يحد من ظاهرة الغزو التي كانت تتحكم في حياة البلدية، كما أن الوالي نجيب باشا نفسه أيقن على الرغم من أسلوب إدارته الصعب في الحكم، الذي كان لا يتوانى فيه اتخاذ أي قرار حتى لو كان على حساب أهل ولايته، في سبيل تأكيد السيطرة العثمانية، وتطبيق تعليمات الباب العالي. أن الشيخ فرحان هو خير من يمكن التعامل معه من آل محمد الجربا^(٨)، وقد مهر الشيخ فرحان باشا في تأكيد هذا الرأي إلى أبعد الحدود، واستطاع أن يحافظ من خلال مشيخته التي امتدت من عام ١٨٤٧م إلى عام ١٨٩٠م على كيان شمر ومكثتها المميزة على أرض الجزيرة الفراتية، ويمنع كثيراً من التصرفات غير المرغوب فيها من قبل الأتراك، كي لا يقع في مواجهة غير متكافئة مع الدولة العثمانية وقواتها.



ولقد كان جيشهم منتظماً وتحركاتهم منضبطة في النزوح وفي العودة

(٨). لوريير، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٠٠٧.
٢١٧

شمر والعثمانيون ١٨٤٨ - ١٨٦٠م

استلم الشيخ فرحان مشيخة شمر في وضع لا يحسد عليه، فقد كان تمرد الشيخ عيادة قبل أن يقتل في مناخ الأحمدى وموقف الزيدان منه، ومقتل المحزم قد فكك وحدة شمر إلى حد ما. في الوقت الذي عبرت فيه عنزة غربي الفرات مع اثنين من شيوخها هما دهم بن غبين وابن هذال، واستطاع الأخير أن يشن بعض الغارات على قبائل شمر شمال الفرات، طمعا في النيل من شمر وكسرها، وهي في هذا الطرف الصعب من حل قيادتها، أملا في الاستحواذ على أراضي شمر وحماها الخصبة في ارض الجزيرة الفراتية، كما أن الوضع الحالي للشيخ فرحان (المادي) لم يكن في حال جيد، فضلا عن الفقر والتمزق الذي كانت عليه شمر بعد المجاعة التي حدثت خلال السنوات القليلة الماضية، وما خلفه قتل الشيخ نجرس وتمرد عيادة من تمزق داخل التجمع القبلي لشمر، في ظل هذه الظروف كانت قيادة هذا الفارس الشاب لشمر الذي اثبت لمن حوله انه جدير بهذه القيادة، كما أثبتت لنا المسنين التي قضاها من حياته في قيادة شمر.

كان الدخل المالي للشيخ فرحان ولشمر يتم الحصول عليه من عدة مصادر اقتصادية تمثلت في:

- ١- بيع الإبل والحياد والصوف.
- ٢- إتاوات ممن تعبر أراضيها من القوافل (الكودة).
- ٣- إتاوات بسيطة على حماية بعض المدن والقرى الصغيرة.
- ٤- غنائم الغزو.
- ٥- ما تدفعه قبيلة عقيل من مبالغ لشيوخ شمر لضمان سلامة القوافل المارة في الأراضي الشمرية (الباج).
- ٦- إتاوات الحماية التي تدفعها العشائر الواقعة تحت حماية الجربا (الخوه).

٧- المساعدات التي تصل في بعض الأحيان من الحكومة العثمانية لصمد قبائل عزة، وللحفاظ على الأمن والهدوء في ارض الجزيرة الفراتية.^(٩)

لقد تكثر هذه الموارد المادية بالأوضاع غير المستقرة التي عاشتها شمر في أواخر عهد الشيخ صفوك، وعندما تولى الشيخ فرحان نظر العثمانيون إلى تقوية هذا الرجل مادياً لكي يستطيع التعاون معهم في ضبط الجزيرة وقبائل شمر، فخصص له راتباً شهرياً يتقاضاه من ولاية بغداد قدره ٢٥٠ ليرة، وذلك في العام ١٨٥٥م، ووصف لنا الشيخ فرحان هذا الراتب بقوله: إنه لا يسد المبلغ الذي يدفعه لشراء القهوة العربية لضيوفه^(١٠)، كما تغاضى العثمانيون عن ضريبة المرور التي كان فرحان باشا يجمعها من القوافل المارة في أراضي شمر^(١١).

وإذا ما عدنا إلى الوجه الثاني في مشيخة الشيخ فرحان أوائل أعوامها، فقد ترمد أحد أبناء الشيخ محمد الفارس وهو نايف أبو انجور على سلطة ابن عمه فرحان، وأراد المشيخة لنفسه، ولكن (أبو انجور) ومن تبعه لم يشكلوا خطراً كبيراً على سلطة الشيخ فرحان وهيبته بين شمر، ومن ثم انسحب بعد مدة وجيزة وحسم هذا الخلاف وسكن الشيخ نايف ولم يعد يشكل أي تهديد لسلطة ابن عمه فرحان ومشيخته على قبائل شمر.

استطاع الشيخ فرحان أن يوحد القبائل الشمرية تحت سلطانه، ويقيم علاقات قوية بينه وبين ولاية بغداد، حتى سبحت الفرصة لاختبار قدرة هذا الشيخ في التعاون مع العثمانيين، والسيطرة على عشيرته. عندما طلب عبيد باشا قائد الفيلق السادس في بغداد وواليها عام ١٨٥٠م من الشيخ فرحان و شمر بالتوجه الى جنوب بغداد، ومساعدة القوات العثمانية في القضاء على ثورة بعض العشائر في الهندية، وما حولها من مناطق الفرات الأوسط.^(١٢)

لبي الشيخ هذه الدعوة ليبين للعثمانيين انه في تعاون تام معهم، كما أن شمر كانت بحاجة لهذه الحملة، لغنى هذه الأراضي بمواردها ومراعيها،

(٩). نول، تاريخ العراق الحديث، ص ١٥١، لوريير، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٠٠٩.

(١٠). لوريير، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٠٠٩.

(١١). نول، تاريخ العراق الحديث، ص ١٧٠.

(12). Williamson. op. cit, p55.

ولكن واقع الحال قد تغير عند وصول شمر إلى المناطق الجنوبية من بغداد، إذ أن العثمانيين لم يوفرُوا المؤن للبدو والأعلاف لحيواناتهم، كما أن الجيش العثماني لم ينظر إلى القوة الشمرية بعين الرضا، مما حدا بهذه القوة بأن تتور على الأتراك، وتهجم على مخازن الحبوب التابعة للجيش العثماني وتقوم بنهبها، فضلاً عن نشر الذعر والخوف في المناطق التي تواجدت فيها، فأصبحت طرق المواصلات غير مأمونة بين بغداد وكوت الأمانة، لذا طلب عيدي باشا من الشيخ فرحان أن يمنع إتباعه من مثل هذه الأعمال، وبالانسحاب إلى المناطق الشمالية من بغداد.⁽¹³⁾

لقد أعطت هذه التجربة في استخدام القوات البدوية غير المنظمة لمساعدة القوات العسكرية العثمانية في حملاتها درساً عسكرياً كبيراً لعديدي باشا، حيث أنه إذ ما أراد استخدام مثل هذه القوات مستقبلاً فيجب عليه أن لا يسمح لعوائل هذه القوات أن ترافقها في حملتها، ويوفر المؤن اللازمة لها لمنع حدوث التمرد على قواته.⁽¹⁴⁾

كما أوضحت هذه الحملة للشيخ فرحان أنه لا يمكنه أن يكون سوطاً بيد السلطة الحاكمة في بغداد، تستخدمه ضد الثوار من القبائل الأخرى، كما وأنه ليس ذا سيطرة تامة على من معه من شمر، فدفعه هذا إلى إعادة النظر في سياسته تجاه شمر وجعلها في قبضة سلطته بشكل أقوى، وفي وعي تام بسياسات حكام بغداد ومطالبهم منه ومن شمر، وللمعقبة الشيخ فرحان على تصرفات شمر أثناء الحملة العسكرية، فقد عزل عيدي باشا الشيخ فرحان عن المشيخة وولى مكانه الشيخ هجر العمر في شهر آب من عام ١٨٥١م، وخصص له راتباً شهرياً قدره ٢٠٠٠ قرش.⁽¹⁵⁾

كان لتعيين الشيخ هجر العمر في هذا المنصب من قبل عيدي باشا ليزيد الخلافات داخل بيت المشيخة، ويجعل الجربان يقتتلون فيما بينهم،

(13). Ibid,

لوريمر، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٠٠٩

(14). Williamson. op. cit,p55-56.

(15). T. C Basbakamlak,oMosul-Kerkuk ileilgli Arsiv BelgeleriK 1525K 1919 (Ankara: 1993) p107.

خاصة وإن الشيخ هجر متهم بقتل الشيخ نجرس الزيدان، وهذا ما حدث بالفعل إذ جد الزيدان في ملاحقة الشيخ هجر حتى استطاع نجم الزيدان من قتل الشيخ هجر العمر في نفس عام تعينه، أي ١٨٥١م^(١٦)، وقد القى العثمانيون القبض عليه وحبسوه، والشيخ هجر جواد كريم وصفه أحد الشعراء بقوله: (١٧)

جنب كريم الصيد وقت الشنين واعز هجر حيث على الكود صبار
وجدد يدك من عرض هالك الأبدن على فكار لب الأمام ببسار
والوا ثقل حملته عتب بعين يشدئ اهليب الشام شيل الأقطار
عين عسوج ما ينفضب بالودين السين من الماهود وأقطع من النار

بعد مقتل الشيخ هجر قام نامق باشا والي بغداد الجديد وأعاد الاعتراف بالشيخ فرحان على مشيخة شمر رسمياً، وفي عام ١٨٥٢م حدثت ثورة كبيرة في وسط العراق قادها وادي بك بن شفلح الشلال ضد سلطة والي بغداد الجديد نامق باشا، الذي هو الآخر طلب المساعدة من الشيخ فرحان لقمع الثورة، وقد ساندت وادي في ثورته هذه على السلطات العثمانية العديد من القبائل ومنها عزة، إذ نشروا الخراب في وسط وجنوب العراق، وهنا نرى الشيخ فرحان لم يقف ذلك الموقف الذي وقفه مع عدي باشا لعدة أسباب: لعل في مقدمتها موقف شمر الحليف لوادي الشفلح لكرمه وموقفه الذي لا ينسى من الشيخ فرحان وشمر بعد مقتل الشيخ صفوك، وثانيهما أن الشيخ فرحان لم يرغب بالاصطدام مع العشائر العربية الثائرة، وأراد ترك الأمر بين سلطات بغداد الحاكمة وبينها، كي لا يقع في المأزق القيادي الذي حدث لشمر وله عام ١٨٥٠م، لذلك لم يشارك سوى بلقي فارس قادم بنفسه، لكنه لم يدخل في منوشات جادة مع الثوار، وتمكن من إيجاد التبريرات المقنعة لسلطات بغداد عن عدم المشاركة في القتال، وعاد إلى مركزه في الشمال عند الفرحاتية التي

(16). Hormuz Rassam, Asshur and The land to Nimrod (New york (1897) p88,

لعزوي، لعراق بين الحثاليين، ج ٧، ص ٩٠-٩١.

(١٧). الخريصي، مرجع سابق، ص ٤١.

كانت قد أقطعت لوالده، ووضع العثمانيون فيها حامية عسكرية لمساعدته مع قيادات شمر التي سارت معه. (١٨)

شهدت الأعوام ١٨٥٣-١٨٥٦م تدهوراً خطيراً في سيطرة القوات العثمانية على أقاليم العراق المختلفة، نتيجة لضعف هذه القوات أمام التحركات العشائرية في العراق، وقلة عددها، لأن قسماً كبيراً من هذه القوات كان قد ذهب إلى حرب القرم التي اندلعت بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية.

وصف لنا رحلة بريطاني أوضاع شمر في العراق عام ١٨٥٣م بقوله: "إن شمر يمثلون الرعب بالنسبة للسلطات التركية، ويعيشون في البرية والقفار، والمناطق التي تبدو غير مأهولة، ولا ترغب السلطات التركية في الاستحواذ عليها، حيث ينطلقون منها في أعمال الغزو حتى يصلوا في بعض الأحيان إلى أبواب مدينة بغداد، ولما عجزت السلطات العثمانية عن صدهم فقد رضيت في الأخير أن تعطي زعيمهم فرحان باشا راتباً شهرياً، وهو ما حدث منذ العام ١٨٥٥م لكي يضمنوا ولائه، وليعمل على منع أعمال السلب والنهب التي كان يقوم بها بعض من أفراد شمر، ولكن وبالرغم من تلك الاتفاقية حصل في بعض الأحيان أعمال سلب ونهب". (١٩)

كانت هذه الأوضاع بالنسبة لشمر الفرصة الذهبية إذا ما أرادت أن تخلص العراق من السيطرة العثمانية، وربما تؤسس حكماً عربياً فيه لو أن الشيخ صفوك الجربا على قيد الحياة، ولكن واقع الحال كان غير ذلك لأن الشيخ فرحان كان على مشيخة شمر في هذه الظروف، وهو يختلف عن أبيه في حنكته السياسية، بل إنه كان لا يريد أن يدخل في مواجهة مع القوات العثمانية، كما أن شمر لم تكن متوحدة مثلما كانت عليه في عهد أبيه، في الوقت الذي ظهر فيه (أخوه أبو خوذة) الشيخ عبد الكريم الجربا منافساً له وقد تبعته عدد من قبائل شمر.

(١٨). نولر، تاريخ العراق الحديث، ص ١٧٠.

(١٩). الظاهري، مرجع سابق، ص ١٩٠.

على الرغم من هذه الظروف والأوضاع المؤاتية التي كانت أمام الشيخ فرحان. لكنه لم يستغل هذه الفرصة التاريخية لتحقيق حلم الشيخ صفوك في تخليص العراق من السيطرة العثمانية، فبقي الشيخ فرحان على علاقته مع ولاية بغداد والموصل، وحاول في بعض الأحيان أن يحاسب بعض القبائل الشمرية التي شنّت بعض الغارات، وأعاد ما سلبته إلى السلطة العثمانية والقبائل التي تعرضت للغارات^(٢١)، كما شهد العام ١٨٥٥م إطلاق سراح فارس بن عجيل السعدون شيخ المنتفك من قبل الوالي رشيد باشا الكوزلكي، فلتجاء إلى الشيخ فرحان خوفاً من ابن عمه منصور باشا السعدون، وقد رحب به الشيخ فرحان وبقي عنده مدة من الزمان^(٢٢)، وبلغ الشيخ فرحان في إكرامه والحفاوة به رغم ما بين شمر والمنتفك من خصومات. وهذه هي خصال الجربا شيوخ شمر وعاداتهم النبيلة التي سطرت لهم هذا التاريخ المجيد، يضاف إلى ذلك أن الشيخ سمير الزيدان ناصب الشيخ فرحان العداة بين الأعوام ١٨٥٨-١٨٦٢م وحاول اخذ المشيخة من الشيخ فرحان بمساعدة العثمانيين عام ١٨٦٠م ولو لفترة قصيرة لتعاد المشيخة ثانية إلى الشيخ فرحان من قبل العثمانيين^(٢٣).

يعد عام ١٨٥٦م وما بعده نقطة تحول في موقف السلطة العثمانية في العراق تجاه البدو والسيطرة على غاراتهم بشكل عام وليس شمر فقط. فبعد أن عادت القوات العثمانية من القرم: قام باشوات بغداد ومنهم رشيد باشا الكوزلكي على سبيل المثال بالحد من غارات غزاة على الفرات، وذلك من خلال تقوية الحاميات في كل من دير الزور على طريق القوافل بين بغداد و حلب، فضلا عن استخدام الزوارق النهرية المسلحة وزياتها، لحماية طرق النقل النهرية في دجلة والفرات من غارات غزاة وشمر، وكذلك إعادة تنظيم القوات النظامية بما يناسب وتطور الجيش العثماني تكنولوجيا، ففي هذه الحقبة استخدم الجيش وسيلة جديدة منذ عام ١٨٦١م والسنوات التي تلتها،

(20). Williamson, Op. cit, p. 50

(٢١). سرڪيس، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٠٣.

(٢٢). سارة شيلز، الأغنام البدو والإنتاج في الموصل، ترجمة يحيى صديق يحيى بحث

منضد (الموصل: ٢٠١٣م) ص ٦٦.

وهو البرق كوسيلة حديثة للاتصالات، مما كان له أثره في إمكانية تهيئة قوات من عدة أقاليم مجاورة في مدة قصيرة جدا للحد من غزوات البدو، أو لقن حملات عسكرية على القبائل العربية المتمردة.

إذن واجهت شمر في نهاية الخمسينيات ليس فقط عزماً أقوى للسيطرة على تحركاتها من قبل السلطة العثمانية، ولكن أيضاً تحدياً من جيش منظم يمتلك أسلحة ووسائل اتصالات متطورة تحت تصرفه^(٢٣)، في الوقت ذاته أي ما بين عامي ٥٧ و ١٨٦٠م: حاول العثمانيون من جلب ثانٍ أن لا يقعوا في احتكاك عسكري مباشر مع شمر، لاسيما والياً بغداد محمد رشيد باشا وعمر باشا على التعاقب، فقد دعا محمد رشيد باشا عام ١٨٥٧م الشيخ فرحان إلى زيارة بغداد، وناقش معه شؤون شمر وأحوالها، وعقد معه الشيخ فرحان اتفاقاً اقر فيه للشيخ فرحان مسئولاً أكبر عن شمر أمام الحكومة، وان يكون هناك تعاوناً وثيقاً بينهما لضمان الأمن والنظام وسير القوافل في إقليم الجزيرة.

لقد جند العثمانيون للشيخ فرحان ٥٠٠ فارس تدفع رواتبهم الحكومة العثمانية من شباب شمر، كثرة خاصة للشيخ، يستطيع بها أن يعالج أي اضطراب يقع في منطقة سيطرته، وان يمتنع الشيخ فرحان عن جمع الخوة والإتاوات من القوافل والقرى التي تقع ضمن حصى شمر وباقي القبائل، كما زاد رشيد باشا الراتب الشهري للشيخ فرحان لتعويضه عن النقص المادي الذي سوف يلحق به عند تنفيذ الاتفاقية.

عزز عمر باشا الذي جاء بعد محمد رشيد باشا على ولاية بغداد هذا الاتفاق. بان أضاف إلى الشيخ فرحان ٣٠٠ فارس أيضاً من شباب شمر مع معداتهم، وجعلت نفقاتهم ورواتبهم على خزانة ولاية بغداد، لتعزيز قوة الشيخ فرحان وسيطرته على الأمن والنظام في إقليم الجزيرة، ولمنع الغارات التي كانت تقوم بها بعض القبائل الشمرية على القرى والقبائل المجاورة من التي تتعاس عن دفع الخوة لها.^(٢٤)

(23). Williamson. op. cit, p60-62.

(24). Ibid, p62

عززت هذه الإجراءات من قوة التعاون بين شيخ شمر الأكبر فرحان باشا وبين السلطات العثمانية الحاكمة في بغداد والموصل، وأصبح باشا شمر منفذاً لسياسة الحكومة العثمانية في إقليم الجزيرة بشكل أو بآخر. في مجال حفظ الأمن والنظام، ومنع الملب والنهب، وسير القوافل التجارية بأمان، وعد من رجال السلطة المعتمد عليهم، مما سيكون له أثره في وضعه على رأس المشيخة لشمر في الستينيات من ذلك القرن.^(٢٥)

استمر التعاون بين الشيخ فرحان والسلطات العثمانية بعد اتفاقية عام ١٨٥٧م، إذ أنيط إليه بالإضافة إلى مسؤوليته السابقة حماية الخط البرقي الذي أنشأ عام ١٨٦١م. والممتد بين حلب وبغداد، وأخذ بالعمل منذ ربيع هذا العام^(٢٦)، وأصبح الخط الممتد من الخابور إلى نهر الزاب الأكبر المار بديار شمر ضمن مسؤولية الشيخ فرحان، وتحت نظر رجاله، وأصبحت للباشا منحة شهرية تقدر ٣٥٠ قرشاً، أي رواتب ٣٠ فارساً غير نظامي نظير حماية الشيخ لهذا الخط المار في أراضي شمر.



قوة من الجيش العثماني في الجزيرة عام ١٩١١م بعدسة مس بيل

(25). Ibid

(٢٦). د محمد عصغور سلمان، العراق في عهد محنت باشا (بغداد: ٢٠٠٧م)، ص ٤٧.
٢٢٥

العراق العثمانية (الشمرية ١٨٦٠-١٨٦٨م)

إن كل ما قام به العثمانيون في نهاية الخمسينات من اصلاحات عسكرية وتسير القوارب المسلحة في دجلة، ونظام البرق للاتصالات، وتحسين قوات بغداد النظامية، وما تم الاتفاق عليه مع الشيخ فرحان من إقرار النظام في إقليم الجزيرة. لم يكن مختبراً على ارض الواقع، إذ لم يحدث تماس مباشر بين القوات العثمانية وشمّر، في الوقت الذي لم يكن فيه الشيخ فرحان يسيطر سيطرة تامة على قبائل شمّر، لأنّ قسماً من القبائل الشمرية لم ترض عن هذه الصيغة من التعاون بين شيخها والحكومة، كما أن عادة الغزو التي مارسها البدو منذ أجيال لا يمكن وقفها. لأنها تمثل إحدى الرياضات القتالية المحببة عندهم، فهي تمثل القدرة والقوة والشجاعة التي يثبتهما الفرسان في ساحات القتال أثناء الغزوة، كما أن البدوي في طبعه لا يمكنه أن يكون تحت سلطة الحكومة وقواتها، وهو الذي قضى حياته كلها في الفلاة حراً، لا يحد سلطته وحركته إلا عرف قبلي، ورجل شجاع يقوده نحو الأفضل في حياته الصحراوية، هو شيخ القبيلة، كما أن الغزو كان يمثل مورداً اقتصادياً هاماً للبدوي يعمل بشكل أو بآخر من خلال الغنائم التي يتم الحصول عليها على إدامة الحياة في مثل هذه الظروف القاسية.

وفي ذات الوقت واجه الشيخ فرحان قوة شابة قوية من داخل بيته اخذ نجمها يعلو هو أخوه الشيخ عبد الكريم، الذي لم يرض لأخيه أن تكون له هذه العلاقة مع السلطة العثمانية التي قتلت أباهما صفوك، فكان في نقاش دائم واعتراض على سياسة الشيخ فرحان مع العثمانيين، كل هذه العناصر والأسباب كانت ذات طابع هش سوف تظهر نتائجها عند أول احتكاك مباشر بين سلطة بغداد والشيخ فرحان وشمّر.

هذا ما حدث بالفعل عند تولي نامق باشا ولاية بغداد عام ١٨٦٠م، وفي العام التالي أي ١٨٦١م حدث العارض الذي اختبرت العلاقات العثمانية الشمرية فيه، عندما طلب متصرف كركوك من الشيخ فرحان وعبد الكريم

بمن معهما من شمر مساعدته ضد تمرد قبيلة العبيد التي كانت لها عداوة قديمة مع شمر، سارع الشيخ فرحان بقواته نحو كركوك، ولكن العبيد عندما علموا بقدوم شمر سارعوا بقبول الصلح بالشروط التي اقراها عليهم حاكم كركوك. لكن الحل لم ينته عند هذا الحد لأن الشيخ فرحان طلب من قبيلة الثابت التي كانت قد التجأت إلى العبيد بعد خلاف حدث بينها وبين باقي قبائل شمر، العودة إلى مضارب شمر، لكن رئيسها رفض ذلك. فقاد الشيخ عبد الكريم القوات الشمرية نحو الثابت التي احتشدت للمعركة التي قتل فيها رئيسها خليف الحذب، قامت الثابت على اثر ذلك بعبور نهر دجلة وأخذت بنهب القرى بين الموصل وبغداد، وأسفرت أعمالها عن نهب أكثر من ٣٠ قرية في عام ١٨٦٢ م. (٢٧)

كانت هذه الحرب الشمرية الداخلية الحجة والذريعة التي كان يبحث عنها نامق باشا والي بغداد، ليفرض سلطانه السياسي والعسكري الكامل على شمر، فما أن وقعت هذه الأحداث حتى باشر والي بغداد في جمع قوات الجيش النظامي من بغداد والموصل واورفة والمناطق الأخرى، فضلاً عن قوات غير نظامية من قبائل العبيد والزبيد والمنفك، وانطلقت الحملة نحو ديار شمر من الموصل في آذار عام ١٨٦٢م، تحت قيادة كل من تقي الدين باشا، وشبلي باشا، وموفق باشا مع مجموعة من القوات تقدر بـ ١٦ ألف مقاتل. كان هدفها الأساس هو أجلاء شمر قاطبة عن ارض الجزيرة الفراتية. (٢٨)

لم تكن شمر تحت قيادة الشيخ فرحان وأخيه عبد الكريم غريبة العهد عن مثل هذه الحملات الضخمة، فتبعت شمر تكتيكاً عسكرياً بالانسحاب نحو الشمال باتجاه السهول الواقعة غرب وشمال غرب نهر الخبور، وذلك لعدم الاصطدام بقوات منظمة ومسلحة تسليحاً جيداً، بل عملت على اتعاب هذا الحشد من القوات الثقيلة الحركة، في حين تتمتع القوات الشمرية بسرعة الحركة وخفة الأحمال، ولجعل هذه القوات تعتي من حرارة الطقس في مثل هذه الأراضي التي التجأت إليها شمر، وهو بالفعل ما حدث. حيث أن هذه

(27). (Williamson. op. cit, p62-63.

(28). Ibid, p63.

القوات لم تستطع أن تتحمل هذا المسير الطويل، ولا حرارة المناخ في مثل هذه الأراضي، فضلاً عن الخلافات التي أخذت تظهر بين قادة الحملة الثلاثة، الذين أخذ كل واحد منهم يبحث له عن نصر لنفسه على حساب الآخرين، مما آل بالحملة في النهاية إلى الفشل والخذلان، وعادت القوات إلى تكتلاتها دونما تحقيق أي نصر على شمر.

أثبتت هذه الحملة طبيعة العلاقة الهشة بين السلطة العثمانية وشمر بقائدها الشيخ فرحان، كما وأثبتت الحملة أن التطورات التكنولوجية التي أدخلتها الدولة العثمانية على قواتها ومواصلاتها كي تسهل عليها السيطرة على العشائر المتمردة لم تنفع مع شمر. (29)

لم يكن فشل الحملة العثمانية نصراً كبيراً لشمر، لأن الشيخ فرحان ومعه رؤساء عشائره شعروا بأن الدولة العثمانية ركزت اهتمامها بشكل مباشر على شمر، وأن هذه الحملة كانت جادة في محاولة إخراج شمر عن أرض الجزيرة الفراتية، فكان من الأسلم لشمر أن تدخل في مفاوضات سلام مع العثمانيين، خاصة وأن شمر في هذا الإقليم عانت من حرارة الصيف ونقص الحبوب، لأن والي بغداد نامق باشا كان قد سد على رجال شمر المنافذ إلى المدن الكبيرة للتسوق وشراء الحبوب، فقرر الشيخ فرحان أن يرسل مندوباً عنه إلى نامق باشا لغرض التفاوض في حل الخلاف بين ولاية بغداد وشمر، فذهب الشيخ سميح الفهد المطلك مفاوضاً عن شمر، وعقدت مباحثات ومناقشات في بغداد بينه وبين نامق باشا. كان من نتائجها أن سافر الشيخ فرحان بنفسه إلى بغداد في نفس العام وعقد اتفاقاً كان باهض التكاليف على شمر، إذ طلب والي بغداد غرامة تقدر بـ ٥٠ ألف رأس غنم و ٣ آلاف جمل و ٢٠٠ رأس من الخيل لعقد السلام بين الطرفين. (30)

إن هذه الاتفاقية لم ترق للشيخ عبد الكريم ولكثير من رؤساء شمر، إذ اعتبروها ابتزازاً من قبل الحكومة، وانتقاصاً من هبة شمر ورجالها، فلم

(29). Ibid, p66.

(30). Ibid, p67

لعزوي، لفرق بين احتلالين، ج ٦، ص ١٤٠-١٤١.

يستطع الشيخ فرحان حتى نيسان من عام ١٨٦٣م أن يجمع إلا ٣٣٥٠ رأس غنم و١٩٣١ جملًا.

لقد كانت الأعوام ما بين ١٨٦٣-١٨٦٨م سنوات مائدة بالنسبة لشمر. سوى ما كان يشكله الشيخ عبد الكريم وبعض العشائر التي معه من قوة معارضة داخلية، والغزوات التي حدثت بين شمر وعزة ما بين الأعوام ١٨٦٥ و١٨٦٨م في الأراضي الواقعة غرب بغداد، التي كانت الغلبة فيها لشمر. (٣١)



البريد الخارج من الموصل في بدايات القرن العشرين

(31). Williamson, Op. cit.

الشيخ عبد الكريم الجربا

أن الحديث عن الشيخ عبد الكريم الجربا وبطولاته ومآثره عند البدو أضحى في أيامنا هذه كمن يتحدث عن الزير سالم، وعنترة بن شداد، وأبي زيد الهلالي، بحيث اتخذ هذا الفارس المحمدي النجيب مكانة له بين هؤلاء الأبطال الملحميين في التراث الشعبي البدوي، وحيزا واسعا في أشعارهم^(٣٢)، وأضحى (أبو الجود)، و(أبو خوذة) عند بدو نجد وبادية العراق في عصرنا الراهن. مثالا للرجل الجواد، الشجاع، الكريم، حامي الحمى الذي لا يسكت عن ظلم، وينصر المستغيث والملهوف، يرعى حق الجار، وصاحب الكرم العربي الأصل، فأصبح بحق مثلاً يقتدى وقدوة عند البدو في نجد وبادية العراق.

عبد الكريم هذا هو الشيخ عبد الكريم بن الشيخ صفوك المحزم، واخو الشيخ فرحان من أبيه، لأن أم الشيخ فرحان حضرية شميرية الأصل. فهي الشیخة لطيفة بنت عبد الله بن نايف بن عبد الله بن محمد الملقب بالكود، من آل رمل^(٣٣)، بغدادية الموطن، وأما من المشاهدة القريبة من كاظمية بغداد، وهنا نود أن نشير إلى رواية ذكرها العزاوي في كتابه عشائر العراق، أن الشيخ فرحان زار أهل المشاهدة وملك أهلها لماذا لا يمارسوا الغزو؟ فأجابه أهلها أنهم لا يعرفون الغزو، فقال لهم: اغزوا الأضعف منكم، وهذه الرواية ضعيفة لأن أهل هذه المنطقة من السادة، وهم أحوال والدته، والشيخ فرحان ممن لا يحبون الغزو، فلا يمكن أن يتكلم معهم الشيخ فرحان بهذا الأسلوب.

(٣٤)

(٣٢). بلنت، قبائل فرات، ص ٢٩١.

(٣٣). الشيخ حروش سالم عبدالعزيز الجربا، شمر وقبائلها، مخطوط بخط مؤلفه ونسخته

لديه، ص ٦٢، لطلع عليه الباحث في حياة مؤلفه.

(٣٤). لعزاوي، عشائر العراق، ج ١، ص ٤٥.

أما الشيخ عبد الكريم الجربا فأمه الشبيخة عمشة الحسين بنت حسين العبد الله العساف شيخ طي العراق وأميرها، تربت على حب الصحراء وحياتها، وطباع البادية^(٣٥)، كان الشيخ صفوك قد تزوجها في الثلاثينات من القرن التاسع عشر، بعد أن خطبها من أبيها وعقد قرانه عليها، وأمتع بعد ذلك شيخ طي من تزويج عمشة لصفوك، لكن شاء القدر أن تكون هذه المرأة النجبية لهذا الرجل الكريم. إذ رسم القدر خطة ووقع ابن أمير طي أسيرا وهو في رحلة صيد بيد بعض أفراد شمر، فجاءوا به إلى الشيخ صفوك وقلوا له: قد جاءت عمشة الحسين، فقال كيف: قالوا: لا نرد هذا الفارس إلى أبيه حتى تزف عمشة إليك، وأرسل بذلك إلى أمير طي، فزفت عمشة الحسين إلى الشيخ صفوك مع خدمها وأحملها معززة مكرمة، ورد الفتى إلى أهله معززا مكرما.

ونحن إذ نذكر هذه القصة نود أن نصيح ما ذكره د. عبد العزيز نوار في بحثه حينما يذكر أن الشيخ صفوك تزوج عمشة غصباً^(٣٦)، وهذا في الحقيقة ليس من طباع المحزم. وهذه هي قصة زواجه من الشبيخة عمشة أم الشيخ عبد الكريم الجربا، التي أصبحت بما تحمل من أخلاق بدوية عليية، وذكاء عربي أصيل. سيدة البيت الأولى عند الشيخ صفوك بين نسائه^(٣٧).

وثمة سبب آخر جعل أمير طي يوافق على تزويج الشبيخة عمشة من المحزم هو: أن يحفظ لطي مكائنها بمصاهرة الجربا شيوخ شمر، كي يعفو طي من الخوة التي كانت القبائل تدفعها لشمر، وهو ما حدث بالفعل بعد زواج الشبيخة عمشة من الشيخ صفوك، الذي حفظ لها مكانة خاصة عنده ولدى عموم شمر، ولقد ذاع صيتها بين قبائل البادية، واستطاعت الشبيخة عمشة لحسين أن تكتب لها تأريخا حافلا مع ابنها عبد الكريم وفارس^(٣٨).

كان مولد الشيخ عبد الكريم في حدود عام ١٨٣٥م، ونشأ في كنف المحزم مع باقي أخوته، وعند مقتل المحزم عام ١٨٤٧م كان الشيخ عبد

(٣٥). نول، تاريخ العراق، ص ٤٧٢.

(٣٦). العلوي، عشائر العراق، ج ١، ص. ٤٥.

(٣٧). نول، تاريخ العراق، ص ٤٧٢.

(٣٨). زكريا، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٣٨.

الكريم في بداية شبابه، ولم يرض عن الموقف الذي اتخذته الباشا فرحان من مقتل أبيه، والموقف السياسي الحكيم الذي تعامل به مع العثمانيين، فبقي الشيخ عبد الكريم يكن العداوة والبغضاء للقوات العثمانية، ولكل ما هو تركي، ثم أخذ بالتصدي لبعض القرارات التي كان الشيخ فرحان يتخذها ضمن محاولاته لمسايسة السلطة العثمانية، لأجل الحفاظ على شمر وأرضها وقوتها، ومكلفتها المميزة بين القبائل الأخرى في هذا الإقليم، وأصبح الشيخ عبد الكريم في الخمسينات من القرن التاسع عشر قوة بمن معه من شمر لا يستهان بها، لها كلمتها في ديوان الباشا، لتبرز هذه القوة بشكل جلي بعد فشل الحملة العثمانية على شمر عام ١٨٦٢م، إذ نراه يقف موقفاً حاسماً في وجه الشيخ فرحان، فرفض تقديم التعويضات إلى السلطة العثمانية، وساندته في هذا الأمر بعض قبائل شمر، وأخذ في الثأر لمقتل أبيه ولكل ما لحق شمر من أذى على أيدي العثمانيين، فقام بحركة عصيان مسلح على السلطة العثمانية، متعرضاً للقوات ومخافرها المنتشرة على أطراف الصحراء، من جنوب تركيا الحالية إلى جنوب بغداد. في انتفاضة استمرت حوالي سنتين وصلت نروتها عام ١٨٧١م، وكنت شديدة الوطأة على السلطة العثمانية في اسطنبول وبغداد، وكلفت الدولة العثمانية مبلغ هائلة، وأعداداً كبيرة من الرجال، لصد هذا الفارس الشمري الشجاع.



من مائرا الشيخ عبد الكريم (عجرا)

أشارت لنا بعض المصادر إلى الدمار الذي ألحقه الشيخ عبد الكريم (ابو خوذة) بالقرى والمخافر التركية الواقعة في الأطراف الشرقية للجزيرة الفراتية، شمال الموصل إلى جنوب بغداد قد قارب ٤٠٠ قرية ومخفر. (٣٩) أثناء ثورته التي ستحدث عنها فيما بعد، وقد حاول العثمانيون بثتى الطرق استمالة الشيخ عبد الكريم، وأرسلوا له الوفود ثلو الوفود. دونما رد ايجابي من قبل هذا الفارس الشجاع، الذي شبهته الرحلة الليدي أن بلنت بشخصية صلاح الدين الأيوبي، (٤٠)، بل على العكس من ذلك كان الشيخ عبد الكريم لا يتورع عن إهانة هؤلاء المنذوبين، وتوجيه الكلام القاسي لهم (٤١)، وإظهارهم بمظهر المحتل الذي لا يمت إلى العروبة والبدواة بصلّة.

وهناك حادثة لأحد المبعوثين الأتراك الذي جاء إلى الشيخ عبد الكريم، فأعجب بأحد خيول الشيخ، وطلب منه أن يعطيه إياه، وهو من السلالات الأصيلة فنرى الشيخ يرفض أن يقدم له هذه الفرس (الكحيلة) ورد عليه بقصيدة هي بحق من روائع قصائد الفرسان هذه أبياتها: (٤٢)



(39). Lady Anne Blunt, Edouin Tribes of the uphrates (london (1878) vol. 2. p 124-125.

(40). Ibid.

(41). Ibid.

(٤٢). من التراث الشعري الشمرى.

تطلب عذاب مشاتلات الصروع
أقصر أخطايا والسبايا حمايا
بين الكمين وبين تالي المغيرة
الله يفكها من عطوب الهوايا
ولا تفاختن يا بيه ولو ربع ليلة
أبوي عليها جدعة للظنايا
ولا الباميا يا بيه بوسط الكون
طلابها يابيه مائلو عنايا
نجوم تقطع لون عاليها سماها
ولا هممني يابيه كثر المطامع
أصير مثل الحبس خلف الزنايا
واليا اخفتن موميك العلوكي
بخودي عليها جن لود الرعايا
بحذية قصص لب القواطى
أوردها يابيه حوض المنايا
من كثر ما الفخت ولفن عن وليفة
والخيل بشنقى العجمان ترفة
بيومن على الويلان نلخذ رعايا
يعد أنا أمير سبع البوايا
أمار كل حملن علينا خريف
واليا جاء الرضا حنا كبار العطيا

نزيت لي يابيه خطن يروع
أبغي اليا ما ضبيضن الفزوع
بزود عمري قصرتة بالجليلة
يابيه جنبها ردة المستكيرة
يابيه والله ماتسوك الكحيلة
أبي اليا حدرن مع طويلة
يابيه ما هي شلغم بالصحون
هذه كحيلة مثل عنز البدون
أنا لذكر والله يوم تقلب حذاها
يابيه ما أعطي بها ولا أبيع
أبي اليا من جلعن بالمدايع
يابيه مخطي كيف تطلب سبوقي
أبي إن جان السعد صار فوقى
يابيه ما هي قيمرن بالبواطي
أبي اليا جو رفوف السواطي
يابيه أنا مطلوب وهي طريفة
يابيه ورخم الطواوير كفت
ابغن عليها قطنتن للحماي
ما هو أنا يابيه تطلب جواي
قبلك حاربنا الخالدي والشريف
عند الزعل ما نعطي عدال الرغيف

في حين نرى الشيخ عبد الكريم الجريا وكما أوردت أن بلنت أنه في إحدى معاركه مع الفدعان من عنزة التقى بجدعان بن مهيد شيخ الفدعان، رفيق الصبا والخصم فيما بعد ^(٤٣)، والشيخ جدعان هو ابن خالة الشيخ عبد الكريم، مع ٥٠ من الخيالة وقت الغروب، ومن عادة البدو أن لا يكون بينهم

(٤٣). بلنت، قبائل ثورات، ص ٣٤١.

قتل في الليل، بقي الشيخ جدعان بن مهيد مع فرساته في انتظار الصباح ليخوض معركة خاسرة مع شمر والشيخ عبد الكريم، وفي الليل جاء إلى الشيخ جدعان فارس ركباً فارساً أبيض سبوق. من أفضل خيول شمر، ومعه رسالة من الشيخ عبد الكريم يقول له فيها: انه أهدى إليه فرسه هذه كي ينسحب عليها، لأنه لا يريد أن يقع الشيخ جدعان في الأسر إكراماً له ولمكائته، وفي الصباح قتل الشيخ جدعان على هذه الفرس البيضاء ثم انسحب عليها وغاب عن وجه الشيخ عبد الكريم، ولم يقع في أسره، ووقع من معه في قبضة الشيخ عبد الكريم. ثم أطلق مراحهم إكراماً للشيخ جدعان. (٤٤)

وهذه الشهامة والأخلاق العربية الأصيلة ليست إلا النزر القليل مما يروى عن أبو خوزة. الذي جاءت هذه التسمية لكرمه وجوده الموصوف به، والذي تغنى به الشعراء وأطلقوا في وصفه، ومما قلوه في الشيخ عبد الكريم وكرمه: ما قصد فيه الشاعر خلف أبو ازويد، وهو من آل رخيص من شمر فقال:

عبد الكريم الله على النفس بداه	رقا سنام بالمجد ماله لطيم
يمشي بثوب العز والرب مشاه	عطوه من الذي راضين به رحيم
من جبة حوا لازم لليوم لاقاه	ماشفت مثله بالوالد كـريم
بالفعل مشكور ساطرين بيمناه	معد للـجود وبالسياسة فهميم
يدوس خبات المدارس بمثلاه	خواص خبات المدارس عزيم
نفل بقول خوزه للي تنصاه	عليه من تلحين موسى الكلـيم
وقبل يقولن حبسهن بالملاكاه	فجحان ألي يعوقن للجـريم
أن نلولسه مـاتونى بـممشاه	لـرز الوغا نقاض ذات الخصـيم
عبد الكريم إل جلال عطايـاه	يعطي لرجاب ومحضات الـرهيم
شهدونه الحكام والتـرك حمـاه	الـومازالـك بصـيص وحـكيم (٤٥)

(44). Blunt. op. cit, p 125.

(٤٥). من التراث الشعري الشمرى.

وقصد الشاعر فجحان الفراوي المطيري في آل محمد وبالشيوخ عبد الكريم:

لُحِنتُ لِي مِنْ بَيْنِ الْاِثْنَيْنِ سَجَه	مَلِينَ ابْنِ بَنْدَرٍ وَوَلَدَ الْاِمَامِ
مِنْ عَقَبِهِمْ نَلَخْتُ عَلَى الْهَجْنِ هَجَه	لِاِيَارِ سَمِجِينِ الْوَجِيهَةِ الْكِرَامِ
لَمَشَاهِدِ الْجُرْبَانِ فَرَضَ وَجَهَه	مِمَّا هَمَّ بِنَسَائِ الشَّعْرِ وَالْخِيَامِ
لَمَّا الْكُرْمِ مَافِيهِ صَجَه وَلَجَه	وَمُحَمَّدٍ يَغَالِظُهُمْ جَنُوبٍ وَشَامِ
مَنْصَبِي هُوَ مَنَفَايَ يَوْمِ اتُوجَه	عَبْدَ الْكَرِيمِ الْاَلْبَيْتِ غَايَةِ مَرَامِي
كَمْ وَاحِدٍ جَاءَ مِنْ بَعْدِي بِسَجَه	يَبْسِي يَشْهَوُكَ يَا بَعِيدَ الْعِلَامِ
وَكَمْ مَرَّةٍ خَلَى عَلَى الضَّدِّ عَجَه	بِنَمْرَأٍ يَجْرُهُ مِثْلُ لَوْنِ التَّهَامِ
تَلَقَّى بِقَلْبِهِ الَّذِي يَعْابِيهِ رَجَه	مِمَّنْ خُوفَتُهُ يَحْرُمُ عَلَيْهِ الْمُنَامِ
وَشَسْلَفًا تَوْسَعُ بِالْاَبْهَامِ مَفْجَه	وَرَحْبِ السَّيُوفِ الَّذِي تَقْصُ الْعِظَامِ
عَلَى مَهَارٍ يَرْعَبُ الْقَلْبَ عَجَه	فَرَسَانِ يَكْدُونُ الْعَدُوَّ بِالزَّحَامِ
أَخْرَ كَلَامِي لِبُؤْسِ خُوْذَةِ مَوْجَه	شَطَّ الْفِرَاتِ إِلَى حَدِّكَ الضَّوَامِ
يَا وَاللَّهِ الْمَقْدِيرُ نَجَه	حَيْثُنْ كَرِيمٌ وَمِنْ مَوَارِثِ كِرَامِ ^(٤٦)

وللفراوي في الشيخ عبد الكريم ايضاً:

عَبْدَ الْكَرِيمِ الْيَا رَكِبَ يَعْزُوبِهِ	لَا كُنْ رَجُلُهُ عِنْدَ الْاَقْفَا عَابِيهِ
جَدُّهُ مِنْ اُمِّهِ مِنْ مَوَارِثِ حَاتِمِ	وَابْنُهُ شَيْلَالُ الْحَمُولِ الْنَوَابِيهِ
حَلَمِي الرَّمَكِ مَعْطِي الرَّمَكِ	لَهُ هِدَّةٌ تَكْثُرُ بِهَا الْجَنَابِيهِ
لَوْ يَقْضِبُ الْيَا قُوتُ مَا عِيَا بِهِ	تَلَقَّى الْاِنْدَى بَيْنَ الْحَجَالِجِينَ رَابِيهِ ^(٤٧)

وقصد الشليمي الضفيري في الشيخ عبد الكريم الجربا طالباً إبلا له
كانت أخذت من قبل شمر. فردها اليه ابو الجود وأكرمه قائلاً: ^(٤٨)

(٤٦). نفسه.

(٤٧). نفسه.

(٤٨). نفسه.

ياراكب من فوق حثك الأوبار
 حمرن ركب بظهورهن كل مغوار
 مثل القطا عن واهج الكيض عيار
 حيلن زها بظهورهن دشن الأكوار
 ومدن من الدابير على شبة النار
 أرقب رقيبتهن بطراف سنجار
 شاف بيوتن كاتهن زومة الطار
 واليا ازبن ببيوتهم ماله الثار
 ياما عطوا من ساجن كز قنطار
 ترثت لصفوك الي تعرفه بالأنكار
 اننى بالأننى كان للربيع تختار
 يرجع لنا شكى بأول الذود معطار
 شواي سيف الهند بي موقد النار
 يردده ألي للطواوير كسار
 ماظاع بالجازات عمسين الانشوار
 نفسه خفيفة مامشى لرب الأنكار
 الله يبيض وجهكم عد ما صار
 فج انحور اليا انتوى كل ناوي
 عيرات من هز المطارج سعاوي
 اليلجن ينهش من قفاهن ضراوي
 متنحرات اديار عطرها الهاوي
 والعصر بالمرفوع عشر نضاوي
 تطلع الجربان بهكا الحراوي
 اكبار صحن امزبنين الجلاوي
 محدد عليه من المعافين قاي
 وياما اغتنى بسبيلهم من فداوي
 ياما تمنى قاربهم من خلاوي
 عبد الكريم اليا بلك البلاوي
 تشوش اليا سمعت ندية النداي
 من الزوجه بوسط البير داوي
 جان الشليمي للبويزة رجاوي
 رد السلف هو والجهامة خلاوي
 حرن غلب عشه بحقن قصاوي
 أبيض من قطن العفر عند راوي



وقال فيه الشاعر ردهان ابن عنكا: (٤٩)

ياراكبين موميات السفايف حمير وتكل جاسين ذرعانهم خام
متحيلات عقب مامن عصايف سودن الربع عام بأثر عام
بيدي كلامن من دعاغي طرايف من راس عون صاييه غش وهيام
يلفن على عبد الكريم ابو نايف ياعل عزه دايم لب الأكام
يشيخ يالي للمحرم خلايف يشبه زملوق الثريا إلوا زام
يالولب الحكام وفلي الكلايف لولا عليك من المثاليم مثلام
بصغات راسك يم راعي غرايف لأقاعين عزك براسه ولا أقام
حطاط قسيح بالقلوب النظايف عجلن على نقل المشاخي ميام
وعسكركم الهي ما يدور العلايف حكن لكم من نور فارس وزكام
أنشوف غرب زملهم منكم خايف وش علمكم يمدلهة كل مرزام
ثلاث جموع عايزت الوصايف متجرين ديار جدعان وإدهام
ماكن تراها ماتفريد الحسايف ألي بفوت البارحة جنبه العام
وأفطن الكسرن ما تضبه سنايف كسر كبير ولا يواليه حزام

ومما قاله الشاعر عيد الزوميلي في الشيخ عبدالكريم الجربا حينما جاءه الخبر وهو في مضارب عزة ب وفاة أبو خوذة، ثم تبين له أن الخبر غير صحيح فقتشد: (٥٠)



(٤٩). نفسه.

(٥٠). نفسه.

علمن لفاتي مقدم الراس شابي
 أدوي دوي الذيب ولحد نرى بي
 ولعمي جما السيل تحدر مع سحابي
 قلوا غدا معطي الفرس وعذابي
 نشئت ايكار درهمن بالجنابي
 وسأنت أمهارة جرين بالحزامي
 اليلما لفي راعي الكعود الذياب
 ونشنته بمفتاح بابيه وبابي
 لو هو صحيح كان بان الخرابي
 ولمسى الضحي نظيت أنا راس نابي
 وطالعت أنا بيتن طايغن بالسراب
 منوة سفيح الزاد وكث الغرابي
 أمير حلوين المحازم لأبائي
 عجد قومن اليا ومر بالذهابي
 ما سرحوا للحمض طوال الرقابي
 من ضرب حر اليا عدا ما بهابي
 جم خفرة شققت جريد الثياب
 شيخ وبعض المشايخ أنصابي
 أحسن منه قلبني يتكارش ربيعة
 من واهج بالكبد مثل الخليفة
 مع بارج مثل المشاعل لميعه
 ياعين بلي ما يبطل دميعة
 قلن أكذب وحكي العرب لا تطيعه
 وقالوا غدية من المباعرض شبيعة
 جراب شخايل العلوم الوجيعه
 قال أرجهن ما طب كبده فجيعة
 وحتى القمر والشمس يكسف شبيعة
 رجم الحصى بديار غالي المبيعة
 مع أيمن البستان غربي منيعه
 راعيه قطاع الفجوج الوسيعه
 اللي لهم كل القبايل مطيعه
 لفي التندر لمار بشمر جميعه
 ويصيح راعي المال كبده وجيعه
 مضراب كفه بالحباري شبيعة
 صاحت عليه وراح عنها جفيعه
 معطي يعايب المهار المنيعه

ولعل علاقة الشيخ عبد الكريم الجربا بأحد الشعراء المشهورين من
 عنزة، (محدى الهيداني) دليل آخر على متأثر هذا الشيخ في الكرم والجود
 وحسن الضيافة، إذ أن هذا الشاعر كان قد ترك الفدعان وشيخها جدعان بن
 مهيد. والتجأ إلى الشيخ عبد الكريم، بعد أن وصف سبب التجائه عند أبو خوذة
 بلديات من الشعر قل فيها: (٥١)

(٥١). السديري، أبطال من الصحراء (الرياض: ١٩٧٨م)، ص ٢٢٥-٢٢٦.

يا لله يا خلاق صريح بثر ليل
تفزع لمضهود وطاراسه الشيل
يادارنا عفناك من زايد الميل
يادار يادار الخطا والتهاويل
يادار ما يسكن بك إلا قوي حويل
يادار ما يسكن بك إلا قوي حويل
يا ربنا يا نوبنا المحاويل
سموا وطبعوني على الزمل ونشيل
للسيخ نطاح الوجبه المقاييل
الدار دار وكل دار بها كليل

ومما يروى عن محدي الهيداني والشيخ عبد الكريم، أن الشاعر محدي
كان جالساً ذات يوم في مضيف الشيخ عبد الكريم، وأهدي لأبو خوزة جواداً
عربياً أصيلاً، فقام الشيخ عبد الكريم بإهدائه إلى الشاعر محدي الهيداني،
وكان هذا الجواد من خيرة الخيول العربية، فقام أحد الحاضرين من شمر
وسأل محدي الهيداني قائلاً: أسألك بالله يا محدي أن تخبرني أيأ من عبد
الكريم الجربا جدعان بن مهيد أحب إلى نفسك. فقال محدي الهيداني: ويحك
لا تسألني بالله عليك، ولكن الشمري ألح في سؤاله والحاضرون والشيخ عبد
الكريم جلوس، فرد محدي في جوابه للسائل أن (غليون) جدعان بن مهيد
عندما ينفث منه الدخان، ويعطيني لأخذه وامزه يساوي عندي كل ما أعطاني
إياه الشيخ عبد الكريم الجربا.

عندما سمع الشيخ عبد الكريم هذا ثارت ثلوثه على الشمري، وطرده
من ديار شمر، واقسم أن رآه في ديار شمر ليفصل رأسه عن جسده، ثم التفت
إلى ضيفه محدي الهيداني وشكره على حفظه لكرامة أهله وشيوخه وقال: لو
أنك قلت غير ذلك لاستهجنتك، وطلب من رجاله أن يعطوا محدي خمس
عشرة ناقة من الإبل الموضح (البيض) تقديراً له^(٥٢)، وهذه بعض مآثر
وأعطيات هذا الشيخ الشمري الشجاع.

كان الشاعر محدى الهداني في غزوة مع الشيخ عبد الكريم على
القدعان، فتذكر أهله ودياره وهو لاجيء عند أبو خوذ، فقال هذه الأبيات
الواجدة، وفيها يمدح الشيخ عبد الكريم الجربا: (٥٣)

يأدار وين إلي بك العام كالיום وما جن مرك عقب خيري أنجوعي
خالجا بك بس ينعي بك اليوم ما كن وقف بك من الناس دوعي
شفت الرسوم وصار بالقلب مثوم وهلت من العبره غرايب لموعي
وين الجهم إلي بك العام مردوم وضعون مع جدوة سلفهم تزوعي
أهل الرباع مزينة كل مضويوم وأهل الرماح مظافرين الدوعي
راحوا لنا عدوان وحنا لهم قوم ولا ظنتني عقب التفريق رجوعي
وان صاح صياح من الضمد مزحوم تجوك نقات السبابا فزوعي
يرجب عليهن بالقا كل شغوم فريس والله ما تهاب الجموعي
خيالهم ينطخ من الخيل حثوم يوم الأسنة بالنشامي شروعي
ياشيخ أنا عندك معزز ومحشوم ويمضي علي الحول كنه أسبوعي
ياشيخ قلبي بالوفى صار ماسوم لربعي ولا أنا ياشيخ منهم جزوعي
وعيني لشوف الحيف ما قبل النوم والقلب يجزع بين هدف الضلوعي
وياشيخ أنا أوصفك بامفني القوم بالصاطي القطاع وحسن الطبعوعي
حلياك حر يفتي الصيد منحوم متفهج الجنحان حر كطلوعي
حر علم بالصيد من غير تعلم يسودع بدايد الريش شت مزوعي (٥٤)

وبعد سماع الشيخ عبد الكريم هذه الأبيات من الشاعر محدى، عدل عن
غزو عنزة إكراما لصديقه الشاعر محدى الهداني.

ومما يروى عن علاقة الشاعر محدى الهداني بالشيخ عبد الكريم. انه
في ذات يوم كان الشيخ عبد الكريم في غزوة من غزواته على عنزة أهل
محدى الذي كان يرافقه فيها، وأثناء سيرهم جاء الشيخ عبد الكريم اليشير
بولادة مولود له، فقال من كان مع الشيخ عبد الكريم للبشير: اذهب وبشر

(٥٣). نفسه، ص ٢٢٩-٢٣١.

(٥٤). من التراث الشعري الشمري.

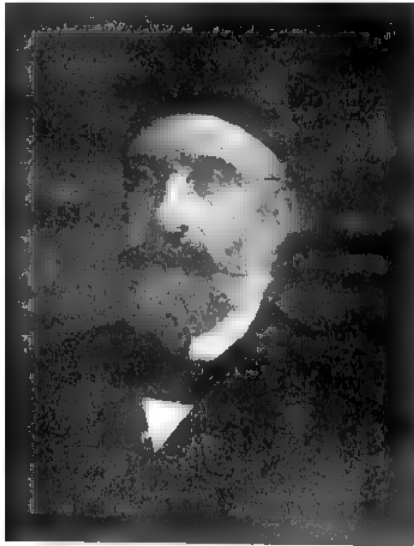
محدى الهمدانى صديق الشيخ، فجاء البشير إليه وبشره. فرد عليه محدى: لا بشرك الله، واسأل الله أن المولود الذى بشرتني به لا يبلغ سن الفطام، فقال له البشير: ويحك لماذا تقول هذا في ابن الشيخ عبد الكريم، فقال: أقول ذلك لأنني أخشى أن يترعرع هذا الطفل وينمو، وتكتمل رجولته، ثم يكون مثل أبيه فيقتضي على البقية الباقية من عزة، فضحك القوم من كلام الشاعر محدى الهمدانى، وعندما سمع الشيخ عبد الكريم كلام محدى قال: ما يقوله محدى مقبول عندي. (٥٥)

إن لفظة (خوذة) قد جاءت الشيخ عبد الكريم من موقف كريم له، إذ أنه في إحدى الليالي وبينما كان الشيخ عبد الكريم نائماً في فراشه، أحس بأن أحداً ما يتحرك حول مضيقه، فخرج ورأى أحد الشمامرة يسير نحو قبائل عزة للحواف (للسرقة)، فناداه الشيخ عبد الكريم وقال له: أريد منك أن تعلمني كيف تحوّل (تسرق) الإبل منهم، فقام وجلب أحد جمال الشيخ فقال له (خوذة)، وأتى له بثان وثالث ورابع وهو يقول له خوذة، فسارت هذه العبارة وصفاً للشيخ عبد الكريم. ومقرنة باسمه لكثرة ما كان يرددها في إعطياته لضيوفه وطلاب الحاجة إليه.

ولعل هذا النص الذي أورده الرحالة الفرنسي ليجان عام ١٨٦٦م، في رحلته إلى العراق عن الشيخ عبد الكريم، ليليل آخر على كرمه وعدم مبالاته لما يعطيه من أموال، وعدم رغبته في التعاون مع السلطة العثمانية، وما حاولت به هذه الدولة من التقرب إليه إذ يقول: "إن شيخ شمر الحلي شاب يحكم عشيرته بيد من حديد، ورغم ذلك فهو يتمتع بشعبية بين أتباعه، لأنه حسب التعبير الشعبي يده مفتوحة، فهو يأخذ من هنا وهناك ليقدمه باليد الأخرى لمن يحتاج إليه، ولقد حاولت الدولة العثمانية قبل بضع سنوات كسب ود هذا الشيخ، فأرسلت إليه البراءة السلطانية مع النيشان العثماني المجيدي، وجاء رسول يحمل الأتعان السامي بأسم والي بغداد، فاستقبل الشيخ الشاب هذه المكرمة بلامبالاة. ولم يعرها اهتمامه، وأثناء وصول الهدية إلى خيمته دخل على الشيخ عبد الكريم أحد الشمامرة الذي يسميه ليجان

(٥٥). السديري، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

(علي الأعور) فنظر إلى النيشان الذي تحيط به أحجار الماس، وكان موضوعاً في صدر الخيمة، أعجب به وتقدم منه وأخذه دون تردد بعد أن طلب من الشيخ عبد الكريم أن يعطيه له، فتركه الشيخ عبد الكريم ولم يتكلم معه، فأخذه. رأى الشيخ عبد الكريم أن الأمر طبيعي بالنسبة له، لأن العادة بين أهل البادية إذا أبدى أحدهم إعجابه بشيء فلا يليق بصاحبه منعه عن أخذه، خاصة أن كان هذا الشخص موصوفاً بالكرم واشتهر عنه أن يده مفتوحة، أرسل الشيخ عبد الكريم البراءة السلطانية لأمه الشيخة عمشة الحسين وطلب أن يقرأ نصها عليها، فاستغربت عندما رأت أن ابنها لا يحمل الوسام، فاستفسرت عن السبب. فأجبتها ببساطة أنه لم يعد معه، وأنه ذهب إلى أحد الشمامرة الذي كان قد أعجب به، فلامته أمه على عمله هذا كون النيشان من السلطان العثماني، وكما سمته بالباشا عبد المجيد". (٥٦)



محنت باشا والي بغداد

(٥٦). بطرس حداد، رحلة ليجان إلى العراق عام ١٨٦٦م، مجلة المورد، بغداد، ١٩٨٣م، مجلد ١٢، ١٣، ص ٨٠.

الانتفاضة ونهاية الفارس

شكلت انتفاضة الشيخ عبد الكريم الجربا ما بين عامي ١٨٧٠-١٨٧١م قلقاً كبيراً للسلطة العثمانية في ولايتي بغداد والموصل، إذ أخذ الشيخ عبد الكريم بالإغارة على المخافر العثمانية المنتشرة على أطراف الجزيرة بين ماردين و الموصل، وسدد لها ضربات موجعة، فضلاً عن قيامه في كثير من الأحيان بقطع طرق المواصلات بين بغداد والموصل، وضرب العشائر التي تتحالف مع السلطة العثمانية ضده، وكانت الشرارة الأولى لانتفاضته عندما أعلن الشيخ عبد الكريم أن مشير ماردين قد وجه اهانة له وعامله بإزدراء.

قام الشيخ عبد الكريم بإرسال الرسل من قبله إلى العشائر القاطنة ارض الشامية وخاصة عنزة، وعقد اجتماعاً بين الشيخ عبد الكريم وشيوخ عنزة في ارض الشامية، اتفقوا معه أن يعاونوه في انتفاضته ضد الأتراك، أو يكونوا على الحياد، ولا يتعاونوا مع السلطات العثمانية ضده، ولكن مع قيام الشيخ عبد الكريم بالانتفاضة نرى أن شيوخ عنزة ينضمون الى الأتراك، وكانوا مع الجيش الذي أرسله مدحت باشا لمحاربة الشيخ عبد الكريم وشمرو التي معه.

استمر هذا الفارس بـانتفاضته التي أطلق عليها العثمانيون (خراب عبد الكريم) مدة سنتين لاقت فيها السلطة العثمانية في العراق الكثير من فرسان شمر، في الوقت الذي كان فيه الشيخ فرحان باشا قد أتبع سياسة حكيمة مع العثمانيين، ومع أخيه عبد الكريم، بحيث انه لم يشارك في انتفاضة الشيخ أبو خوذة، لكنه لم يحاول منع الشيخ عبد الكريم من القيام بها، أو الدخول في صراع عسكري ضده لقمع انتفاضته، في الوقت نفسه الذي أظهر فيه الشيخ الباشا للعثمانيين بأنه ليس مع أخيه، وأنه يحاول كبح جماح هذه الانتفاضة. ويعمل على حماية طرق المواصلات بين بغداد واسطنبول عبر الموصل، وكذلك بين الموصل و حلب.

استخدم الأتراك قبل هذه الأحداث الميامة القديمة التي اعتادوا عليها عندما لا يستطيعون أن يفتوا في وجه شمر، أو يحدوا من قوتها، فأوعزوا إلى القبيلة لند لشمر وهي عزة بالنزوح عن الشامية إلى الجزيرة، والاصطدام مع شمر، وبالفعل تحركت عزة نحو ضفاف الفرات باتجاه الجزيرة فواجهها الشيخ عبد الكريم بقواته مابين عامي ١٨٦٥-١٨٦٨م بعدة غزوات كان من نتيجتها أن انسحبت عزة إلى داخل الشامية^(٥٧)، ولم تستطع كبح جماح هذا الفارس والقوة التي معه من شمر الذي واستطاع أن يهزمها، مما جعل السلطة العثمانية تجد في ملاحقة الشيخ عبد الكريم ومن معه للقبض عليه خاصة بعد أن جاء إلى بغداد والي عثماني قوي وذكي استطاع أن يضبط العراق بيد من حديد هو مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢م).

لقد جاء هذا الوالي التركي والإداري المتمرس إلى بغداد، وفي نيته تترك العراق وجعله تحت السلطة المركزية المباشرة، وتنفيذ إصلاحات عديدة في هذا البلد تجعل منه أكثر ارتباطا بالسلطة العثمانية في اسطنبول. وتعزيز النفوذ والسيطرة التركية العثمانية عليه، من خلال سياسته التي عرفت بالتحديث، عبر الإصلاحات المالية والإدارية التي قام بها في ولاية بغداد خاصة. وعموم ما يعرف بالعراق اليوم عامة.^(٥٨)

كان التمرد العشائري وعدم دفع الضرائب من قبل القبائل البدوية وعشائر الفرات، هو الهاجس القوي الذي حرك مدحت باشا للسيطرة على هذا الوضع الشاذ بالنسبة للإدارة العثمانية في العراق، فحاول في البدء أن يضرب بيد من حديد وبقسوة شديدة كل تمرد عشائري من جانب، ومن جانب آخر حاول استمالة شيوخ العشائر ورؤسائها من خلال الأعطيات والهبات الكبيرة التي قدمها لهم، والمساحات الواسعة من الأراضي الأميرية التابعة للدولة التي ملكها لهم كي يكونوا إلى جانب السلطة العثمانية ضد أي تمرد يحدث في مناطقهم، من جهة، ولكي يكونوا تحت طائلة السلطة الحاكمة عندما يستقرون في أراضٍ محددة لهم من جهة أخرى.

(57). williamson. op. cit,p67,

لوريمر، مرجع سابق، ج٤، ص ٢١١٩

(٥٨). نوار، تاريخ العراق، ص١٤٨.

كانت إنتفاضة الشيخ عبد الكريم الجربا إحدى المنغصات التي أفلقت حكم مدحت باشا، فكان عليه أن ينهي هذا التمرد بأي شكل من الأشكال، لذلك نراه يجهز قوات كبيرة للحاق بالشيخ عبد الكريم من جهة، ويحاول استمالة الشيخ فرحان ومن معه من شمر كي لا يساعد الشيخ عبد الكريم من جهة أخرى، فاستحصل للشيخ فرحان على لقب الباشوية، وحدد له راتباً شهرياً، واقتطعت له أرض واسعة عند الشرقاط جنوب الموصل^(٥٩)، كي تكون مقراً دائماً له، كما وزعت الأراضي على شمر للاستقرار والزراعة في مقابل منع الغزو وإعادة البضائع المنهوبة، وعدم التعاون مع الشيخ عبد الكريم في إنتفاضته ضد الحكومة.^(٦٠)

اتخذ الشيخ عبد الكريم موقفاً واضحاً من السلطة العثمانية وبشكل جلي وواضح بإنتفاضته خلال الأعوام ١٨٧٠ و١٨٧١م، عندما أخذ في التجول مع من معه من شمر الذين كان يربو عددهم على ٢٠ ألف فارس وراجل^(٦١)، وأخذ في تخريب المخافر التركية ما بين ديار بكر والموصل، مما سبب قلقاً كبيراً للسلطة العثمانية ولوالي ديار بكر والموصل، وأخذاً بالتجهيز والتحضير لمواجهة الشيخ عبد الكريم وقواته، وكانوا في ذات الوقت على اتصال دائم مع والي بغداد مدحت باشا.^(٦٢)

حاول العثمانيون أن يجعلوا الشيخ عبد الكريم في هذه المدة شيخاً لمشايع شمر على حساب أخيه فرحان باشا، فأصدر الباب العالي في اسطنبول أمراً بذلك^(٦٣)، ولكن الشيخ عبد الكريم لم يكن على استعداد لقبول هذا المنصب، من قبل الذين قتلوا أباه، بل على العكس من ذلك بقي على ود وتفاهم وثيق مع الباشا فرحان، وحاول الشيخ فرحان أن يظهر للعثمانيين خلال السنين الأخيرة من حياة الشيخ عبد الكريم بأنه مع السلطة الشرعية العثمانية، في حين كان على اتصال دائم مع أخيه الشيخ عبد الكريم ويقدم له

(٥٩). نفسه.

(60). Williamson. op. cit,p74.

(٦١). بلنت، قبائل فرات، ص٢١٨.

(٦٢). عباس المعزوي، العراق بين، ج٧، ص٢٦٢.

(٦٣). نفسه، ص٢٦٢.

ولشمر التي معه كل أنواع المساعدة ومنها نقل الأخبار عن التحركات العثمانية.

حاول الشيخ عبد الكريم أن ينهي التواجد العثماني على أرض الجزيرة الفراتية، وربما أراد أن يحقق حلم والده صفوك الجربا في تكوين كيان عربي خارج الحكم العثماني، وسعى إلى تحقيق ذلك بحيث أن أهل الموصل كانوا يخرجون إلى قوات الشيخ عبد الكريم المأكل والمشرب خفية في الليل، وتهيؤوا لاستقباله مع قواته إذ ما دخل الموصل.

تحرك الشيخ عبد الكريم مع من معه من شمر في انتفاضة شاملة عام ١٨٧٠م^(٦٤) بعد أن أصبح مشروع مدحت باشا في توزيع الأراضي على شمر قرب الشرقاط القتل الذي ألهب نار الثورة لديه، فضلا عن خلافه مع حاكم ماردين العثماني، إذ أحس بما ينوي مدحت باشا الذي عزز التواجد العثماني على أطراف الصحراء، من جعل شمر تحت سلطة الحكومة وسيادتها، من خلال توطينها، ونبد الحياة البدوية التي اعتبرها الشيخ عبد الكريم انتقاصاً بحق شمر وأخلاقيها البدوية، فقام بالتوجه من اورفة إلى الموصل، ثم أعاد ضرب المخافر العثمانية بين الموصل وبغداد، في الوقت الذي كان فيه مدحت باشا مشغولاً بانتفاضة الفرات الأوسط في الحلة والديوانية، بما عرف بثورة الدغارة التي قلدتها العشائر الشمرية في هذه المنطقة، حاول الثوار في هذه المناطق الاتصال مع الشيخ عبد الكريم لتوحيد القوى ضد التواجد العثماني في العراق، ولكن ثورة الفرات الأوسط فشلت قبل وصول الشيخ عبد الكريم إلى أطراف بغداد^(٦٥)، في الوقت الذي كان فيه الشيخ عبد الكريم قد أوهم مدحت باشا أنه نازل من اورفة لمساعدة القوات العثمانية ضد الثوار في الدغارة.

عاد بعدها الشيخ عبد الكريم إلى الشمال من بغداد، وأخذ بالاستعداد لمواجهة مدحت باشا والقوات العثمانية، وقسم قواته إلى ثلاثة أقسام تحركت باتجاه الموصل ودير الزور وبغداد، في الوقت الذي قام فيه أبوخوذة بإرسال

(64). Williamson. op. citp75..

(٦٥). العزوي، العراق بين، ج٧، ص ٢٦٢-٢٦٣.
٢٤٧

الرسائل إلى شيوخ العشائر المجاورة لهذه المناطق للثورة على السلطة العثمانية.^(٦٦)

في حين شرع مدحت باشا يلتحرك نحو الشيخ عبد الكريم بعد أن قضى على ثورة الفرات الأوسط^(٦٧)، وقام بالاتصال بواليي ديار بكر والموصل لتجهيز القوات ضد الشيخ عبد الكريم، وأعلن في ذات الوقت عن مكافأة تبلغ ١٠ آلاف قرش لمن يقبض على الشيخ عبد الكريم ويسلمه حياً، وخمسة آلاف إذا سلم للسلطة العثمانية ميتاً

لم يكن التقسيم العسكري للقوات الذي اتخذه أبو خوزة ذا فائدة كبيرة بالنسبة له ولشمر، فقد تحرك والي ديار بكر إسماعيل باشا باتجاه الجنوب ومعه ٤ أفواج من القوات^(٦٨)، وتوجه أحمد باشا القائد العام للفيلق السادس من بغداد، وتحركت قوات أخرى من ديالى، والتقت القوات الترككية بالشيخ عبد الكريم قرب الشراقات^(٦٩) في معركة فاصلة وغير متكافئة في^(٧٠) العدة والعدد، نتيجة لقلة القوة التي كانت مع الشيخ عبد الكريم، وانهزام القوات التي كان قد أرسلها إلى بغداد ودير الزور، وابتعاد قسم من قبائل سنجارة عنه قبل قيامه بالانتفاضة، كما يؤكد ذلك الشاعر التريباتي في أبياته هذه^(٧١):

البارحة بالشيخ أنا بتت بهموم من على باجي الملا ما درربه
أمشي بوسط نزولكم تكل مسموم تلعب بي الدنيا على غير بوبه
ياراجب إلي فوقها تكل مرجوم محلى سبيب الفيل غلشي كعوبه
تلفي ليبيت شامخ العصر بعلوم أتم مفاتيحه ومغاليج بوبه
أتحارب العمان وتصاحب الكوم يا شيخ حررانيك وش ذنوبه
إنخر هل الجدعا ألياجتك ازحوم اليا فتكت بكعا عليكم جيوبه
يخلون عين الماتعي تقبل النوم الياجنبت بعض الجاهمة دروبه

(66). Williamson. op. cit,p76..

(٦٧). العزوي، العرق بين، ج ٧، ص ٢٦٣.

(٦٨). صديق النملجي، مدحت باشا (بغداد: دون تاريخ) ص ٤٤.

(69). Williamson. op. cit,p76.

(70). op. cit,p77.

(٧١). من فترات الشعر الشعبي الشمرى.

أدى هذا الحل إلى خسارة القوات الشمرية في هذه المعركة الشرسة مع القوات العثمانية الضخمة، وسقط من شمر حوالي ٣٠٠ محارب، تحرك بعدها الشيخ عبد الكريم من مكنه في وادي بعاجة قرب الشرقاط نحو الصحراء باتجاه وادي الثرثار، ولكن لسوء الحظ كان هذا الوادي قد جف فهلك العديد من أفراد شمر نتيجة العطش، في حين واصلت القوات العثمانية ومن معها من قبائل الحليم وعنزة بملاحقة الشيخ عبد الكريم ومن معه من شمر، وقتل في هذه المعارك الشيخ عبد الرزاق بن صفوك اخو الشيخ عبد الكريم من قبل قوات والي ماردين، في حين عبر أبو خوذة ومن تبقى معه من فرسان شمر الذين كان عددهم ٢٠٠ فارس نهر الفرات تجاه البادية الجنوبية (الشمالية)، بعد ان رفض شيوخ العمارات من عنزة قرب النجف استقباله، خوفا من السلطات العثمانية^(٧٢)، محاولاً في مسيره هذا الوصول إلى نجد عند آل رشيد أمراء حائل، في جو صيفي شديد الحرارة، لأجل تجميع قواته وإعداد شمر والمعاودة ثانية لمقارعة العثمانيين^(٧٣).

حاول مدحت باشا أن يمنع الشيخ عبد الكريم من الوصول إلى نجد، فأوعز برسالة شديدة اللهجة إلى الأمير محمد بن عبد الله الرشيد يأمره فيها أن يلقي القبض على الشيخ عبد الكريم إذا ما دخل ارض نجد، والا فسوف يقوم الوالي مدحت باشا بغزو حائل وإزالة إمارة آل رشيد، في الوقت نفسه أرسل الوالي رسالة أخرى إلى صديقه شيخ المنتفك ناصر بن راشد السعدون المعروف (بالأشقر)، الذي ما فتئ يسعى إلى تكوين علاقة طيبة مع الوالي مدحت باشا. بأن يحتال في القبض على الشيخ عبد الكريم أثناء تحركه في البادية، ومن ثم يرسله حياً إلى بغداد^(٧٤).

كان ناصر السعدون على استعداد تام لتنفيذ هذا الأمر، رغبة منه في كسب ثقة الوالي به بشكل أوثق، وللحصول على ١٠ آلاف قرش مكافأة القبض على الشيخ عبد الكريم وإرساله حياً، أخذ شيخ المنتفك في التقصي عن

(٧٢). الملوجي، مرجع سابق، ص ٤٤، جرجيس، مرجع سابق، ص ٥٣،

Williamson. op. cit, p74

(٧٣). لوينهايم، البدو، ج ١، ص ٢٤٠.

(٧٤). سلمان، مرجع سابق، ص ١٩١.

الشيخ عبد الكريم في أرجاء الشامية إلى أن جاءه الخبر بمكان منازل الشيخ عبد الكريم في أبو طير،^(٧٥) فأرسل إلى الشيخ أبو خوذ من يدعوه إلى وليمة أعدت لاستقبله، والحفاوة بقدمه عند شيخ المنتفك ناصر المعدون، وإن الشيخ ناصر سيحاول أن يحصل له على عفو من السلطات التركية، في حين أنه كان قد أخفى الجند الأتراك في بيته للقبض على الشيخ عبد الكريم.

حضر أبو خوذ إلى مكان الدعوة آمناً مطمئناً لعهود ومواثيق الشيخ ناصر المعدون التي قدمها له، وعند وصوله مع من معه، اعظم ناصر السعدون بذلك، فأمر أن يضاف الشيخ عبد الكريم في بيت احد معتمديه، وأمر معتمده أن يلقي القبض على الشيخ عبد الكريم على أية صورة كانت، فلما رأى الشيخ عبد الكريم نية الغدر به. أراد ركوب جواده ليقف في وجه أعداءه، فأحاط به المعتمد وأعوانه، وأثناء العراق معه جرح الشيخ عبد الكريم، واستطاع أعوان الشيخ ناصر السعدون الإمساك به، أمر الشيخ ناصر الأتق أن يرسل الشيخ عبد الكريم إلى الوالي مدحت باشا عبر الباخرة الفرات^(٧٦)، بعد أن كان الجند الأتراك قد شدوا وثاقه وأصبح هذا الصقر الجرناس تحت سلطتهم، وفي قبضة أعدائه، كما وأصبح هذا الغدر وخيانة العهد والميثاق عارا على الشيخ ناصر السعدون بين القبائل.

وعند إلقاء القبض على الشيخ عبد الكريم كانت الشيخة عمشة الحسين في بيت ناصر باشا مع أهله وعياله، فطمعت ما آل إليه حال ولدها، فخرجت فزعاً إلى ناصر السعدون، وصاحت فيه: غدرت بولدي. هلا أمسكت به على ظهور الخيل: لكك تعلم ما يفعل بك، والغدر شئكم، فسل عليها سيفه وأراد ضربها به، فمنعته زوجته من ذلك وقالت له: أن الحق معها. غدرت بلبنها وحملت العار بفعلتك هذه بين القبائل.^(٧٧)

(٧٥). سلمان، مرجع سابق، ص ١٩١.

(٧٦). نفسه، ص ١٩٢.

(٧٧). الشاوي، مرجع سابق، ص ٧٦.

وقال احد الشعراء في ناصر السعدون وما فعله: (٧٨)

يا ناصر السعدون لو انت بيده ما أعطاك لو يقضبون السما بيده

أجريت للشيخ عبد الكريم الجربا محاكمة في بغداد علناً أمام مجلس التمييز، وحكم عليه بالإعدام، ولما كان أبو خوذة من أصحاب الرتب. أرسل الوالي الأعلام والمضبطة إلى اسطنبول ليصدق الباب العالي على الحكم، ومن ثم أرسل الشيخ عبد الكريم الجربا مقيداً بحراسة مشددة إلى الموصل، وقد كتب مدحت باشا إلى واليها شبلي باشا أن يشنق الشيخ عبد الكريم عند وصوله إلى الموصل، لأن انتفاضته كانت على هذه الأرض، كي يكون عبرةً لغيره ممن يثورون على الدولة العثمانية. (٧٩)

عند وصول الشيخ عبد الكريم الموصل. وصل الأمر السلطاني كذلك بإعدامه، فتم شنق الشيخ عبد الكريم الجربا عند الأرض المقابلة لجسر الموصل الواقع على نهر دجلة، من جهة أطلال مدينة نينوى الأثرية في ١١/٢٠ من عام ١٨٧١م (٨٠)، ودفن جثمانه عند مرقد النبي يونس بالموصل، بعد أن قام هذا الفارس النبيل بانتفاضته ضد السلطة العثمانية، وسجل بشهامته وكرمه وفروسيته أعلى معاني الإباء والنخوة العربية.

لقد رثي الشيخ عبد الكريم الجربا من قبل شعراء البادية بالعديد من القصائد والأبيات الشعرية، التي عبرت معانيها عن جمالية النص الشعري البدوي، وصدق تعبيراته في وصف الشخصية التي قيل فيها هذا الشعر، ومن هذه القصائد ما قاله الشاعر الكزيبي في نعيه:

(٧٨). من التراث الشعري لشمري.

(٧٩). الشاوي، مرجع سابق، ص ٧٦.

(٨٠). العزوي، العراق بين، ج ٧، ص ٢٦٢.

Williamson. op. cit, p77

Rassam, op. cit, p47

نصبتك يا عبد الكريم بحاجتي وجرالي من طول المسير عذاب
ولقيت على مراح الشيوخ زباره زاد من السكر وزادي ذاب
الشاهد الله والمسمى بالسما سماك يا عبد الكريم وصواب
أنا لشهد إنك مثل هذاج تيمما يفيد لو هو بين الواردين سراب
مانقصه لو سواك تسعين ساقية وتسعين غارب غرفهن صباب
طالبك من جملة الخيل كبه كبا وصدره سوات الباب
الزور والزاغور مأرب خيلهم بيني وبين الفانين حجاب^(٨١)

ورثاه الشاعر محدي الهمداني بقصيدة جاء فيها: ^(٨٢)

يادار سلطان العرب وين هو صار ريف الضعافي مهفي المال والخيل
يادار وين هليب شبال الأقطار لوك الزمول اليا تحايد عن الشيل
حر مثل من سبكة طمار صلاوه غمجين البصاير هل التيل
ياعل هك الوجوه يحجز عن النار بجاه الملوك الي من الله مراسيل
من البصرة لرفه لفحة لسنجار الرشم ماينهج ويأتي بلاكيل
ولكن برلس النروشيت النار ولكن سرت به ركب التعاليل
يادار ماظبح هماليل وأطمار ريفك محل عقب العصاة المشلجليل

أعدم عبد الكريم الجريا وانتهت بإعدامه آخر إنتفاضة حقيقية لشمر
ضد الوجود العثماني على أرض الجزيرة الفراتية، وقد وصفته اليدي آن بلنت
بقولها: "كان يطلا من أبطال شمر سيبقى يذكر بينهم حتى في الأجيل القادمة،
وكانت القبيلة في حيلته قوية غنية وتتمتع بهيبة في كل البادية، لقد كتبت حياة
عبد الكريم حياة بطولة (روملمسية) يصعب أن نجد مثيلا لها، ونجد ذلك في
ذكراه التي تضفي على حياة العائلة والقبيلة من ورائها الفخر والأعتزاز". ^(٨٣)

(٨١). من التراث الشعري الشمرى.

(٨٢). نفسه

(٨٣). بلنت، قبائل فرات، ص ٢٥٨.



جسر الموصل الذي اعدم عنده الشيخ عبد الكريم الجربا



جامع النبي يونس الذي دفن فيه الشيخ عبد الكريم الجربا

شمر والاستقرار الريفي (الريف)

كان قانون تسجيل الأراضي (الطابو) الذي شرعته السلطة العثمانية عام ١٨٥٩م^(٨٤)، وحاولت تطبيقه في الولايات التابعة لها قد تعثر العمل به في العراق، نتيجة لأعمال الرشوة والمحسوبيات، واستحواذ بعض الأشخاص على أقطاعات واسعة من الأرض، حتى وصول الوالي مدحت باشا إلى ولاية بغداد، إذ حاول هذا الوالي أن ينظم ملكيات الأراضي، وأن يحصل الفلاح على أرض ذات مساحة معقولة، كي يتسنى له زراعتها، وتم تسجيل هذه الأرض في دوائر الطابو وثبتت ملكيته لها.

كما عمل الوالي مدحت باشا على توطين القبائل البدوية الرحل في مناطق زراعية، ومحاولة تحويلها إلى قبائل مستقرة تمارس الزراعة، وكثرت شمر من أولى القبائل التي حاول الوالي تحويلها من قبيلة بدوية تمارس الرعي والترحال، وقوة قبلية تشكل تهديداً للسلطة العثمانية في بغداد والموصل. إلى قبيلة مستقرة تمارس الإنتاج الزراعي، وتتخلى عن الغزو وخلق المشاكل للسلطة العثمانية، وتكون تحت نظر سلطة ولايتي بغداد والموصل، فعرض مدحت باشا على الشيخ فرحان أن يقطع أرضاً واسعة قرب بلد لتكون النواة الأولى لتوطين شمر، التي كان يربو تعداد أفرادها في ذلك الوقت بين ٦٠ و ٧٠ ألفاً^(٨٥)، ولكن موقف الشيخ عبد الكريم الذي أحس بنوايا العثمانيين جعله يتخذ موقفاً معارضاً لهذا الاستيطان، وشهر سيفه في وجه السلطة العثمانية. مما جعل مدحت باشا يؤجل مشروعه الاستيطاني لشمر إلى أن تم إلقاء القبض على الشيخ عبد الكريم وإعدامه في نهاية عام ١٨٧١م، إذ أصبح بعد هذا التاريخ الشيخ فرحان شيخ مشايخ شمر بلا منازع ولو لبعض الوقت، وهو سياسي يحسن التعامل مع السلطة العثمانية، لذا نراه يوافق على أخذ الأراضي التي أقطعها له مدحت باشا قرب بلد شمال بغداد

(٨٤). عزوي، العراق بين، ج ٧، ص ١٨٠.

(٨٥). نولر، تاريخ العراق، ص ٣٧٦-٣٧٧.

وسميت الفرحاتية^(٨٦) تيمناً بأسم الشيخ، فضلاً عن منطقة أخرى قرب الشرقاط جنوبي غرب الموصل، وتم تعيين الشيخ فرحان متصرفاً للواء شمر، وارتبط إدارياً بباشوية بغداد^(٨٧).

قام مدحت باشا بالكتابة إلى اسطنبول لإرسال الخلع السلطانية إلى الشيخ فرحان، لتوكيد رتبة الباشوية التي كانت قد أعطيت له من قبل، وقد تم ذلك بالفعل مع منحه رتبة أمير الأمراء، منح أرفع وسام يمنح مع هذه الرتبة^(٨٨)، وعمل الشيخ فرحان على إنشاء قلعة خاصة به على أنقاض مدينة آشور الأثرية شرق الشرقاط على نهر دجلة، محاولاً مسيرة سلطة بغداد لاستيطان شمر، فنشأ ما يشبه المعسكر الاستيطاني لشمر قرب القلعة التي شيدها، وقام الشيخ فرحان بجلب عدد من العمال المزارعين من قبائل الجبور الساكنة في هذه المنطقة لزراعة الأرض الممنوحة له، وشق قناة للماء من نهر دجلة زرعت على جانبيها بعض أشجار الفاكهة ونصب عليها عدد من النواير والكرود لسقيها.



الكرود التي كانت تنصب على الأنهر

ولأجل كسب ود الشيخ فرحان، فقد حددت السلطة العثمانية في بغداد مبلغاً من المال يقدر بـ ٢٠ ألف قرش سنوياً له من الضريبة العشرية التي كانت تستوفيها الدولة من المزارعين، ولكن العثمانيين استكثروا هذا المبلغ

(٨٦). جريدة الزوراء، بغداد، لسنة الرابعة، فعده ٢٧٤، في ١٢٨٩/٦/٢٥هـ،

١٨٧١/٨/١٢م، بلنت، قبائل الفرات، ص ٢١٥.

(٨٧). خالد العاني، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

(٨٨). العزوي، العراق بين، ج ٧، ص ٢٦٢، عجاج وجرجيس، مرجع سابق، ورقة ٩٥.

فيما بعد، قتل ثم قطع عن الشيخ فرحان لاحقاً.^(٩٠) لما رآه العثمانيون من أن هذه المبالغ ستعمل على تقوية الوضع المادي للشيخ فرحان، مما سيجعله أكثر استقلالاً عن سلطات بغداد، مع طمع ولاية بغداد الأتراك الجشع في جمع أموال الدولة والناس والاستيلاء عليها فيما بعد.

سكن الشيخ فرحان باشا في قلعة الشرفاء التي سماها (العامر)^(٩١)، معظم شهور السنة، لكن شمر لم تستقر عند القلعة لمدة طويلة، ولم تستطع الحكومة العثمانية من تحويل شمر عن بداوتها إلى قبيلة مزارعة، إذ بقيت شمر على ارتباط دائم مع الصحراء وحياتها، ولاحظ ذلك من زار الشرفاء في أوائل الثمانينات من القرن ١٩ من المسافرين الأوروبيين، فضلاً عن الليدي آن بلنت، التي زارت المعسكر الاستيطاني للشيخ فرحان بالشرفاء في آذار من عام ١٨٧٨ م. لأجل لقاء الشيخ الذي لم يكن متواجداً في القلعة، لأنه كان ذاهباً إلى ابن عمه الشيخ نيف أبو انجور داخل الجزيرة^(٩٢)، فقام الشيخ عبد العزيز بن الشيخ فرحان باستقبالها مع زوجها ونفريد، وكان الشيخ عبد العزيز في ١٥ من العمر، فلم يرق لبنت وزوجها هذا الاستقبال وبقياً ٣ أيام في القلعة، ثم غادرا المكان غير راغبين بالعودة إليه ثانية^(٩٣)، بالرغم مما قام به الشيخ فيصل بن فرحان باشا من تقديم الاعتذار عما قام به اخاه الشيخ عبد العزيز، وعلى أي حال فلقد فشل هذا المشروع الاستيطاني الذي حاولت تطبيقه سلطات بغداد العثمانية على شمر.^(٩٤)

برغم من هذا الفشل فقد أعطى هذا المشروع الاستيطاني بعض النتائج الحضارية لآل محمد خاصة ولشمر أيضاً، إذ أن شيخ شمر فرحان باشا الذي كان قد درس في استنبول عند احتجازه مع أبيه الشيخ صفوك، واطلع هناك على الحياة المدنية في العاصمة العثمانية، وكذلك في الموصل وبغداد، وما تركته عليه من بصمات، جعلت الشيخ فرحان ينقل بعض المظاهر الحضارية إلى قلعة التي شيدها في القسم الشمالي الشرقي لمدينة اشور الأثرية، على

(٨٩). العزاوي، العراق بين، ج٧، ص٢٦٣، عجاج وجرجيس، مرجع سابق، ورقة ٩٥.

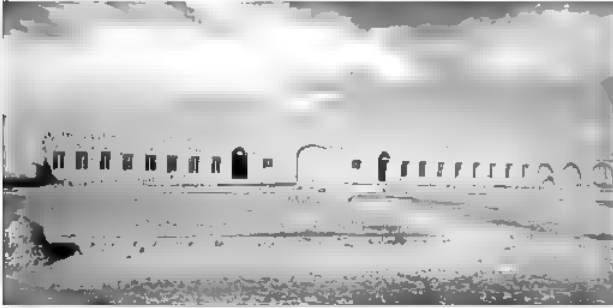
(٩٠). أوبنهايم، رحلتي، ج١، ص ٢٤٩.

(٩١). بلنت، قبائل الفرات، ص٢١٥-٢١٧.

(٩٢). نفسه.

(93). Williamson. op. cit, p 78.

رأس قمة مرتفعة تطل على نهر دجلة شمال مدينة الشرجاط الحالية^(٩٤)، فاستقدم رجل دين من الموصل^(٩٥) ليؤم المصلين ويعلم أبناءه، سكن في القلعة يعلم أصول الدين الإسلامي الحنيف طيلة شهر رمضان المبارك، واستقدم المدرسين لتعليم أبنائه اللغة التركية، وبعض أصول الحياة الحضرية في المدن، ووضع له ساعٍ هو عوض الرمو لينقل للشيخ الباشا فرحان الرسائل إلى بغداد، وليعود ومعه رسائل الولاية مع الرواتب الشهرية للشيخ فرحان، وكان هذا الساعي يقطع المسافة بين الشرجاط وبغداد في ٣ أيام سيراً على الأقدام.



بقايا قلعة الشيخ فرحان (العامر) في الشرجاط

(٩٤). جرجيس، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٩٥). بلنت، قبائل الفرات، ص ٢١٥-٢١٧.

أوضاع شمر على أرض الجزيرة ١٨٧٥-١٨٩٠ م

لم يعان الشيخ فرحان الذي منح منصب متصرف على لواء شمر من قبل مدحت باشا قبل أن يعزل عام ١٨٧٢م^(٩٦) أية مشاكل في إدارة شمر، وأصبح الزعيم بلا مناهس على مشيخة شمر وقيادتها، وقد استمر هذا الحال إلى العام ١٨٧٥م^(٩٧) عندما عاد أخوه الشيخ فارس بن صفوك الذي كان مع أخيه الشيخ عبد الكريم في انتفاضته، وعندما القي القبض على الشيخ عبد الكريم التجاء الشيخ فارس مع أمه عمشة الحسين إلى جبل شمر عند آل رشيد أمراء حائل دونما الاتصال بالأمير محمد العبد الله أو اللقاء به أو يقيم في حائل نهائياً^(٩٨)، وهو في العشرينات من عمره لا كما أورده بعض الكتاب من أنه كان صغيراً فهربت به أمه إلى حائل مع أولاد الشيخ عبد الكريم^(٩٩).



الشيخ فارس باشا
كما رسمته في شبابه آن بلنت ١٨٧٨م

(٩٦). العزاوي، العراق بين، ج ٧، ص ١٤٠.

(٩٧). بلنت، قبائل فترات، ص ٢٦٢.

(٩٨). النحاس، مرجع سابق، ص ٣٣٣، ويشير خطأ إلى أن عمشة لحسين ذهبت عند قاربها فرشيد في حائل، وهذا جهل في الأساب والبيوتات. لن بلنت «رحلة إلى نجد، ترجمة أحمد إبيش (دمشق: ٢٠٠٤م) ص ٢٢٣.

(99). Oppenheim, Die Beduinen, vol 1, p 149, Williamson. op. cit, p 79.

محمد أحمد محمود، أحوال العشائر العراقية وعلاقتها بالحكومة ١٨٧٢-١٩١٨م، رسالة

ماجستير غير منشورة (بغداد: ١٩٨٠م) ص ٨٣.

إن الحساب الزمني يؤكد لنا أن الشيخ فارس كان في العشرينات من عمره عندما ذهب إلى نجد، إذ أن أباه الشيخ صفوك كان قد قتل في العام ١٨٤٧م، ولنقل أن الشيخ فارس ولد في هذا العام، والشيخ عبد الكريم اعدم في العام ١٨٧١م، فمعنى هذا أن الشيخ فارس كان عمره عند إعدام الشيخ عبد الكريم الجربا ٢٤ سنة، فهو إذن شاب ناضج، وقد التجأ بأمه وأولاد أخيه الشيخ عبد الكريم خوفاً على نفسه وعليهم من بطش العثمانيين، إلى جبل شمروبقو في البادية ولم يتصلوا بالأمير محمد العبد الله خوفاً من ان يسلمهم إلى متحت باشا.

بعد أن استقر الحال في الجزيرة الفراتية. واستطاع الشيخ فارس ألصفوك كما يطلق عليه، أو (راعي البيل) الاتصال مع رؤساء القبائل والأفخاذ الشمرية التي كانت مع أخيه الشيخ عبد الكريم، التي لم تستطع أن تبقى على أرض الشرقاط و تأكد من ولائهم له عاد إلى أرض الجزيرة وهو يحمل في خجاط نفسه كرهاً دفيناً للسلطة العثمانية^(١٠٠)، الذي غنته فيه الشيخة العربية الطائفة زوج صفوك الجربا عمشة لحسين التي كانت معروفة في البادية(أم عبد الكريم)، وكانت تطمح إلى أن تعاد قوة شمر تحت قيادة أحد أبنائها على أسلوب القيادة نفسه الذي كان يتبعه زوجها المحزم كما تصورت هي، وأخذت في جبل شمر تحت أبنائها على كراهية الترك، وتعد الشيخ فارس لاستعادة مجد أبيه، وتعيد لشمر وحدتها المهبلة من قبل الأتراك والقبائل الأخرى^(١٠١)، وعلى الرغم من كونها امرأة أمية لا تقرأ ولا تكتب، لكنها كانت تمتلك ذكاء حاداً، فاتخذت لها كاتباً ليقرأ الرسائل لها التي ترد إلى ابنها الشيخ فارس، كما وتقوم هي بالرد على هذه الرسائل نيابة عنه، فضلاً عن قيامها باستقبال الضيوف في مضيف أبنها عند غيلبه، وتصفاها أن بلنت: إنها كانت من النوع الوقور الجليل بين نساء البادية.^(١٠٢)

جاء الشيخ فارس إلى أرض الجزيرة واخذ بمنافسة أخيه الشيخ فرحان على مشيخة شمر، كد من نتيجته أن يوقع صداماً مسلحاً بين الأخوين لم

محمود، مع سابق، ص ٨٢، Williamson. op. cit, p 80. (100)

(١٠١). نولر، تاريخ العراق، ص ٤٧٢-٤٧٣.

(١٠٢). حداد، رحلة ليجان، ص ٨٠، بلنت، قبائل الفرات، ٢٥٨.

يستمر طويلاً، فبحكة الشيخ فرحان وشهامة الشيخ فارس توصلنا إلى اتفاق بينهما، وبمسعي السلطة العثمانية لأجل تحقيقه، فقد بقي الشيخ فرحان نتيجة لهذا الاتفاق مع من معه من شمر في قلعة الشرقاط في حين توجه الشيخ فارس الصفوك إلى قائم مقامية دير الزور، واستوطن بمن معه من شمر بالقرب من هذه المدينة التي تقع في منتصف المسافة بين بغداد وحلب على نهر الفرات. (١٠٣)

لعب كل من آن بلنت وزوجها ولفرد دوراً هاماً في تقوية طموحات الشيخ فارس، عندما زاراه في منطقة الشداقي قرب الخبور. وشجعه على عدم التفاهم مع العثمانيين، رغبة منهم في خلق المشاكل للأتراك على أرض الجزيرة، لأجل تحقيق مآربهم الخاصة المتمثلة بجمع الخيول العربية الأصيلة، وكذلك لأجل تحقيق سياسات بريطانيا الاستعمارية، وقد عقد الشيخ فارس مع ولفرد صداقة متينة في البداية، أصبح ولفرد أخاً للشيخ فارس بحسب تقاليد شمر، واحترم ولفريد هذه الصداقة للشيخ فارس الجرباء، إذ أنه في إحدى رحلاته في البداية الشامية بين قبائل عزة، أهدى ولفريد ممدسالة إلى أحد شيوخ عزة، لكنه أخذ على هذا الشيخ عهداً أن لا يستخدمه ضد الشيخ فارس الجرباء (١٠٤)، ووصفت آن بلنت الشيخ فارس عندما زاراه بأنه: كان شاب طلق المحيا وسيم التقاسيم، ولدت ملامحه بحسب قولهم على أنه إنسان ينحدر من أصول نبيلة. (١٠٥)



ولفرد وزوجته آن بلنت



(103). Oppenheim, Die Beduinen, vol 1, p 147.

(١٠٤). بلنت، قبائل الفرات، ص ٢٥٧-٢٦٦، نولر، تاريخ العراق، ص ٤٧٤.

(١٠٥). بلنت، قبائل الفرات، ص ٢٥٧-٢٦٦، رحلة إلى نجد ص ٥١، ٣٣٩، نولر، تاريخ

العراق، ص ٤٧٤.

لم تكن هناك ثمة صعوبات أمام الشيخ فارس في جمع القبائل الشمرية حول زعامته، خاصة تلك التي كانت مع أخيه الشيخ عبد الكريم ورفضت التوطين الذي فرضه عليها العثمانيون، ورفضه كذلك الشيخ فارس راعي الببل، وأصبح لدى الشيخ فارس جمع ضخم من قبائل شمر تحت رايته، أخذت تشكل خطراً على قائم مقامية دير الزور والقبائل القاطنة حولها، لذلك حاول إسماعيل باشا الحلبي قائم مقام دير الزور، والذي كان من اصول عربية. ويعرف كيفية التعامل مع شيوخ العشائر،^(١٠٦) أن يجنب منطقة حكمه المشاكل التي تسببها الصراعات القبلية وأعمال الغزو بينها، خاصة تلك القوة من شمر التي تحت راية الشيخ فارس، فقام إسماعيل باشا بعقد اتفاق ودي مع الشيخ فارس الذي كان هو الآخر بحاجة إلى السلام مع العثمانيين، لينظم شمر ويقوي سلطتها على هذه الأرض، ونص هذا الاتفاق الذي تم بين حاكم دير الزور والشيخ فارس على أن يحمل الشيخ فارس لصفوك لقباً رسمياً (بيك) ومنصباً إدارياً برتبة قائم مقام على شمر، ثم عدل اللقب إلى باشا، وراتب شهري من الحكومة العثمانية^(١٠٧)، وقد وصل إلينا ختم الشيخ فارس على إحدى الوثائق التي كتبها إلى الأثاري الألماني البارون ماكس اوبنهيلم وعليه وظيفته الرسمية (قائم مقام شمر).^(١٠٨)

قام الشيخ فارس بعد أن أمن علاقاته مع العثمانيين بعقد الاتفاقات التي تؤمن الهدوء والسلام في إقليم تواجد، مع جدعان بن مهيد شيخ الفدعان من عنزة، تم خلاله منع الغزو بين الفدعان وشمر الزور التي تحت قيادته.^(١٠٩) أصبح الشيخ فارس لصفوك الشهم الشجاع والفارس الذي خبر الصحراء، الكريم بلا حدود كما وصفه أحد الكتاب^(١١٠) ويؤيده القصيد البدوي كالذي نراه في قصيدة الشاعر خضير الصعيلج التي قلها مادحا إياه^(١١١):

(١٠٦). بلنت، قبائل الفرات، ص ٢٦٢-٢٦٦.

(107). Williamson. op. cit, p 80.

(108). Oppenheim, Yom Mittelmeer, vol 2, p 66.

(١٠٩). ان بلنت، الحج الى نجد، ترجمة محمد غالب، مجلة العرب، الرياض، ١٩٨٢م، العدد ١٤، ص ١٨٤.

(١١٠). بلنت، قبائل الفرات، ص ٤٠٠.

(١١١). من التراث الشعري الشمرى، وينسبها اهل نجد وكتبهم الى الشيخ عبدالكريم الجربا خطأ.

ياشيخ أناجيتك على الفطر الشيب
وبى على وبى منى بتجريب
هاب وهبا من هاب قطع العيايب
وجينا على العيرات بيض المحاجيب
ومن دارنا لدارك جينا تغارب
متخيرك يا منقح الجود والطرب
سلام من قلب محب بلا ريب
علمك لفتايم نجد ورى السيب
ياحر يا لهيلع عتاب المراجيب
ياجوهر النلازيم بالمسك بالطيب
ياوزير يا زحار يا نمر يا نيب
نطاح طابور العساكر الي هيب
بك ذاري لاجيل عيب وهو عيب
وبك ذاري كب الفراد المحاييب
وبك شارة كب الفراد المحاييب
وبك شارة كب الفراد المحاييب
ونمرا تجرة للعدا والأجاييب
الحر يضرب بالكفوف المعاطيب
ومن غيرهن ياشيخ مابك عذاريب
وأنت من إلي يتركون المواجيب
وأنت الذي تافي بكل المواجيب
يلما عطيت اللي بجونك طلايب
وأفرجت همه من اكبار الموايب
عز الله انك طيب وتفعل الطيب
ولا هو كثير يلهدي الأصايب

جزان عن دار المحبين دباب
كل المواشي يانرى كل من هاب
من فوك كنس نعس طرب طراب
يموم نحم لا تغيب ولا غاب
لمشاهلك يا شوك وضاح الأياب
ولاخرب الله للأجويد طلاب
له يستتاب للضباب وشب من شب
يابعد علمك عند قومان وأصحاب
ياصعل بالصهال يا حصان الأطلاب
يلجوجب ما يشخنه كل شراب
ياثريث باللائوث بالسهل بالداب
ستر العذاري لاغشا الزمل ضباب
بالسيف لركاب المنايعر كصاب
وللسمن فوك مفتح الحيل صباب
واعطا المهار وبذل مال بلا حساب
وبذل الطعام وللتنايل كصاب
تلجا بها غرات ضدك بالأسباب
والتبع قلنصه من الصيد منساب
أحلى من السكر على كبد شراب
لا خرب الله للأجويد تعاب
كنك هليب الشلم بالحمل عتاب
كم واحد جالك من الوقت منصاب
من عليم يزوى كما زامى الزاب
والطيب يجننا منك يا زاكى الأنساب
أفعالكم بعده للي بالأصلاب



الشيخ فارس باشا كما رسمه البارون ماكس اوبنهايم ١٨٩٣م

هذا هو الشيخ فارس باشا الذي استوطن بمن استقر معه من شمر الجزء الغربي من إقليم الجزيرة، الذي أطلق عليه إقليم شمر (الغربية) أو شمر الزور، نسبةً إلى مدينة دير الزور، في حين بقي الشيخ فرحان باشا مع من معه من شمر شاغلاً الأقسام الشمالية والشرقية^(١١٢) لإقليم الجزيرة الفراتية، وأطلق عليها شمر الشرقية، والرئاسة والزعامة العليا بقيت في يد الشيخ فرحان أمام السلطات العثمانية، وهذا في الواقع أول انقسام حقيقي داخلي إقليمي لقبائل شمر تحت راية آل محمد من أولاد الشيخ صفوك الجربا^(١١٣)، ولكنه بقي في هذه الحقبة الزمنية انقسام ظاهري، إذ أن كلاً من الشيخ فرحان باشا والشيخ فارس كانا في سعي واحد لخدمة شمر، ووحدة مصالح قبائلها. لأجل إيقانها القوة المهيمنة على أرض الجزيرة الفراتية بلا منافس، كل حسب أسلوب قيادته، محاولاً مسيطرة السلطات العثمانية ومتجنباً الصدام المسلح معها.

(112). Williamson. op. cit, p 79-80.

(113). ibid.

[illegible]

«السلام إلى من يقرأ الكتاب ويتفهم الجواب من كافة المحمد وشمر
وغيرهم من خصوص ناقل الخط فهو من أشرف الأقران والأمثال فنصل حاكم
قطعة ألمانيا بارون ماكس أوبنهايم ويادي في طريق السياحة شرق الدولة العلية
أتدأها وب البرية يتشرف في الولايات المتجاورات موصل وبغداد والبصرة والذي
يتمرضه أو يمارضه على غير رضاء فهو المذبذب الخاطيء ولا يكسب إلا الغضب
من كل الوجوه ولأجل هذا عرضنا النصائح لمن يسمع الكلام وفي الختام المومي
إليه كان في بيتي شيفاً وعقدنا المحبة والصداقة والخوة غير الدين وصار إكرامه
من إكرامنا» .

2 صفر شهر الحظ 1311 (الموافق 15 آب 1893)

صك الأمان الذي قنمه الشيخ فارس إلى البارون ماكس أوبنهايم^(١٤)



الشيخ فارس باشا كما رسمه اوينهايم ١٨٩٣م

إن السلطات العثمانية التي استطاعت في العام ١٨٧١م أن تسدد لشمر ضربة قوية وتعدم شيخها عبد الكريم، لم تستكن لهذا النصر، بل حاولت أن تستمره لمصلحتها، خاصة بعد الانقسام الذي أصبح واقعاً داخل بيت المشيخة على شمر، بين الشيخ فرحان باشا والشيخ فارس باشا، فعملت السلطات التركية على تكوين حزام امني على طول نهر دجلة من ديار بكر إلى تكريت لمراقبة تحركات شمر، وحماية الملاحة النهرية بين الموصل وبغداد، والقوافل البرية بين اسطنبول وبغداد، وحزام امني آخر على نهر الفرات لمراقبة تحركات شمر وحماية طرق الملاحة في نهر الفرات، والطريق البري بين بغداد ودير الزور، كما وان الأتراك قاموا باستخدام تقنيات جديدة لقواتهم الصحراوية في مواجهة الهجمات البدوية، تمثلت في استخدام البغال في الصحراء التي تتحمل الجوع والعطش. لمطاردة البدو، واستخدام الجيش العثماني البنادق المتعددة الطلقات أمثال بنادق الشنايدر، والونشتر، ومن ثم بنادق المارتيني المتطورة، فضلاً عن وسائل البرق والاتصالات التي اجتمعت كلها على أن تجعل قوات حماية القوافل الصحراوية العثمانية قادرة بشكل اكبر على حماية طرق المواصلات، والحد من هجمات شمر والقبايل

الأخرى على القوافل، وقطع هذه الشرايين التجارية عن بغداد والموصل وحلب. (١١٥)

كان عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر هادئاً بالنسبة لشمر، حاول خلاله الشيخ فرحان أن يكون أكثر دبلوماسية مع السلطات العثمانية في بغداد، وقد شاهدت أن بلنت فرسا أصيلاً عند والي بغداد كان الشيخ فرحان قد أمداها له (١١٦)، لكن الشيخ فرحان لم يحاول منع (الخود) التي تجبى من القبائل التي تقع تحت حماية شمر، أو ضريبة الباج التي كانت تفرض على القوافل المارة في ديار شمر، ورغم الطلبات المتكررة التي كان الأتراك يوجهونها إلى الشيخ فرحان باشا للحد من هذه الضرائب، وثم إشارة أخرى في هذه الفترة أفادت بأن الشيخ فرحان وفي إحدى زيارته إلى بغداد في نهاية المبعثيات من القرن التاسع عشر فقد البصر في إحدى عينيه، نتيجة سوء تصرف أحمد آغا أحد رجاله والي بغداد، إذ أن الشيخ كان يعاني بقصر البصر في هذه العين، فقام أحمد آغا هذا ودون دراية علمية جيدة بوضع سلفات التوتياء في عين الشيخ دون أن يخففه بالماء، مما أدى إلى تلف عين الشيخ فرحان باشا. (١١٧)

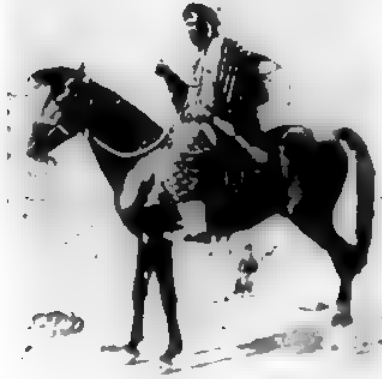
لم ينغص الصفو الحياتي لشمر خلال هذا العقد سوى ما قام به الشيخ سمير الزيدان، الذي كان قد جاء من عند الأمير محمد العبد الله الرشيد أمير حائل، بعد أن كان قد ذهب إليه في شتاء عام ١٨٧٨م مبعوثاً من قبل الشيخ فرحان باشا، بعدما كان قد حماه من الأتراك، لأن الشيخ سمير كان مع الشيخ عبد الكريم في انتفاضته، وقتل عدداً من الجنود الأتراك، لذا كان مطلوباً من قبل السلطات التركية، وكان الشيخ سمير من رجال الشيخ فرحان وتحت سلطته، عاد الشيخ سمير من حائل دون أن يحقق أي اتفاق مع الأمير محمد العبد الله الرشيد، ولم تصلنا أية معلومات عن الرسالة التي أرسلها الشيخ فرحان مع الشيخ سمير إلى الأمير محمد العبد الله، ولماذا رفض الأمير التعاون مع الشيخ فرحان. (١١٨)

(115). Ibid, p 82-83.

(١١٦). بلنت، قبائل لفرات، ص ٣٢٢.

(١١٧). نفسه، ص ٣٢٣-٣٢٤.

(١١٨). نفسه، ص ٣٢٥-٣٣١.



الأمير محمد العبدالله الرشيد (المهاد)

كما أن الأمير محمد العبد الله لم يكن احتراماً كبيراً للشيخ سمير بل شبهه امام الليدي أن بلنت (بالبعير) مما جعلها تمتعض من هذا التصرف اذ كانت تكن احتراماً كبيراً للشيخ سمير^(١١٩). ثم حدث خلاف كبير بين الشيخ فرحان والشيخ سمير الزيدان في أوائل الثمانينات. جعل الشيخ سمير يذهب ثقية إلى الأمير محمد العبد الله ويعلمه بنيته في محاربة أولاد عمومته الجرباء، رفض امير حقل مساعدته وأعاد على مسامحه ما كان قد قل من أبيات في الشيخ سمير عندما جاءه في الماضي وطلب من الأمير محمد العبد الله أن يعالونه ضد ابن عمه الشيخ عبد الكريم الجربا قبل ان يتصلحا، وتعاد المودة بينهما، فردد الأمير محمد الرشيد هذه الأبيات الشعرية:

(١١٩). بلنت، قبائل الغرات، ص ٣٢٥، رحلة إلى نجد، ص ٢٧٣.

ياسمير بن زيدان واشلك بلبلش واشلك بربعن مالك الله يطيعون
واش لك بغالي السيف تشريه بثمان اليا عك ما بالسيف راس تقصون
ويا عك ما بالبيت تسعين حراس تسعين مع تسعين وإلف يعنون
عبد الكريم الداب للسلك نهلس وإنهاز ربعك يبن زيدان ياتون^(١٢٠)

عاد الشيخ سمير إلى أرض الجزيرة ثانية دون أن يحصل على معاونة
الأمير محمد الجبد الله، وفي العام ١٨٨٤م حاول الاستحواذ على مشيخة شمر
من الشيخ فرحان، من خلال بقيامه برشوة والي الموصل كي يعترف به شيخاً
أكبر على شمر، كما حاول التقرب من سلطات بغداد التركية بعرضه عليهم
بأن لا يأخذ من الدولة أي راتب، ويقدم ضريبة سنوية للحكومة التركية تقدر
بـ ١٠ آلاف ليرة.^(١٢١)

لكن موقف والي بغداد مع الباشا فرحان أجهض هذه المحاولة، مما حدا
بالشيخ سمير الذي كان في الخمسينات من عمره أن يتجهز بقوات عشائرية
من الدليم بعد أن ذهب إليهم وأطمعهم بغزو شمر، والاستحواذ على أموالهم،
فهاجم شمر وزعيمها الشيخ فرحان باشا، لكن محاولته هذه باءت بالفشل
أيضاً، بعد أن كسرت قوات الدليم العشائرية في معركة الناظريات قرب نهر
الدجيل شمالي بغداد، من قبل الشيخ فرحان وشمر وعشائر المجمع وذلك في
أوائل الربيع من عام ١٨٨٦م، فقد هجم الدليم في هذه المعركة على شمر التي
تركت بيوتها عندما علمت بقدوم الشيخ سمير ومن معه، مما جعل عشائر
الدليم يلتهمون في نهب البيوت وأكل واخذ ما فيها من طعام وأثاث، ثم عاودت
شمر الهجوم عليهم وأنزلوا بهم خسائر كبيرة في الأرواح، دفعت عشائر
الدليم أكثر من ٦٠٠ قتيل، ومن وقع منهم في الأسر جرد مما كان معه ثم
أطلق سراحه، انسحب على أثرها الشيخ سمير الزيدان هارباً والتجأ إلى
مركز الجندرية العثماني في المشاهدة، ثم حكم عليه والي بغداد بالسجن لمدة
٦ سنوات، فتوسط له الشيخ فرحان باشا وأخرجه من السجن. بعد بقاءه فيه

(١٢٠). من التراث الشعري الشمري.

(121). Williamson, op. cit, p 93.

مدة، وقد مات الشيخ سмир^(١٢٢) في ليلة قاسية البرد، بالبادية بعد خروجه من السجن بمدة قصيرة، وتخلص الشيخ فرحان من منافس آخر كان حليفاً له في يوم من الأيام على زعامة شمر.

أما شمر التي كانت تحت زعامة الشيخ فارس أصفوك، فقد كانت خلال العقد الثامن من القرن التاسع عشر أكثر تحركاً وصداماً مع العشائر الأخرى، فقد دخل الشيخ فارس في صراع مرير مع الجراكسة الذين أسكنتهم السلطات التركية العثمانية في نهاية السبعينات من القرن التاسع عشر منطقة رأس العين، بعد أن طردتهم السلطات الروسية عن أراضيها، فأخذ هؤلاء الجراكسة يسيطرون على الأراضي الخصبة عند أعالي الخلبور، التي تعتبر مراعي ثبثة لشمر الغربية، مما أدى إلى قيام صراع مسلح مرير بين شمر والجراكسة انتهى لصالح شمر بزعامة الشيخ فارس باشا، وتم احتجاز الجراكسة في إقليم العين وما حوله، وأصبح هؤلاء الفرسان العنيدون تحت سطوة فرسان شمر.^(١٢٣)

عند العثمانيون إلى زرع الجراكسة في ضمن حمى شمر الغربية، لأجل الحد من قوة هذا التجمع القبلي، وجعل شمر في صراع دائم مع من حولها، وعدم التفكير بالتحول ومحاربة الجيش العثماني والمصلح التركي في منطقة تواجدها.

أما الصراع التقليدي بين قبائل شمر وعزرة فلم يتوقف خلال هذا العقد، ولكن أهم المعارك التي شهدتها هذا العقد بين الطرفين. ما قامت به السبغة من عزرة، عندما كان الشيخ فارس أصفوك نازلاً الجمعوط على مسافة ١٠ ساعات شمال دير الزور عام ١٨٨٥م، من غزو لشمر التي معه، واستطاعت السبغة أن تغنم ٤٠٠ بعير، بعد أن أوقعت شمر فيهم أعداداً من القتلى والجرحى، كما قتل أفراد من شمر في هذه الغزوة.^(١٢٤)

كانت السنوات الأخيرة من حياة الشيخ فرحان هائلة بالنسبة له ولشمر التي معه، ولم يحدث أي احتكاك مع السلطات العثمانية إلا عام ١٨٨٩م، حين

(١٢٢). الشاوي، مرجع سابق، ص ٧٩، لوريير، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٢١٠.

(123). Williamson. op. cit. p 93-94.

(١٢٤). العزوي، العراق بين، ج ٨، ص ٧٦.

وقع خلاف بسيط بين سلطات بغداد وشمّر، استطاع الشيخ فرحان بحنكته حله دون مشاكل،^(١٢٥) ثم دخل العام ١٨٩٠م وفيه بدأ الصراع بين شمّر والأكراد المليّة، الذي سوف نعرض له لاحقاً، وفيه أيضاً توفي الشيخ فرحان باشا وصعدت روحه إلى بارئها في ٧ ذي القعدة من عام ١٣٠٧ للهجرة الموافق ٢٤ لشهر حزيران من عام ١٨٩٠م بعد أن عيش مرضاً الم به فترة من الزمن^(١٢٦)، وتم دفنه في مقبرة مرقد الشيخ معروف الكرخي ببغداد، بعد أن قاد شمّر بكل همة وإخلاص منذ العام ١٨٤٧م، محاولاً بسياسته وقيادته الواعية أن يحافظ على أعراف وتقاليد شمّر، وأن يخلق توازناً في العلاقة بين شمّر والسلطات العثمانية.

ونود هنا الإشارة إلى إحدى أبرز خصال وسجاليات الشيخ فرحان باشا، العربي الذي أثبت نفسه الكريمة، وحسه الوطني الأصيل أن يتعاون مع أية قوة معادية لدينه وأمته، ففي أحد الأعوام زار الشيخ فرحان في مضيفه أثنين من الغرباء، وبقياً عنده مدة من الزمن، ثم أرادا الرحيل، والشيخ لم يسألهم عن سبب قدومهم والمكوث عنده، فسألاه عن سبب عدم سؤالهم، فرد عليهم الباشا بأن من عادات العرب ألا يسألوا الضيف حتى لو بقي عندهم سنين، فبينا له أن أحدهم إنكليزي، والآخر هندي، وطلبا منه أن يصبح صديقاً مخلصاً لبريطانيا العظمى، فرد عليهم بلهجته العربية الأصيلة: معاذ الله أنا رجل بدوي ولا أستطيع أن أتفق مع الإنكليز، لا بالفكرة ولا بالمعاداة.^(١٢٧)

توفي الشيخ فرحان باشا بعد أن ترك ١٦ ولداً، كان لهم ولأحفادهم النسل والعزوة في آل محمد الجربا إلى يومنا هذا وهؤلاء الأولاد:

- ١- العاصي له عقب (العواصي).
- ٢- مجول له عقب (المجول).
- ٣- جارا الله له عقب (الجار الله).
- ٤- شلال له عقب (الشلال).

(١٢٥). لوريمر، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٢١١.

(١٢٦). العزوي، لعراق بين، ج ٨، ص ١٠٣، جاسم محمد حسن العدول، الموصل في العهد الحميدي، موسوعة الموصل الحضارية (الموصل: ١٩٩٢م) ج ٤، ص ٩٩،

ويخطئ لنحاس، مرجع سابق، ص ٣٣٥، إذ يشير إلى أن التاريخ هو ١٣١١هـ.

(١٢٧). جريدة الاتحاد، بغداد، ١٩٨٦م، العدد ١١٣٦، آذار، ص ٧.

- ٥- فيصل له عقب (الفيصل).
 ٦- عبدالعزيز له عقب (العبد العزيز).
 ٧- عبدالمحسن له عقب (العبد المحسن).
 ٨- هابس له عقب (الهابس).
 ٩- ثويني ليس له عقب.
 ١٠- مطلق له عقب (المطلق).
 ١١- سلطان له عقب (السلطان).
 ١٢- الحميدي له عقب
 ١٣- بدر ليس له عقب
 ١٤- احمد له عقب الباشات
 ١٥- ميزر ليس له عقب
 ١٦- زيد له عقب



جامع الشيخ معروف الكرخي الذي دفن في مقبرته الشيخ فرحان
 باشا كما كان بناؤه في الماضي





الشيخ مطلق الفرحان



الشيخ فيصل الفرحان



الشيخ حميدي الفرحان



الشيخ بدر الفرحان



الشيخ احمد الفرحان



الشيخ زيد الفرحان

الفصل السادس

عصر الأبناء

الواقع الحياتي لشمر ١٨٩٠-١٩٠١م

أصبح التقسيم المشيخي لشمر بين شمر الشرقية والغربية أكثر وضوحاً خلال هذه الحقبة الزمنية، إذ لم يعد التماسك الشمري القوي الذي كان على عهد الشيخ صفوك موجوداً، ولو ظاهرياً على الأقل، لأن الشيخ العاصي ابن فرحان باشا الذي أصبح مكان أبيه على مشيخة شمر الشرقية أمام شمر، وأصبح الشيخ مجول الشيخ الرسمي أمام العثمانيين بعد فترة وجيزة من ذلك، مع بقاء الشيخ فارص باشا بن صفوك على مشيخة شمر الغربية أو كما يطلق عليها بشمر الزور.

لم يكن ثمة اتحاد قوي بينهما خلال هذه الحقبة الزمنية من تاريخ شمر، التي مضى على تواجدها فوق أرض الجزيرة الفراتية ما يقرب من ٩٠ عاماً، إلا في حالة تعرض شمر لأي عدوان عليها سواءً من السلطة العثمانية أو من القبائل الأخرى، أما في الظروف الاعتيادية فإن لكل منهما مشاكله الخاصة مع من معه من شمر.

ليس هناك الشيء الكثير الذي يستحق الذكر عن شمر الشرقية خلال هذه الفترة، فالشيخ العاصي بن فرحان باشا الذي يصفه ختم له (عاصي على الشيطان مطيع للرحمن، عاصي الفرحان)^(١) كان رجلاً كريماً، دمث الخلق، وفارساً شجاعاً، شاعراً جيد الشعر،^(٢) أكبر أولاد الشيخ فرحان، حاول أن يسوس شمر بحكمة. وأوجد له علاقات متوازنة مع سلطات بغداد والموصل العثمانية، فضلاً عن إبعاد شمر قدر المستطاع عن أن تخوض حرباً داخلية فيما بينها خلال هذه المدة من تاريخها الحديث، على الرغم من التدخلات العثمانية المتكررة لدب الشقاق والفرقة والخلاف داخل بيت آل محمد وبين قبائل شمر، فعلى الرغم من محاولات الشيخ العاصي تجنب الاحتكاك مع

(١). الخبر مشهور عند آل محمد والعولصي خاصة منهم، ونظر صورة الختم.

(٢). فحطان عيوش التلعفري، ثورة تلعفر عام ١٩٢٠م (بغداد: ١٩٦٩) ص ٢٤٢.

السلطات العثمانية، خاصة وأنه من أولاد الشيخ فرحان باشا الذين وقفوا ضد الاستقرار الريفي لشمر. (٦)

ومنذ أول شبابه سكن الشيخ العاصي وأخوه مجول البادية، ولم يسكنوا مع أبيهما الشيخ فرحان قلعة الشرقاط^(٧)، وكان لا ينظر إلى العثمانيين بعين الرضا والاحترام بقدر ما كان يود تجنب الخوض في صدام مسلح مع ولايتي بغداد والموصل، وعلى العكس من ذلك حاول أن يظهر للسلطات العثمانية أنه مع ما تصدره سلطات بغداد والموصل من أوامر وقرارات، في حين كان الشيخ مجول بك قد اجتمع مع الوالي حسن رفيع باشا، وقدم له اعتذاراً عن بعض تصرفات قسم من قبائل شمر، ورد ما نهب من بعض القوافل^(٨)، واتفق معه بأن يقدم للحكومة العثمانية ما توجب على شمر من ضرائب سنوية بأمر من الشيخ العاصي، وأن يحاول الحد من هجمات بعض من قبائل شمر على طرق المواصلات، والقوافل التجارية، وهذا ما فعله الشيخ مجول في عام ١٨٩٧م بأن شن حرباً على الصايح من شمر عندما ثارت عليه بعد منعه لهم من التعرض للقوافل وطرق المواصلات. (٩)



الوالي نامق باشا



الوالي الحاج حسن باشا

- (٣). مؤلف مجهول، فصل من كتاب عن تاريخ شمر يختص بحياة الشيخ عجول الباور، نسخة مصورة لدى الباحث، ص ٢٨.
 (٤). بلنت، قبائل الفرات، ص ٢٢٢.
 (٥). جريدة الزوراء البغدادية، العدد ١٤٨٥، بغداد، ٢٦ ربيع الثاني المصادف لـ ٢٩ تشرين ثاني ١٨٩٢م.

(٦). Williamson, Op. cit, p٩٤.

وفي محاولة من الشيخ مجول لأجل مساهمة السلطة العثمانية وتنفيذ أوامرها، من خلال طلبها إرسال أبناء شيوخ العشائر إلى اسطنبول، أرسل أخاه الشيخ الحميدي بن فرحان باشا للدراسة في مدرسة العشائر التي افتتحت عام ١٨٩٢م، وهذا المكتب قد أنشأه السلطان عبد الحميد الثاني لأبناء العشائر، وكان يقبل فيه الطلاب بين سن ١٢ إلى ١٦ عام، يتقاضى الطلاب فيه في السنة الأولى ٣٠ قرشاً كل شهر، ويربون ويعلمون على النمط التركي في الحياة، وليكونوا تحت نظر الحكومة في اسطنبول.^(٧)

فذهب إليها الشيخ الحميدي مع بعض من شيوخ العشائر العراقية ومنهم علي السليمان شيخ الحليم، وسليمان بن نليف أمير ربيع، وعجيل بن علي السمرمد شيخ الزبيد في نفس العام^(٨)، وأطلق العثمانيون على هذه المدرسة (مكتب العشيرة الخاص)^(٩)، وقد مكث الشيخ الحميدي في هذا المكتب مدة ٥ سنوات.^(١٠)

بقيت سلطات بغداد والموصل تثير المشاكل للشيوخ العاصي ومجول، ففي العام ١٨٩٩م حدث خلاف بين الشيخ مجول وأخيه الشيخ شلال، حول والي الموصل استغلاله حينما أعلن عن عزل الشيخ مجول من مشيخة شمر، وتعيين الشيخ شلال مكانه^(١١)، ولكن الأخير رفض هذا العرض وبقيت المشيخة بيد أبي الهادي الشيخ العاصي وأخيه الشيخ مجول، وفي نفس العام أي ١٨٩٩م ذهب الشيخ مجول إلى بغداد وعقد اجتماعاً مع واليها نامق باشا تم خلاله إنهاء كل المشاكل بين شمر والحليم، وتم الصلح بينهما، مما جعل والي نامق باشا أن يمنح الشيخ مجول وساماً مجيداً من الدرجة الخامسة ولقب (بيك)، مع لقب قبوجي أي شيخ الباب.^(١٢)

(٧). لوينهايم، رحلتي، ج ٢، ص ١٠٢-١٠٣.

(٨). العزوي، العراق بين، ج ٨، ص ١١٩.

(٩). لعدول، لموصل في عهد الحميدي، ج ٤، ص ٩٨.

(١٠). جريدة الزوراء البغدادية، العدد ١٥٢٣، بغداد، في جماد الأولى من عام ١٣١٠هـ.

لموافق لـ ٢٦ كانون أول ١٨٩٢م.

(١١). Williamson, Op. cit, p. ٩٤.

(١٢). لعدول، لموصل في عهد الحميدي، ج ٤، ص ١٠١.



وجهاء الموصل مع واليها العثماني عام ١٩٠٦ م

وفي خريف هذا العام أي ١٨٩٩ م وعندما كان قسم من قبائل شمر في مشتابا عند البغيلة (النعمانية) حلياً، أغارت عليها عشائر المنتفك بقيادة شيخها سعدون باشا الأشقر، فشنت شملها وهي آمنة في مشتابا، مؤكداً بذلك تحديه للسلطات العثمانية التي كانت تلاحقه للقضاء عليه وعلى القوة التي كانت معه، بعد أن كان قد تمرد على هذه السلطات، وأصبح مطلوباً وملاحقاً من قبلها، بعد هذا الاعتداء غير المبرر على شمر وقف الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد له بالمرصاد، إذ غزى أراضى المنتفك وسيطر على بلدة الخميسي، المقر الرسمي لمشيخة المنتفك، وانتصر على سعدون باشا الأشقر في معركة تل اللحم، أخذاً بذلك بثأر شمر الذين غزاهم سعدون ومعه المنتفك في البغيلة، وغنم منهم غنم كبيرة من المواشي والجمال، مع أموال كثيرة وعاد بها إلى حائل. (١٦)

وفي إطار العلاقات الودية التي تربط شمر الجزيرة مع شمر نجد ضمن أطر صلة القرابة، ومعرفة أمراء حائل من آل الرشيد لحقوق آل محمد الجربا عليهم، فإن الرحلة بين الجزيرة ونجد بالنسبة لشمر لم تنقطع مذ أن أسس الرشيد إمارتهم في حائل، فكانت قبائل اسلم وعبد في ترحال مستمر بين أرض الجزيرة ونجد خلال القرن ١٩ وأوائل القرن ٢٠، وكان خورشيد

(١٣). السعدون، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

باشا بن محمد علي قد أشار في إحدى رسائله إلى والده انه من الصعوبة
بمكان السيطرة على قبائل شمر التي في نجد، لأنه إذا ما حاول السيطرة
عليها فأنها سوف تذهب إلى أبناء عموماتها شمر التي في العراق، وكذلك
العكس إذ ما تعرضت قسم من قبائل شمر على ارض الجزيرة الفراتية إلى
أي ضغط عسكري، نراها تتجه إلى آل رشيد في جبل شمر. ^(١٤)



سعدون الاشقر شيخ المنتفك

كما أن تجارة الخيول العربية كانت مزدهرة بين شمر التي على
ارض نجد وشمر الجزيرة، ويتم نقل الخيول وبيعها من قبل الشمامسة من كلا
الجهتين، وتعد قبائل شمر وعنزة والصفير من القبائل العربية الرئيسية التي
حضت الخيول العربية برعاية خاصة لديها في ذلك الوقت، وتمتلك سلالات
من الخيول العربية الأصيلة، وكانوا لا يبيعون الفحول إلا بعد السنة الثالثة من
عمرها، لأنها في هذا السن تكون صالحة للخدمة، أما الأفراس فلا تباع
ويحتفظ بسلالاتها الأصيلة التي منها: صقلاويه جدران، صقلاويه نوبير،
هدبة عنزة، هدبة البردويل، حمدانية سمري، كحيله، معكبه، طويسيه،
كروش، عبيه. ^(١٥)

(١٤). ن. براى، مغامرات لجنم في لعراق والجزيرة العربية، (بغداد: ١٩٩٠م) ص ٣٨،

عبد الرحيم، من وثائق شبه الجزيرة، ص ١٨٠.

(١٥). أن بلنت، الطريق إلى نجد، ص ٢٠٠، بطرس حداد، رحلة تايلر إلى العراق، مجلة

لمورد، بغداد، ١٩٨٢م، مجلد ٨، عدد ١، ص ٧٣.

في ضوء هذه العلاقات المتينة بين شمر الجزيرة وشمر نجد، قام الشيخ العاصي بزيارة ودية للأمير عبد العزيز الجنازة قبل عام ١٩٠١م، وفي أثناء هذه الزيارة وبسلوك غير منتظر من ابن رشيد، لم يتواجد في ديوانه عند علمه بتقوم الشيخ العاصي، كي لا يقوم في وجهه إكراماً له، بل توارى عن الديوان إلى أن دخل الشيخ العاصي وجلس، ثم أتى للسلام على أبي الهادي الذي علم بأمر هذا الأمير بفطنته وذكاءه، خاصة بعد أن طلب الأمير عبد العزيز من خدمه أن يقدموا للشيخ العاصي تمر منطقة الجوف، كي يظهر له أن آل رشيد أصبحوا مسيطرين على الجوف، وأنهم قضوا على آل سراح حكامها من الجربان أولاد عمومة الشيخ العاصي، مما حدا به أن يكتب بعض الأبيات الشعرية المعتبة للأمير، وجعل الشاعر عبد الله ابن حرشان يلقيها عنه:



الأمير عبد العزيز بن متعب الرشيد (الجنازة)

يهل لركاب وركابكم والماتي
بيض الملاجد مبعثات المباتي
ولاتفيض حط وباه وفاتي
يا امير ما حنا عليكم بداتي
كل يوم حنا عليهن عدااتي
يتلن عجبون ضاربن للمعادي
عبدال الحمودي يذهبون الفتاة
وربعي هل الطولات وأصل شغاتي
يشدن حمام الرسل ما يجيلن ساس
ويشدن نعام جفله حس الأوناس
جن لابعه مع نسمة العصر نسناس
سجه ولا حنا على الزير جلاس
ياما حنونا من حليات الأجناس
ببسلفته تلقى بها الخلق نساس
وبدق القهواي علبوا كل حماس
ويا امير ترانا من عواهل بني ياس^(١٦)

وعلى أثر هذه الزيارة غير الموقعة عاد الشيخ العاصي إلى أرض
الجزيرة ليواصل حياته المعتادة في قيادة شمر مع الشيخ مجول، والشيخ
العاصي شاعر جيد الشعر وله العديد من الأبيات الشعرية نذكر هنا بعضا
منها:

من دور سائلم والشريف
حنا جما غشش العراق
ما حنا للجاسي لبيان
نلحق على طول الزمان^(١٧)

وله أيضا

ياخشتم قلل للمعدي
بصرر ونلخذ ثارنا
جروح كان انك نسيت
الصبرج وما هو بالميريت
من فوق خيل مكرات
من فوقهن بعث وشريت^(١٨)

وله في النصح:

(١٦). من التراث الشعري لشمر.

(١٧). الظاهري، مرجع سابق، ص ١٨٤.

(١٨). نفسه، ص ١٨٥.

أما شمر الزور، التي كانت تحت زعامة الشيخ فارس باشا، وبعد أن حقق نصراً حاسماً بمساعدة الشيخ عاصي الفرخان مع من معه من شمر على الجراكسة في منطقة جزة شرقية القامشلي من أرض الجزيرة، وقتل قائدهم موزي باشا، الذي كانت السلطات العثمانية مساندة له، استقر الوضع الإقليمي لصالح شمر عند هذا الجزء من أرض الجزيرة، ولكن لفترة وجيزة من الزمن، إذ أن والي الموصل وديار بكر لم يرق لهما أن تعود شمر إلى عصرها السابق. كقوة مهيمنة على أرض الجزيرة دون منافس قوي لها، وتعود لتصبح صاحبة اليد العليا في التحكم بموارد هذا الإقليم التجاري الحيوي.

لذا فقد قامت السلطات العثمانية بتهيئة عدو جديد لشمر شرس وقوي، وذو خبرة عسكرية جيدة، ويتمتع بدعم من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٢-١٩٠٩م) نفسه، هو إبراهيم باشا الملي الذي عينه السلطان قائداً للقوات الحديدية الكردية، متخذاً من قيران شهر مقراً له في الجزء الجنوبي من الأناضول، وحمل لقب مير ميران (أمير الأمراء) الأكراد من قبل السلطان^(٢٠)، وقد وجه العثمانيون إبراهيم باشا كي يحاول جر شمر الزور إلى صراع عسكري للحد من قوتها وقوة شيخها فارس، خاصة بعد أن ازداد نفوذها وسلطانها على الأقاليم الشمالية للجزيرة، بعد إلحاقها الهزيمة بالجراكسة، وانشغال شمر التي تحت قيادة الشيخ العاصي ومجول في خلافاتها الداخلية، خاصة بعد اتساع الخلاف بين الشيخ العاصي وأخيه جار الله، وانقسام قبائل شمر بينهما في الولاء.^(٢١)

قام إبراهيم باشا بأعداد قواته من الأكراد المليّة، وعدد من القبائل الكردية والعربية من السبعة والقدعان العنزية وغيرها النازلة أراضيّه، ثم أخذ بالتحرش بشمر الزور، وذلك بشن الغارات التعرضية على مضارب شمر، ونهب قطعان أغنامها وإبلها في إقليم العين وأعلى الخلبور، مما حدا بالشيخ فارس أن يدخل في صراع عسكري مباشر معه، فوجه ابن أخيه الشيخ علي العبد الرزاق (علي الشيوخ) مع قوة من شمر لمواجهة إبراهيم باشا في

(٢٠). محمد علي بك إبراهيم باشا، أمير أمراء كردستان، تحقيق د عبد الفتاح البوناني

وعلي صالح الميرلاني (ربيل: ٢٠٠٩م) ص ٥٩.

(٢١). مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ١٥، ١٩.

حدود عام ١٨٩٨م، ولكن الفرسان الشامرة لم يستطيعوا أن يواجهوا خطط وحيل إبراهيم باشا العسكرية، وسقط الشيخ علي (الشيخ) بيد إبراهيم باشا أسيراً، فأرسل إلى اسطنبول. وبقي هناك فترة قصيرة من الزمن ثم عاد إلى مضارب عمه الشيخ فارس، ليثمن غارة ثلثية على إبراهيم باشا، ويكون نصيبها الفشل أيضاً، مما دعا الشيخ فارس أن يطلب العون من الشيخ العاصي وشمر التي معه لمساندته ضد هذا العدو الشرس، الذي كان يلعبه العرب بالحوث، واخو نورة، وخيل الشطة^(٢٢)، فكان ما أراد. وتجمعت قبائل شمر كلها تحت قيادة العاصي وفارس باشا بن صفوك واتجهت نحو قيران شهر لتسديد ضربة شديدة إلى إبراهيم باشا وقواته.^(٢٣)



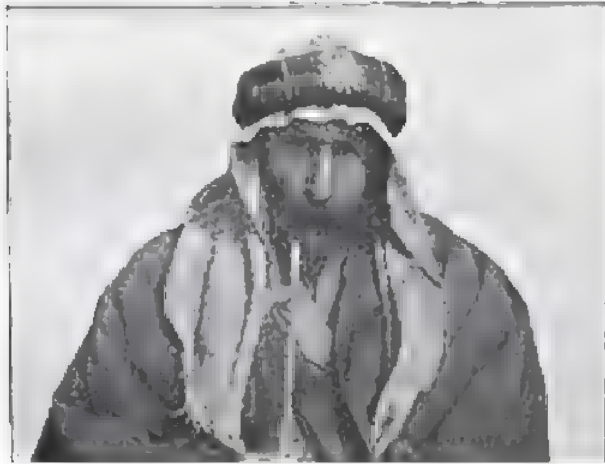
مدينة قيران شهر

وهنا كان دور السلطات العثمانية في دعم الباشا إبراهيم، إذ أرسلت له السلطات التركية في الموصل ودير الزور المعلومات الكاملة عن القوة الشمرية المتحركة، علاوة على إرسال بعض القطعات من الجيش العثماني لمساندته ضد شمر، وهذا ما أكدته إحدى لوثائق العثمانية التي نشرت حديثاً^(٢٤)، وعند وصول القوات الشمرية إلى الأطراف الشمالية لنهر الخابور كان

(٢٢). إبراهيم باشا، مرجع سابق، ص ٥٩، ٧١.

(٢٣). Williamson, Op. cit, p. ٨٨-٨٩.

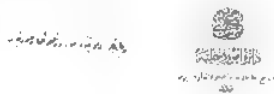
(٢٤). Ibid ، p٨٩.



مير میران ابراهيم باشا الملي



جيش ابراهيم باشا الملي

[illegible]

وثيقة عثمانية صادرة عام ١٩٠١م تبين مساندة الدولة لبراهيم باشا العلي ضد شمر

(٢٥). أوبنهايم، البو، ج ١، ص ٢٢٦.

(٢٦). زكريا، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٢٥، إبراهيم باشا، مرجع سابق، ص ٧٠.

شمر قبيل الحرب العالمية الأولى ١٩٠١-١٩١٤م

مع بداية القرن العشرين وبعد مرور أقل من ١٠٠ عام على وصول شمر إلى أرض الجزيرة الفراتية واستقرارها فيها، لم يعد لهذا التجمع القبلي نفس القوة والمسطوة التي كانت عليها شمر عند قدومها، على عهد الشيوخ فارس وصفوك وفرحان حتى إعدام الشيخ عبد الكريم الجربا، والتي أطلق عليها العثمانيون لقب (دمير قابو) أي الباب الحديدي، نتيجة لاتساع قوة وسطوة شمر، فوفاة الشيخ فارس باشا بن صفوك في شتاء عام ١٩٠٢م ودفن في الطلير قرب نصيبين، الذي كانت قد نحدثت عنه اليدي آن بلنت بكثير من التقدير والإعجاب من بين شيوخ العشائر الذين التفت بهم، دونما أن يترك وريثا للزعامة من أبنائه، خاصة وان ابنه مثل باشا كان لا يزال صغيرا، انتقلت قيادة شمر الزور إلى أولاد الشيخ عبد الكريم الجربا وأخيه الشيخ عبد الرزاق، الذين يطلق عليهم (الشيوخ).

وبرحيل الشيخ فارس باشا عادت الوحدة القبلية إلى شمر ظاهريا، إذ أصبح الشيخ عاصي الفرحان هو الشيخ الفطحي على شمر قاطبة، أي بقسميها الشرقي والغربي، ولكن في هذا التاريخ أضحت سلطته على قبائل شمر هشة إلى حد ما، لكثرة أبناء الباشا فرحان وأبناء الشيخ عبد الكريم الذين أصبحوا في هذه الحقبة الزمنية شببا، لهم طموحتهم ونواياهم الخاصة.

بقيت العلاقات الودية قلعة بين الجربا وشيوخ شمر والأمير عبد العزيز المتعب الرشيد أمير حائل، إذ حدثت في ١٧ آذار من عام ١٩٠١م معركة الطرفية كما تسمى أو الصريف بين الأمير عبد العزيز الجبازة والشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت، الذي جمع أكثر من ٣٠ ألف مقاتل من عشائر الحوازم والرشيدة والمنتك، ومعه الأمير عبد الرحمن بن فيصل آل سعود وابنه عبد العزيز ومن معه، وال أبي الخيل ومن معهم من أهل بريده، وبعض المدن النجدية، واتجه بهم نحو بلاد القصيم من ارض نجد، لأجل محاربة الأمير عبد العزيز والقضاء على إمارة شمر في حائل.

كان ابن رشيد قد جمع قواته على ماء الصريف قرب التتومة من ارض القصيم، واغلب قواته كلفت من شمر، ومنها قوات من شمر الجزيرة أرسلها الشيخ العاصي وإخوانه عوناً للأمير عبد العزيز في حربه مع مبارك الصباح، استطاع ابن رشيد أن يجمع قوات تربو على ١٢ ألف مقاتل أغلبهم من الفرسان، وجاء ابن صباح ونزل الطرفيه، وهي قرية تبعد ساعة عن ماء الصريف. (٢٧)



الملك عبد العزيز آل سعود



الشيخ مبارك الصباح

وبعد ظهر يوم ١٧ آذار من عام ١٩٠١م حدثت المعركة بين الفريقين، انتصر فيها الأمير عبد العزيز ومن معه من شمر انتصاراً ساحقاً على الشيخ مبارك الصباح ومن كان معه، وشتت ابن رشيد قوات ابن صباح بشجاعته ومعاضدة شمر له، وقتل من جيش ابن صباح ٧٠٠ قتيل و١٥٠ أسيراً، قتلوا بعد المعركة، وهرب ابن صباح مهزوماً نحو الكويت واعلق عليه أبوابها خوفاً من الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد، كما انهزم معه سعدون باشا الأشقر أمير المنتفك ومن كان معه، فضلاً عن الأمير عبد الرحمن الفيصل آل سعود وابنه عبد العزيز الذي اتجه بعد ذلك نحو الرياض،

(٢٧). يعقوب عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت (بيروت: ١٩٧١م) ص ١٦١-١٦٢.

بمن كان معه، في حين عاد من كان في المعركة مع الأمير عبد العزيز من
شمر الجزيرة إلى موطنهم ظافرين منتصرين. (٢٨)

وفي هذه المعركة يقول الأمير عبد العزيز الجنازة:

يا هيه ياراكب المرسول سلم على ساهر العيني
كلهن ابن صباح وابن سعدون وابن سعود وأبا الخياي
كسرتهم والعنود مهول بعيل شمر على الخياي
اركض كما شوشة المجنون ودم الجنائز كما السيل (٢٩)

وفي قصيدة أخرى يقول الشاعر العزي يصف فيها المعركة:

بامزنة غرا نشت من مغييه ترعد وتبرق ساقها رب الأرباب
ترمي السخط على من نصييه بأركلها تسمع كما ضرب الأطواب
همت ودمت واندلهمت غضبيه أسننلت بالي للأرواح جذاب
تبغي الحريب اللي دنا من حريبه ابن صباح اللي تعرض بالأسباب
من كل غواص وسيب يجيبه ويالي احملون السمك زاد حراب
وعريب الدار وكل من يلتجي به وراعي النفاق ومالوج الدين ما غلب
ومجموعة العجمان والي حضي به مع الدويش واتلاههم والأجناب
والمتفلك وابن شريم ونسييه وسكاته النقرة وسالم وغصاب (٣٠)

في العام ١٩٠٢م أرسل الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد ابن عمه
ماجد بن حمود الرشيد إلى الشيخ العاصي الفرخان، طالبا منه المعونة بإرسال
عدد من فرسان شمر معه، لأن أهل العارض في نجد كانوا قد شقوا عصا
الطاعة على الأمير عبد العزيز، وانضموا إلى الأمير عبد الرحمن بن فيصل
آل مسعود، وبقي الأمير ماجد بن حمود شهرين في ضيافة الشيخ العاصي،

(٢٨). العزوي، مجموعة الكبرى، ورقة ٤٨، لوريمر، مزجع سابق، ج ٣، ص ١٥٤٠-

١٥٤١، ١٦٩٤، لسعدون، مرجع سابق، ص ٢٣٢، للخصيري، مرجع سابق، ٢٣٤.

(٢٩). من التراث الشعري الشمري.

(٣٠). نفسه.

ولكنه رفض أن يرسل فرسان من شمر إلى ابن رشيد، متعللاً بان الأمير عبد العزيز لم يحسن معاملته القوات التي آتته من الجزيرة وناصرته في معركة الصريف، فعاد الأمور ماجد إلى نجد بدون قوات من شمر الجزيرة^(٣١)، وفي هذا العام أي ١٩٠٢م قامت شمر التي تحت إمرة الشيخ العاصي بمساعدة عشائر المسعود قرب كربلاء ضد غزو عزة لها، واستطاعت كسر قبائل عزة الغازية^(٣٢).

استمر الخلاف الداخلي لشمر الذي تحت قيادة الشيخين العاصي ومجول، وكانت السلطات العثمانية في بغداد والموصل تشجع هذه الخلافات وتعمل على إشعال نارها كلما حاول الشامرة إطفاءها، لأجل إضعاف شمر ووضعها تحت السيطرة، وعدم عودة هذا التجمع إلى سابق قوته ونشاطه في أرض الجزيرة، فسر العثمانيون بالخلاف العللي الذي حدث بين الشيخ جار الله وأخيه العاصي عام ١٩٠٢م، مما أوقع حروباً بين قبائل شمر، وخلال هذه السنوات حاولت السلطات العثمانية احتجاز الشيخ العاصي في الموصل عام ١٩٠٤م، مما جعل الشيخ الهادي بن العاصي يحاصر المدينة ويطلق أباه من أيدي السلطات التركية^(٣٣)، وفي نفس العام أي ١٩٠٤م قام الشيخ الهادي بطرد (أبا الخيل) أحد قطاع الطرق في الصحراء واسمه عبد المحسن المهنا، والذي كان محبوساً في حائل عند الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد، ثم هرب وغزا عانة وراوة، وحاول غزو الجزيرة، فهزمه الشيخ الهادي ورحله منها^(٣٤).

لقد استمرت الحرب الداخلية بين الشيخين العاصي وجار الله إلى العام ١٩٠٥م عندما هدأت الأحوال عقب هذا التأريخ، بعد ما ذهب الشيخ الهادي بن العاصي ضحية لهذا النزاع الداخلي، إذ سقط صريعاً برمح آتاه عن بعد في إحدى غزواته على الجار الله ومن معه، الذين كانوا يتحاشون الاصطدام

(٣١). العزوي، لمجموعة فكرى، ورقة ٥٢.

(٣٢). لوريير، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٢١١.

(٣٣). عبد الجبار الرلوي، مذكرات عبد الجبار الرلوي (بغداد: ١٩٩٤م) ص ٩.

(٣٤). نفسه، ص ٩-١٠.

مع الشيخ الهادي، لصلة القرى بينهم، ولكن شاء القدر أن يسقط الهادي برمح
(٣٥) على يد أحد رجال الثابت (فهد بن شخير الوضيحي). (٣٦)

كان لمقتل الشيخ الهادي وقعه القاسي على الشيخ العاصي، الذي كان
يعد الهادي لخلافته على رئاسة شمر، وقال في رثائه العديد من الأبيات
الشعرية ومنها:

مرحوم يا مبيت لنا يذكّر لنا تحت الثرى
يا الهادي يا بئسك تقوم وتشوف عقبك ويش جرى (٣٧)

وقال فيه أيضا:

يا الهادي ما نسى عبرتك كود الجمل ينسى الهدير
من عقب فقدي سربتك الدنيا من عقبك تدير
يا ما وقع من حربتك راس مع السرية كبير (٣٨)

وفي الهادي ناصحا:

يا الهادي هذه مكوني ما هي مكوة خطو الولد
تري لايتك غوش اليمن ما هم مجمع بن بلد
يا الهادي يظفر الهداد من جيت في وجهك سعد (٣٩)

لقد جعل هذا الوضع الذي وصلت إليه شمر خلال السنوات الأولى
من القرن العشرين أحد الكتاب الأجانب يقول: إن شمر التي سادت الجزيرة

(٣٥) Williamson, Op. cit, p٩٥. (٣٥)

(٣٦). الظاهري، مرجع سابق، ص ١٦٨.

(٣٧). نفسه، ص ١٧١.

(٣٨). نفسه، ص ١٧١-١٧٢.

(٣٩). نفسه، ص ١٧٣.

الفراتية بقوتها وعظمتها، أضحت في هذه الحقبة الزمنية وقد مزقتها المنافسة على المشيخة بين أولاد فرحان باشا، وخسارتها أمام إبراهيم باشا الملي. ^(٤٠)

بقي وضع شمر غير المستقر على أرض الجزيرة الفراتية حتى عام ١٩٠٨م، عندما سيطر الاتحاديون على مقاليد الحكم في استنبول، وتم عزل السلطان عبد الحميد الثاني، وبذلك سقطت كل الزعامات التي كانت تتحرك باسمه، ومنها قائد لقوات الحميدية إبراهيم باشا الملي، إذ فقد هذا الباشا الدعم الرسمي والعسكري العثماني الذي كان يتلقاه، هو وأتباعه من الأكراد المليية ومن تبعهم من الأكراد، من خلال القوات الحميدية قبل سقوط السلطان عبد الحميد الثاني، لذا فإن هذا القائد الكردي لم يستطع أن يقف في وجه فرسان شمر، الذين شنوا عليه حرباً ثأرية حاسمة في العام ١٩٠٨م، وهزموه بقيادة الشيخ علي العبد الرزاق، وقاموا بمطاردته حتى تم قتله عند قرية صفية شمال شرق أرض الجزيرة الفراتية. ^(٤١)

على اثر هذه الهزيمة عادت بيوتات الزرعة من الثابت (سنجارة) إلى حاضرة شمر، بعد أن كتلت قد التجأت إلى المليية عقب مقتل الشيخ الهادي، ثم بقيت مدة عند الفدعان من عنزة، وانتهى بذلك هذا الخلاف الداخلي بين قبائل شمر الشرقية. ^(٤٢)

رغم المشاكل الداخلية التي عايش شمر حتى عام ١٩١٠م، فإن هذا التجمع القبلي الضخم الذي كان يضم حوالي ١٥٠ ألف نسمة ^(٤٣)، كان يشكل خطراً على طرق المواصلات النهرية بين الموصل وبغداد، والطريق التجاري بين حلب ومدن العراق بين فترة وأخرى، إذ بقيت تهاجم بعض من قبائل شمر هذه الطرق وتقوم بالتعرض للقوافل التجارية أو للمساافرين، ولم تستطع السلطات العثمانية ولا الشيخ مجول الحد منها، كما أن العداء المستحكم بين قبائل شمر وعنزة لم يتغير خلال هذه السنوات، وكنت هناك

(٤٠). ستيفن ممسلي لونكريك، العراق لحديث، (بغداد: ١٩٨م) ج ١، ص ٥١، ٩٩-١٠٠.

(٤١). هذه الرواية مشهورة ومعروفة عند شمر وشيوخها الجريا.

(٤٢). Williamson, Op. cit., p ٩١.

لظاهري، مرجع سابق، ص ١٧٨.

(٤٣). البرت فتشاشغولي، العراق في سنوات الائتلاف (بغداد: ١٩٧٨م) ص ٤٤.

غزوات متبادلة بين الطرفين، كما أن السلام والاستخدام المشترك للمراعي قد ظهرت بوادره بينهما، وذلك في عام ١٩١٠م، كما أشار إلى ذلك الكولونيل لجمان في رحلته إلى أرض الجزيرة الفراتية.^(٤٤)

نتيجة لعدم قدرة الشيخ العاصي على منع تعرض أفراد شمر لطرق المواصلات ورغبته في التدخل بشؤون شمر الداخلية، قام والي بغداد ناظم باشا في نهاية عام ١٩١٠م بوقف التعامل مع الشيخ العاصي، ورفض مشيخته على شمر، وتعامل فقط مع أخيه الشيخ مجول، أملاً منه في أن يكون الشيخ مجول أكثر قدرة على ضبط قبائل شمر، والحد من هجماتها على القوافل التجارية، وفرض الضرائب عليها، لاسيما وأن شمر في هذا التاريخ أي ١٩١٠م كانت قد هاجمت صورته، إحدى القرى التابعة للأُملاك السلطانية. بقيادة الشيخ علي البدر الرزاق ونهبته، فضلاً عن منع شمر من إرسال الأغنام ضمن التجارة المتبادلة بين الموصل وحلب.



السلطان عبد الحميد الثاني

كما قامت بعض قبائل شمر بالاستيلاء على حوالي ٢٠ رأس غنم، ومبلغ من المال يقدر بـ ٦ آلاف ليرة تركية من تجار الموصل، لامتناعهم عن دفع ضريبة المرور التي تأخذها شمر بأمر من الشيخ العاصي^(٤٥)، كما أشارت إلى ذلك الوثائق العثمانية، ولكن الشيخ مجول لم يستطع أن يفعل شيئاً

(٤٤). بري، مرجع سابق، ص ٣٥.

(٤٥). T. C Basbakamlak ، Op. cit, p. ٣١٨-٣١٩.

مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ٢٦، ٢٩.

تجاه هذا الأمر^(٤٦)، فقرر والي بغداد ناظم باشا إرسال قسم من الجيش العثماني السادس المكون من فرقتي مشاة وفرقة خيالة مع تشكيلة مدفعية^(٤٧)، مع عدد من رجالات القبائل في حملة عسكرية ضد شمر، تحت قيادة حمصن رضا بك رئيس الأركان في بغداد، وتحت إمرته ٢٠٠٠ مقاتل، في جو فارس البرودة، وذلك في ٢ من كانون الثاني عام ١٩١١م، والتقى رضا بك مع قواته بالفرسان الشامرة الذين بلغ عددهم ٤ آلاف رجل تحت قيادة الشيخ العاصي ومجول وشلال قرب الحضر، واتفق الجانبان على أن توقف شمر هجماتها على القواقل، وأن تدفع غرامة إلى ولاية بغداد تقدر بـ ٧ آلاف ليرة تركية، مع عدد من الإبل والأغنام، وانتهت بذلك هذه الحملة التركية على شمر بعد أن حصلت حكومة بغداد على ضريبة الكودة من شمر لعشر سنوات ظلت.^(٤٨)



الشيخ مجحم بن مهيد (عنزة)

وفي هذه السنة أيضاً أي ١٩١١م: تعرضت قسم من قبائل شمر التي كانت نازلة أطراف الموصل لغارة من قبل الفدعان من عنزة، تحت قيادة مجحم بن امهيد، وغنموا أعداداً من الإبل تعود للشيخ فيصل بن فرحان

(٤٦). محمود، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٤٧). لونكريك، العراق، ج ١، ص ١٧، فؤاد قزنجي، العراق في لوائح البريطانبة ١٩٠٥-١٩٣٠م (بغداد: ١٩٨٩م)، ص ٦٨.

مس بيل، مرجع سابق، ص ١٣٣. Williamson, Op. cit, p٩٥, (٤٨).

باشا^(٤٩)، وبذلك نقض الفدعان بقيادة مجحم بن امهيد الاتفاق الذي كان معقودا بين الفدعان وشمس في وقف الغزو، وعدم اعتداء احد الطرفين على الآخر.

لكن ولاية بغداد لم تكف عن التدخل في الشؤون الداخلية لشمس ومشيختها، ففي ١٨ نيسان من عام ١٩١٢م قام والي بغداد بعزل الشيخ مجول عن مشيخة شمس، وقام بتعيين أخيه الشيخ حميدي^(٥٠)، الذي كان أكثر ثقافة وارتباطاً بالسلطات التركية، حتى أن المس بيل قالت عنه: أننا وجدنا الشيخ حميدي منحازاً بشكل حازم إلى الأتراك عند احتلالنا بغداد، فالشيخ حميدي كان رجلاً متديناً تقياً وكان يحفظ صحيح البخاري عن ظهر قلب.^(٥١)

لقد أدى التدخل الجديد إلى قيام الشيخ مجول ومن معه من قبائل شمس بالتمرد على السلطة التركية، وأخذ بشن الغارات على القوافل التجارية وطرق المواصلات بين الموصل وبغداد، وعلى قوات حماية الطرق التركية، ساندته في تمرده هذا أخوه الشيخ فيصل، الذي عاد لتوه من أرض نجد التي رحل إليها في شتاء عام ١٩١٢م لإعادة أخيه الشيخ ثويني، الذي كان قد قضى فترة طويلة من الزمن في أرض نجد، وشارك مع الأمير سعود بن عبد العزيز المتعبد الرشيد في معركة الجميمة التي حدثت عام ١٩١٠م مع الشعلان، والتي هزمت فيها الرولة هزيمة قاسية على يد شمس والأمير سعود الرشيد، فعاد به وأخذ بمساعدة الشيخ مجول في تمرده على سلطة ولاية بغداد.^(٥٢)

فضلا عن قيام أولاد الشيخ عبد الكريم بالإغارة على إحدى قوافل الملح التي كانت قادمة على طريق الموصل حلب، فوُقفوا ١٠٠٠ جمل، وأخذوا ١٥٠٠ قرش من قائد القافلة، ومنعوا تجارة الملح على هذا الطريق لفترة من الزمن.^(٥٣)

(٤٩). مجلة لغة العرب، بغداد، مجلد ٢، ص ٧٤.

(٥٠). موسيل، الفرات الأوسط، (بغداد: ١٩٩٠م) ص ٨٠.

(٥١). محمود، مرجع سابق، ص ٢٤، مس بيل، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٥٢). موسيل، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٥٣). T. C. Basbakamlak, Op. cit, p. ٢٣٥.

استمر هذا الوضع غير المستقر بين سلطات بغداد وشمّر حتى قيام الحرب العالمية الأولى، في تموز من عام ١٩١٤م، وظلت المشيخة رسمياً بيد الشيخ الحميدي أمام السلطة العثمانية ببغداد، في حين بقي الشيخ العاصي هو شيخ مشايخ شمّر في أرض الجزيرة، وقام الشيخ الحميدي وأخوه بدر بزراعة الفرحانية الأرض التي كان العثمانيون قد أقطعوها للشيخ فرحان باشا من قبل، في حين قام الشيخ عجيل الياور بزراعة قرية نجمة قرب الشرقاط مع أحد تجار الموصل محمد النجفي^(٥٤)، وهذا أول تحرك يقوم به شيوخ من آل محمد الجربا نحو التوطن وزراعة الأرض خلال القرن العشرين.



الشيخ حميدي بن فرحان باشا



الشيخ فهد بك بن هذال شيخ العمارات من عنزة عام ١٩١٤م

(٥٤). مس بيل، مرجع سابق، ص ١٦٤.

شمر خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى في تموز من عام ١٩١٤م لم يكن لهذا الحدث العلمي أثر واضح على أوضاع شمر في أرض الجزيرة الفراتية، فقد كانت المشيخة أمام شمر للشيخ العاصي الذي حاول العثمانيون اعتقاله عام ١٩١٣م عند زيارته للموصل، نتيجة لخلاف وقع بينه وبين والي الموصل سليمان نظيف،^(٥٥) ولكنه استطاع الهرب والخروج من الموصل وحلف أن لا يعود إليها ثانية مهما كانت الأسباب،^(٥٦) في حين بقي الشيخ الحميدي الشيخ الرسمي أمام السلطات العثمانية في بغداد، وقد قام مع ١٦٠ من خيالة شمر بجمع الضرائب من القوافل التجارية حول الموصل في هذه الفترة، فقام والي الموصل سليمان نضيف باعتقاله و تحصيل الأموال التي جمعها الشيخ الحميدي التي قدرت ب ١٢ ألف ليرة تركية، ولكن السلطات العثمانية أمرت بإطلاق سراحه فوراً فأفرج عنه^(٥٧).

استمرت شمر في حركتها الأعتيادية بين الشمال والجنوب على أرض الجزيرة وجنوب بغداد، واستمر كذلك العداء المستحكم بين شمر وعنزة، وتركزت المعارك بين شمر والعمارات من عنزة خلال هذه السنوات، خاصة على عهد الشيخين جدعان وفهد بن هزال.

كان شهر تشرين الثاني من عام ١٩١٤م نقطة تحول هامة عندما تحالفت الدولة العثمانية مع قوات الحلف المركزي، مما أدى إلى أن تتشبك مصائر شمر وشيوخها الجربا مع باقي الأقاليم العربية ضمن الإمبراطورية

(٥٥). جاسم محمد حسن، الموصل في العهد الاتحادي، موسوعة (الموصل: ١٩٩٢م) ج٤، ص ١٢١.

(٥٦). مس بيل، مرجع سابق، ص ١٦٥.

(٥٧). مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ٣١، د عبد الجليل الطاهر، العشائر ولسياسة (بغداد: ١٩٥٨م) ص ١٥٤-١٥٥.

العثمانية، في سلسلة من الأحداث نتج عنها في النهاية تغير جذري لحياة شعوبها السياسية.^(٥٨)



والي الموصل سليمان نظيف

حاول العثمانيون المحافظة على علاقات طيبة مع شمر وشيوخها الجريا خلال سنوات الحرب، واعتبروها قوة احتياطية يمكن أن تستخدم إذا ما حاولت القوات البريطانية احتلال العراق، وعمد الأتراك إلى كسب شيوخ شمر من آل محمد، و ضمهم بكل الوسائل إلى جانبهم، ومنها إعطاء المنح الشهريه مع الرتب العسكرية، ومثل ذلك ما قدموه للشيخ مشعل الفارس فصار المسئول

عن شمر الزور امامهم، وتم تعيينه برتبة عقيد عسكري فخري في الجيش العثماني، ومنح لقب باشا، وراتباً شهرياً كبيراً، وتم تكليفه بحماية الطريق البري بين الموصل وحلب.^(٥٩)

دافعت قبائل شمر وشيوخها الجريا عن ارض العراق وسوريا، وسادت الدولة العثمانية في موقفها من الغزو البريطاني الفرنسي للأرض العربية، وحدث أول اشتباك بين قوات شمر مع القوات البريطانية التي آتت لاحتلال العراق في ٩ نيسان من عام ١٩١٥م، عندما هاجمت القوات التركية ومعها أعداد كبيرة من قوات العشائر، وبضمنها شمر تحت قيادة الشيخ الحميدي بن فرحان باشا منطقة الشعبة، التي كان الإنكليز قد احتلوا بعد احتلالهم للبصرة، واستمرت المعارك حتى ١٢ من نيسان من هذا العلم

(٥٨). Williamson, Op. cit, p ٩٦.

(٥٩). Ibid. , p٩٧.



الشيخ مشل باشا بن فارس الجربا

خسرت القوات التركية المعركة نتيجة لتفوق العدة والعتاد العسكري البريطاني عليها، فالتجته نحو الشمال بعد انتحار القائد العثماني سليمان العسكري، ومعها القوات العشائرية وبضمنها فرسان شمر وقائدهم الشيخ حميدي^(٦٠)، وخلال حصار الكوت عام ١٩١٦م الذي قامت به القوات التركية بقيادة خليل باشا قائد الفيلق السادس على القوات الإنكليزية التي كانت تحت قيادة القائد البريطاني طاوزند، كانت قبيلة زوبع من شمر مع القوات التركية التي نفذت الحصار^(٦١) الذي أدى إلى استسلام القوات البريطانية لقوات خليل باشا في نيسان من عام ١٩١٦م، ولكن القوات البريطانية غيرت من خططها الحربية وواصلت التقدم لأجل احتلال العراق، في الوقت الذي أخذت فيه القوات التركية تتجه منسحبة شمالاً، واستطاع الجنرال مود من دخول واحتلال بغداد في ١١ آذار من عام ١٩١٧م^(٦٢).

بعد احتلال بغداد تحركت القوات البريطانية نحو الشمال لأجل احتلال أجزاء أخرى من ما يعرف اليوم بالعراق، بحجة تأمين الحماية الكافية لقواتها، وخلال هذا العام أي ١٩١٧م كانت معظم قبائل شمر بشكل عام

(٦٠). Oppenheim, Die Buddween, Vol ١, p١٤١. Williamson, Op. cit, p٩٣.

(٦١). مس بيل، مرجع سابق ص ١٣٤. Williamson, Op. cit,

(٦٢). Williamson, Op. cit, p٩٧.

خارج إطار الصراع التركي البريطاني، واستمرت في حركتها الطبيعية بين الشمال والجنوب دونما أي اكترات لوجود القوات البريطانية، سوى بعض المقاومة التي قام بها الشيخ الحميدي مع من معه من شمر قرب بلد، فقد قام الشيخ عبد العزيز بن فرحان باشا في شهر تشرين الأول من عام ١٩١٧م بالتحرك نحو أراضي النعمانية والحلة للرعي والتموين ومعه ألف خيمة، ثم تبعه بعد ذلك ابنه الشيخ عجیل اليلور في تشرين الثاني من نفس العام، ومعه ألف خيمة أخرى، فأصبحت شمر بما يشبه بنطاق عسكري تحت الخدمة الفطية كما تقول المس بيل: امتد من الفرات إلى دجلة ويطلق النار من بعيد على كل من يتقدم، لذلك لم تكن قوة تستطيع منع هجرة عشائرية من هذا القبيل.



القائد العثماني علي إحصان باشا

لم يحاول البريطانيون منع شمر من حركتها السنوية، بل على العكس من ذلك فقد خصصت لهم المراعي ومن ثم منحوا المواد الغذائية والمنح المالية الصغيرة، وبعد أسبوع أو أسبوعين عاد الشيخ فيصل بك من رحلته إلى الحجاز التي كان قد ذهب إليها في منتصف عام ١٩١٧م لأداء فريضة الحج، وتقديم الاحترام والتأييد للشريف حسين في ثورته ضد السلطات العثمانية، عاد يحمل كتب توصية مشرفة من الشريف حسين، وبتأثير ورقة الاعتماد هذه: دعا لالتهاق أخاه وابن أخيه لينظم معهما خطة للعمل ضد

الأكراد في الجزيرة الشمالية، غير أن الأقارب المجتمعين ثاقية سرعان ما اختصموا، فتمسحب في أوائل الربيع الشيخ عبد العزيز وابنه عجيل مع معظم من جاء معهما من شمر إلى الأراضي التركية.^(٦٣)



حاول الشيخ فيصل إقناع أخاه الشيخ عبد العزيز وابنه الشيخ عجيل بأن يبقيا قرب بغداد معه، ولكنهما فضلا العودة في آذار من عام ١٩١٨م، وبقي الشيخ فيصل مع شمر التي معه في بغداد ممثلا للثورة العربية والشريف حسين عن قبائل شمر وشيوخها الجرباء، وشيخاً رسمياً عن شمر أمام الإنكليز.^(٦٤)

أثناء انسحاب القوات التركية العثمانية نحو الشمال بعد معركة الشعبية واحتلال بغداد من قبل الإنكليز، انسحبت معها بعض القبائل العربية مع شيوخها ومنها المنتفك، التي كان يقودها الأمير عجمي السعدون، إذ أنه بعد مشاركته في معركة الشعبية اتجه شمالاً خوفاً من القوات البريطانية، والتجأ

(٦٣). مس بيل، مرجع سابق، ص ١٣٣-١٣٤، Williamson, Op. cit, p٩٨

(٦٤). مس بيل، مرجع سابق، ص ١٣٤،

Williamson, Op. cit, p٩٨.

إلى شمر وشيوخها آل محمد الجرباء، وبقي معهم بضع سنوات ثم اتجه نحو الأراضي التركية، وبقي هنالك إلى أن توفي. (٦٥)

استمرت القوات البريطانية الغازية بالتقدم نحو الشمال، وعند وصول أخبار الهندنة في ٢ تشرين الثاني من عام ١٩١٨م كانت القوات البريطانية قد وصلت إلى القيارة، على بعد ٧٠ كيلومتر جنوب الموصل، وحاولت هذه القوات دخول واحتلال الموصل، لكن القائد التركي علي إحسان باشا رفض أن يسلم المدينة، وبعد مفاوضات انتهت في ٧ تشرين الثاني من نفس العام مع القائد البريطاني وليم مارشال، وافق القائد التركي علي إحسان أن ينسحب من المدينة نحو الشمال، وأُخلى مدينة الموصل وكامل الولاية خلال ١٠ أيام من تأريخ الاتفاق.

وهكذا احتلت القوات البريطانية ولاية الموصل، وسيطرت اسمياً على ديار شمر الشرقية (٦٦)، وتم تعيين الكولونيل لجمان (انجيمان كما عرفه بدو الصحراء) حاكماً سياسياً على مدينة الموصل وما حولها في ٩ تشرين الثاني من عام ١٩١٨م (٦٧)، وكان منصبه هذا على درجة كبيرة من الحساسية بحيث أتعب هذا المنصب لجمان نفسه، إذ انهمك في قمع عدد من الانتفاضات الشعبية الخطيرة ضد التواجد الاستعماري البريطاني، والتي أودت بحياة المئات من الجند البريطانيين والعشرات من ضباطهم (٦٨)، في الوقت الذي كانت فيه قبائل شمر التي تحت قيادة الشيخ مشعل الفارس تؤمن انسحاب القوات التركية المتقهقرة من أمام القوات البريطانية والفرنسية نحو مدن ماردين ونصيبين في الشمال، وعلى أثر هذا الانسحاب دخلت القوات البريطانية دير الزور في كانون الأول من عام ١٩١٨م. (٦٩)

(٦٥). السعدون، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

(٦٦). Williamson, Op cit, p. ٩٨.

(٦٧). Ibid.

(٦٨). عبد الجبار العمر، مصرع الكولونيل لجمان (بغداد: ١٩٨٦م) ص ٦٢.

(٦٩). Williamson, Op cit, p. ٩٨.

شمر والتقسيم الأرمنية

سكن الأرمن المسيحيون الأرثوذكس الأجزاء الشرقية والشمالية من الأناضول، في أراضي أرمنيا الواقعة غرب جبال القوقاز، وعلى مدى تاريخهم السياسي الطويل، دخل الأرمن في صراعات مع الفرس والروم البيزنطيين، احتل العثمانيون أراضي الأرمن في القرن ١٦ الميلادي، واستقر الأرمن ضمن ٦ ولايات عثمانية، هي أرض روم، وان، بتليس، ديار بكر، معمورة العزيز، خربوط سيواس^(٧٠)، وبقي الأتراك والأرمن في خصام وعدم وفاق، كان الأرمن يحاولون من خلال ذلك التخلص من السيطرة العثمانية، مما حدا بهم إلى تدبير المؤامرات لقتل السلاطين العثمانيين، وزعزت النظام السياسي والعسكري العثماني، ولأجل أعمالهم هذه في سبيل تحررهم تعرضوا إلى معاملة قاسية على أيدي السلطات العثمانية والروسية، اللتين تقاسمتا أراضيهم عبر المعاهدات التي عقدت بينهما^(٧١).

أثرت المذابح التي تعرض لها الأرمن في عام ١٨٩٦م ومن ثم في عامي ١٩١٥ و ١٩١٦م على أيدي القوات الكردية التابعة للقوات الحميدية، والقوات المسلحة التركية العثمانية بشكل كبير على حياتهم وبقائهم على أراضيهم في شرق وجنوب الأناضول، وأجبرت أعداداً كبيرة منهم بالهجرة نحو العراق وبلاد الشام، ووصلت أعداد من الأرمن الذين هاجروا إلى العراق في عام ١٩١٨م، وكثروا بحدود ١٥ ألف نسمة^(٧٢).

انتشر الأرمن في أنحاء مختلفة من أراضي ومدن العراق، وكان وصولهم في وقت أخذ فيه العراق وأرض الجزيرة الفراتية يعانيان من مجاعة ونقص حاد في المواد الغذائية، نتيجة للموسم الزراعي السيئ الذي حل في الإقليم خلال العامين ١٩١٧ و ١٩١٨م، وكذلك بسبب التصرفات غير

(٧٠). أورخان محمد علي، سلطان عبد الحميد الثاني (بغداد: ١٩٨٧م) ص ٢٠٦.

(٧١). د. عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية (بيروت: ١٩٧٤م) ص ٣٧-٣٨.

(٧٢). لوئيك تاريخ لعراق، ج ١، ص ١٤٧، ٢٢٨.

المسئولة التي كانت تقوم بها القوات العثمانية من اخذ الحبوب والماشية، وحيوانات الركوب قسراً من أيدي التجار ومالكها دون مقابل، أو تقدم أبخس الأثمان لما تنتزعه من أيديهم، وقد أدى هذا الوضع فضلاً عن ما قامت به السلطات العثمانية من تخفيض للعملة إلى تدهور كبير في اقتصاديات الموصل والجزيرة الفراتية^(٧٣)، خاصة وأن المنطقة كلها كانت تعاني من مآسي الحرب العالمية الأولى.

جعل هذا الظرف الاقتصادي الصعب قسماً من قبائل شمر تتجه جنوباً نحو بغداد للتموين، والانحدار جنوباً نحو مناطق وسط العراق بحثاً عن الكلاً والمعاش لها ولماشيتها، خلال هذه الفترة الصعبة التي عرفت عند أهالي الموصل والجزيرة (بسنة الغلاء).

في ظل هذه الظروف نزح الأرمن وانخرط قسم كبير منهم بين قبائل شمر، والقبائل العربية الأخرى الساكنة أرض الجزيرة، فضلاً عن استقرارهم في مدن الموصل وبغداد والبصرة وحلب ومدن أخرى، لقد أحسنت شمر وشيوخها الجربا وفادة هؤلاء النازحين اللاجئين، وأبقوهم في ضيافتهم بين مضاربهم، ومنعوا عنهم أي آذى قد يلحق بهم من قبل الأتراك أو غيرهم، معززين مكرمين، وفي هذه الأثناء أرسل الشريف حسين شريف مكة وأميرها وقائد الثورة العربية رسالة مؤرخة في ١٨ رجب من عام ١٣٣٦هـ، المصادف ٢٩ نيسان من عام ١٩١٨م رسالة إلى كل من ممثله على قبائل شمر الشيخ فيصل بن فرحان باشا، وأخيه الشيخ عبد العزيز، يوصيهم ويؤكد عليهم أن يحسنوا معاملة الأرمن، وأن يوصلوا وصيته هذه من خلالهم إلى عموم شمر وشيوخها الجربا، وهذا نص الرسالة: ^(٧٤)

(٧٣). جاسم محمد حسن الموصل في العهد الاتحادي، ص ١٢٢-١٢٦.

(٧٤). مجلة لشرع، بيروت، ١٦/٤/١٩٨٤م، العدد ٣، ص ١٤.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده

الديوان الهاشمي

من الحسين بن علي ملك البلاد العربية وشريف مكة وأميرها إلى الأمراء
الإجلاء الامجاد الأمير فيصل والأمير عبد العزيز الجربا السلام ورحمة الله
وبركاته أما بعد صدرت الأحرف من أم القرى بتاريخ ١٨ رجب ١٣٣٦.

نحمد الله الذي لا اله الا هو إليكم ثم نصلي ونسلم على نبيه وآله
وصحبه وسلم ونخبركم باننا والثناء إليه تبارك وتعالى بصحة وعافيه ونعمة
من فضله صافية وافية أسبل الله علينا وإياكم سايغ نعمه وان المرغوب
بتحري المحافظة على كل من تخلف بأطرافكم وجهاتكم وبين عشائركم من
الطائفة اليعقوبية الأرمنية تساعدوهم على كل أمورهم وتحافظون عليهم كما
تحافظون على انفسكم وأموالكم وابنائكم وتسهلون كل ما يحتاجون إليه في
ظعنهم واقامتهم فاتهم أهل نمة المسلمين والذي قال فيهم صلوات الله عليه
وسلامه (من اخذ عليهم عقال بغير كنت خصمه يوم القيامة) وهذا من أهم
ما نكلفكم به وتنتظره من شيمكم وهممكم والله يتولانا وإياكم بتوقيقه،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الشريف الحسين بن علي

الهاشمي
الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم
المجيد

من الحسين بن علي ملك البلاد العربية ورفيقه وأمره إلى الأمازيغ
الأمازيغ الأمير فيض والأبير عبد العزيز الجربا السلام ورحمة الله وبركاته أما
بعد صدرت الأخرى من أم القرى بتاريخ ١٨ ج ١٤٤٦ بحمد الله الذي لا اله
إلا هو اليك ثم نزلت على نبيه والده وصحبه وسلم ونجبركم بأنا والشهداء ببارك
وقال بركة وعافية ونعمة من فضله ضافية وأفيه أسبل الله علينا وأياكم طهر
وإن المرغوب بتعريف الحافظة على كل من تخلف بأطرافكم وجهاتكم وبين مشاركم
من الطائفة اليعقوبية الأرمينية فساعدكم على كل أمورهم وحافظون عليهم
كما حافظون على أنفسكم وأموالكم وأبنائكم وتسهلون كل ما يحتاجون إليه في
طعنهم وأقامتهم فأنهم أصل دمة المسلمين والذين قال فيهم صلوات الله عليه
وسلامه من أنفه عليهم فقال بغير كنه خصمه يوم القيامة وهذا من أهم
ما نكتبكم به وتستخرج من كتبكم وكتبكم والله يتولانا وإياكم بتوفيقه واليوم
عليكم ورحمة الله وبركاته



نص رسالة الديوان الهاشمي

وتعد هذه الرسالة من الوثائق النادرة التي بقيت مما صدر عن الديوان الهاشمي إبان الثورة العربية الكبرى، التي قادها من الحجاز الشريف الحسين بن علي عام ١٩١٦م، لأجل تخليص البلاد العربية من السيطرة العثمانية، والرسالة موجهة إلى الشيخين فيصل وعبد العزيز أولاد فرحان باشا، لأن الأول كان ممثلاً للشريف حسين في العراق والمراسلات بينهما كانت مستمرة بوساطة القيادة البريطانية في بغداد^(٧٥)، وأما ذكر الشيخ عبد العزيز: فإن الشيخ فيصل كان قد بين لشريف مكة أنه وأخاه الشيخ عبد العزيز يتحركان سوياً مع من معهما من شمر، من خلال التحرك السنوي لشمر ما بين الشمال والجنوب.^(٧٦)

أحسنست شمر إلى اللاجئين الأرمن، وبقوا في مضاربها، وعاشوا مع أبناء شمر أخواناً ودخلوا بحاجة إلى الحماية والمعاش، ولقد اعتنق عدد من الأرمن الإسلام، وتزاوجت بناتهم مع أبناء شمر بتوجيه من الشيخ عجيل الياور في ذلك، وأخذ الشمامسة يطلقون عليهم (المهتدين)، ولا زال كثير من أحفادهم إلى اليوم بين قبائل شمر.^(٧٧)



ثلة من الجيش العثماني في الجزيرة قبيل الحرب العالمية الأولى

(٧٥). لوينهايم، ليدو، ج ١، ص ٢٢٩.

مس بيل، مرجع سابق، ص ١٣٤، Williamson, Op. cit, p٩٨-٩٩، (٧٦).

(٧٧). هذا المصطلح موجود بين قبائل شمر.

شمر والاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٨ - ١٩٢٠م

عندما انتهت الحرب العالمية الأولى في تشرين الثاني من عام ١٩١٨م، وجدت الأقاليم العربية التي كُتبت خاضعة للإمبراطورية العثمانية نفسها في وضع غير مألوف تماماً، فلأول مرة بعد حوالي ٤ قرون لم يعد الأتراك يسيطرون على بلادهم، في حين ظل شكل السيطرة السياسية الذي سيحل محل العثمانيين غير واضح في المدن الرئيسة للعراق وسوريا، وانتشرت التوقعات الخاصة ببدائل متنوعة تتراوح بين إقامة مملكة عربية، وسيطرة أوروبية، ووجدت آمال العرب في الاستقلال سندا لها في القادة السياسيين، والمتنفذين في المدن، وعلى الرغم من المحاولات التي قام بها المنظرون العرب القوميون في دمشق وبيروت والقدس وبغداد، من الاتصال بالقوى العظمى لأجل تقرير المصير للبلاد العربية، لكن محاولاتهم هذه باءت كلها بالفشل.

والحقيقة انه عندما انتهى القتال كانت القوات البريطانية قد احتلت معظم العراق، مما وفر لها موقعاً مسيطراً استطاعت من خلاله الهيمنة على مستقبل هذا البلد واستعمار، وعلى النقيض من الموقف الواضح نسبياً في العراق، فقد كان الموقف في سوريا غامضاً تماماً في نهاية الحرب، فطى الرغم من اتفاقية سايكس بيكو التي عقدت بين فرنسا وبريطانيا، لأجل تقسيم البلاد العربية، واستعمارها عام ١٩١٦م، التي أعطت لفرنسا إقليم سوريا، ولكن اتفاقية الهند عند توقيعها كانت القوات البريطانية المشتركة مع القوات العربية بقيادة الأمير فيصل بن الحسين قد حررت معظم سوريا.

بينما كانت المفاوضات التي أجريت لأجل تحقيق السلام، واستمرت طوال العامين ١٩١٩ و ١٩٢٠م في باريس، فقد ظل العراق تحت قبضة الاستعمار البريطاني العسكري، وقام الإنكليز بحكم العراق حكماً مباشراً، ووضعوا نظاماً إدارياً له كان رجال الإدارة فيه كلهم من الإنكليز. (٧٨)

(٧٨). Williamson, Op. cit, p ١٠٠-١٠١.

في تشرين الثاني من عام ١٩١٨م أدركت شمر أن القوات البريطانية تحتل إقليم تواجدما في أرض الجزيرة الفراتية ولو أسمى، خاصة فيما بعد احتلال الموصل ودير الزور، بالرغم من تحرير القوات العربية التابعة للأمير فيصل في دمشق لمدينة دير الزور بعد مدة وجيزة.^(٧٩)

لقد واجهت شمر كل هذه المتغيرات السياسية، وأصبح خط الحدود الذي أقر عند نهر الخابور، والممتد إلى البوكمال جنوباً. حداً فاصلاً بين العراق وسوريا عام ١٩٢٠م.^(٨٠)، ذا أثر كبير على وحدة شمر فيما بعد.



الشيخ محمد المطلك



الشيخ رديف الجار الله

أصبحت قبائل شمر خلال هذه الحقبة الزمنية واقعة بين ثلاث قوى تمثلت في تركيا في الشمال، وبريطانيا في العراق، وفرنسا في سوريا، وكان عليها أن تتحرك ضمن ما يتطلبه الوضع السياسي المهيمن على إقليمها بأسلوب يمنع المستعمر من أن ينال من عروبتها، وأصالتها في الدفاع عن الأرض، والكيل للمستعمر بما يستحقه من ضربات إذ حاول ذلك.

حاول البريطانيون استمالة شيوخ شمر (الجربا) عام ١٩١٨م إلى جانبهم، في الوقت الذي كانوا يشجعون عنزة التي انضوت تحت الراية

(٧٩). Ibid. ، p١٠٤.

(٨٠). لوئيك، تاريخ العراق، ج ١، ص ١٩٣.

البريطانية (العمارات) نحو شن الغارات على قبائل شمر وشيوخها الجرباء، ففي أيلول من عام ١٩١٨م شنت غزوة غارة^(٨١) على الشيخ جبار الله بن فرحان ومن معه من شمر، واستطاعت غزوة أن تغنم الغزالات (النوق البيض) التي كانت للشيخ جبار الله، فصل عليها جبار الله وأبناؤه مع من معه من شمر، وأستمر القتال ٤ أيام، ثم كسرت غزوة وشيوخها متعب ابن هذال، وأسترجع الجار الله الغزالات، حدثت هذه المعركة في منطقة طويسان من أرض الجزيرة، وأرخها أحد الشعراء بقوله:

ياظروش يالهي منتوين تمـدون لـخوات بتله ما نسب الحمايل
من العام نبغي صلحكم ما تطيعون ما تعجبك صولة سنا عيس حايـل
ثلاث ليالي بينا ضرب وطعون والرابعة راحت على أولاد واتـل
ربعي أيا نار الدخن ما يصلون يما نهبوا من حماد القبايل
مريت بالصابور وانتـم تهذبون واتـخيل الزمال قب سلايل
آلي نهج من عندكم راح مطعون والي شرد للبيت شين فلايل^(٨٢)



عقاب العجل (عبدة)

وفي شهر أيلول من عام ١٩١٨م حاول فهد بن هذال أن يعيد الكرة ويشن غزوة أخرى على فرقة من شمر، كانت تتحرك مع الشيخ عجيل الياور جنوب عانة، ولكنها فشلت أيضاً، واستطاع الشيخ عجيل ومن معه بإلحاق الهزيمة بالعمارات من غزوة.^(٨٣)

(٨١). Williamson, Op. cit, p٩٦.

(٨٢). من التراث الشعري الشمرى.

(٨٣). Williamson, Op. cit, p٩٩.

بعد فترة من تواجدهم في العراق، حاول المستعمرون البريطانيون تطبيق سياسة جديدة في استعمارهم لهذا البلد، وذلك بالتعامل مع القبائل ضمن سياسة الحكم غير المباشر، وذلك من خلال تعيين رئيس للقبيلة يكون مسؤولاً أمام الحاكم السيامي عن تحركات قبيلته، لكن هذه المياسة التي حاول البريطانيون تطبيقها على شمر في العام ١٩١٩م قد فشلت فشلاً ذريعاً، إذ أن شمر وشيوخها الجربا الذين لم يكونوا في يوم من الأيام خاضعين لسلطة أي محتل، لم يرضوا بما حاول المستعمرون القيام به^(٨٤).

حاول البريطانيون إبقاء الشيخ حميدي بن فرحان باشا على مشيخة شمر، والذي كان لا يزال مسؤولاً عن شمر أمام السلطة السياسية منذ عام ١٩١٢م، برغم موالاته للأتراك بشكل حازم،^(٨٥) ضمن الموقف الديني للشيخ حميدي من وجوب الوقوف في صف الإسلام والمسلمين، ولكن ولأجل أن لا تدخل شمر في مشاكل كبيرة مع البريطانيين، وهي غير مستعدة بعد لذلك، وافق الشيخ الحميدي أن يكون على الحياد مع البريطانيين، وأن لا يصطدم مع قواتهم بمن معه من شمر،^(٨٦) ولكننا سنراه في طليعة المدافعين عن العراق، ومن أوائل الذين شاركوا في ثورة العشرين لاحقاً، لأن هذا الشيخ الجليل لا يمكنه أن يتخلى عن مبادئه وأخلاقه العربية الأصيلة، كما وكان الشيخ فيصل بن فرحان باشا يسكن الفرحاتية قرب بغداد، ويصله راتب من الديوان الهاشمي في الحجاز، لمركزه الإداري في تمثيل الشريف حسين والنوار بين قبائل شمر.

في أوائل عام ١٩١٩م، بدأت جهود الحاكم السياسي للموصل العقيد لجمان في محاولة إخضاع القبائل تحت سلطته، خاصة وأن له تجربة في قيادة قبائل العمارات من عذرة، وقد ساندته عذرة مساندة كبيرة في تنفيذ السياسة البريطانية الاستعمارية في العراق، فوضع أمام عينيه أن يخضع شمر وشيوخها الجربا تحت سلطانه، فدعا إلى اجتماع يعقده مع شيوخ شمر آل محمد، وبعض من وجهاء الموصل في دار المقيمة البريطانية الواقع في

(٨٤). Ibid. ، p١٠٧.

(٨٥). مس بيل، مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٨٦). نفسه، ص ١٦٤.

منطقة الكوازين، بالقرب من جامع المصفي، والذي كان البريطانيون قد استأجروه من عائلة الجميل الموصلية، فحضر كل من الشيوخ حميدي وعبد العزيز وأبنة عجيل، وعيادة بن العاصي، ودهام بن الهادي، ولم يحضر الشيخ العاصي هذا الاجتماع. (٨٧).



بيت الجميل في الموصل (المقيمة البريطانية)

أثناء انعقاد الاجتماع وفي إظهار الأخلاق السيئة التي كان يتصف بها لجمان، اخذ في تقريع وتوبيخ الشيوخ المجتمعين، لأن شمر التي تحت إمرة الشيخ دهام بن الهادي كانت قد اعترضت قافلة تجارية تسير تحت الحماية البريطانية في أبي حمضة، على طريق دير الزور، واستولت على ٣٥٠٠ ليرة تركية، وأخذ يهدد ويتوعد، وأمر بإرجاع الأموال المستولى عليها، واشتد هياج لجمان وسوء أدبه، مما أضطر الشيخ عجيل الياور أن يقف في وجهه ويمنعه من أن يوجه الإهانات إلى الحاضرين، فأنهى لجمان الاجتماع، وطلب من الشيخ عجيل البقاء في الموصل وعدم مغادرتها إلى حين عودته من بغداد. لأنه كان مسافراً إليها في ذلك اليوم. (٨٨)

(٨٧). نفسه.

(٨٨). Williamson, Op. cit, p ١٠٩.

عقد هذا الاجتماع في آذار من عام ١٩١٩م، وغادر شيوخ شمر الموصل وبقي الشيخ عجيل فيها، ثم غادرها قبل أن يعود لجمان من بغداد، فاعتبره لجمان من الخارجين على السياسة البريطانية، وأرسل في أثر الشيخ عجيل مفرزة من المدرعات الإنكليزية لملاحقته، وإلقاء القبض عليه، لكنها لم تستطع اللحاق به لأنه كان قد عبر الفرات مع من معه من شمر، واتجه نحو الشيخ مشل الفارس في أراضي دير الزور، ومن ثم عبر إلى ماردين من الأراضي التركية في أيلول من هذا العام.^(٨٩)

قام الإنكليز على أثر ذلك بالسيطرة على أغنام وأبل الشيخ عجيل التي كانت في قرية نجمة قرب الشرجاء، كما وقاموا باحتجاز ٤٦ امرأة وطفل، مع ٣ من العبيد الذين كانوا في القرية من غوائل الشيوخ، وحاول الإنكليز أخذهم إلى سجن الحاكم السياسي في الشرجاء ولكن النخوة العربية للشيخ شلال الخلف رئيس عشيرة الحجاج من الجبور أبت أن تحتجز نساء الشيوخ في السجن، فتفاوض مع الحاكم السياسي الإنكليزي في الشرجاء واستطاع إقناعه بأن يتم احتجاز الأسرى في داره، ويبقون تحت حمايته إلى أن يصدر الأمر بالإفراج عنهم، فوافق الحاكم على ذلك، وتم الإفراج عنهم بواسطة الشيخ شلال الخلف وشيوخ شمر بعد ١٠٠ يوم من احتجازهم، وأطلق سراح الأسرى من دار الشيخ شلال الخلف. وهم في الواقع ضعن الشيخ حروش العبد العزيز، أما أبل الشيخ عجيل التي كانت المدرعات البريطانية قد ساقتها في طريقها إلى الموصل، فقد هاجمها فرسان شمر في الطريق فهجت إلى الصحراء، واستطاع الشمامسة من جمعها وتخليصها من أيدي الإنكليز.^(٩٠)

(٨٩). مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ٨٧.

(٩٠). Williamson, Op. Cit. ، p. ١٠٩،

للثغفري، مرجع سابق، ص ٧٩، ٨٠.



الشيخ حروش العبد العزيز

وفي هذا الشهر أيضاً، أي في آذار من عام ١٩١٩م حدثت مواجهة أخرى بين شمر والإنكليز مع اليزيدية من أتباع حمو شيرو، لأن لجمان كان قد عين حمو شيرو حاكماً على سنجار، وأمد أعوانه بالمال والسلاح لأجل مواجهة قبائل شمر وشيوخها الجرباء، وكل القبائل العربية الأخرى التي رفضت التعاون مع القوات البريطانية المستعمرة^(٩١)، وكان لجمان يتحين الفرص لضرب هاتين القوتين ببعضهما، لإيجاد التناحر والفرقة على أرض سنجار، وضمن حمو شمر، كي تكون كلمة المستعمر البريطاني هي الفصيل في هذه المنازعات، فصادف أن نزل الشيخ جبار الله بن فرحان باشا مع أولاده، بمن معهم من شمر من الأراضي الواقعة في الشمال قرب نصيبين، إلى الأراضي الواقعة قرب سنجار طلباً للكلاء والرعي، فعندما علم لجمان بذلك وكان له ثأر مع الجار الله الذين كسروا أعوانه العمارات من عنزة في أكثر من معركة، لذلك طلب من حمو شيرو وأعوانه أن يهاجموا الجار الله وشمر، فهاجم اليزيديون شمر على حين غفلة، واستطاعوا أن يخلبواهم في بداية المعركة، وابتعد فرسان شمر عن ممتلكاتهم، فأخذ اليزيديون في جمع الأغنام والإبل، فما كان من فرسان الشيخ جبار الله من أولاده مع فرسان شمر إلا أن أعدوا عليهم الهجوم ضمن تكتيك عسكري معروف عند شمر (أهل

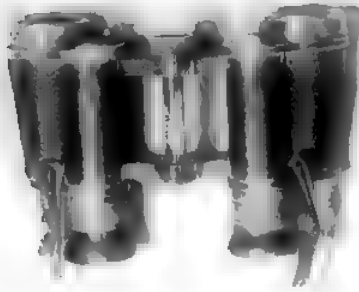
(٩١). مس بيل، مرجع سابق، ص ٧٢-٧٣.



هو شرو حاكم سنجار الزيدى

الردات)، واستطاعوا كسر جموع اليزيدية، وتخليص الماشية والجمال من أيديهم، وقتل أعداداً منهم، فانهزم حمو شبرو ومن معه من أرض المعركة، وانسحب الشيخ جارا الله وشمر نحو الشمال باتجاه أراضي نصيبين، فقام لجمان على أثر هذه الهزيمة التي لحقت بأعوانه، بالحاق بالشيخ جارا الله ومن معه مع بعدد من المصفحات، ودارت معركة بين الطرفين في منطقة بحرة الهول شمال غرب سنجار، استطاع الفرسان أولاد الشيخ جارا الله، جدعان، وتركي، وفارس وسليمان، بمن معهم من فرسان شمر من تعطيل المدرعات، وإيقاع لجمان في الأسر، وأخذ سيفه وناظوره الشخصي منه، وترك بعد أن كان قد جرح في يده، وتحركوا بعدها نحو أراضي نصيبين في شمال المنطقة، وعاد لجمان مكسورا وقد أهين شرفه العسكري إلى الموصل، بعد فقدته لعدد من جنوده في أرض المعركة. (٩٢)

(٩٢). الطغري، مرجع سابق، ص ٤٥، ووثقها الباحث من الرجال المسنين من آل محمد لجريا.



الناظر الشخصي للعقيد لجمان



الناظر الشخصي للعقيد لجمان
(من أرشيف العقيد لجمان)

العقيد لجمان

كان الشيخ دهام بن الهادي بعد إغارته على القافلة التابعة للإنكليز في أبي حمضه، وخروجه من الموصل بعد الاجتماع مع لجمان، لأجل استرجاع الأموال التي سيطر عليها بمن معه من شمر، قد انسحب إلى شمال الموصل، لكن لجمان ألح في طلب استرجاع الأموال، وأخذ يتهدد ويتوعد، وأرسل بذلك إلى الشيخ العاصي بن فرحان باشا، مما أضطر الشيخ دهام إلى الحضور ثانية إلى الموصل وهو يحمل كتاباً من جده العاصي، فيه يتنازل الشيخ الجليل بالمشيخة إلى حفيده دهام، وموقع عليه كل من الشيخ حاجم العاصي، والشيخ مطلق بن فرحان باشا وآخرون، ليكون هذا التنازل بمثابة دعم قوي له في مواجهة المستعمرين الإنكليز ولجمان بلذات، فحدثت مفاوضات بين الشيخ دهام ولجمان أسفرت عن إرجاع ٨٠٠ ليرة من أموال القافلة، واعتراف لجمان بمشيخة دهام على شمر بصورة رسمية أمام الإنكليز، وقام لجمان بتجهيز ٥٠ بنقية لـ ٥٠ فارساً ليكونوا تحت إمرة الشيخ دهام، تدفع الإدارة البريطانية رواتبهم. (٩٢)

(٩٢). مس بيل، مرجع سابق، ص ١٦٥،

Williamson, Op. cit, p ١١٣-١٠٩.



الشيخ دهم الهادي

شهد عام ١٩١٩م تبلور الكفاح المسلح ضد الاحتلال البريطاني لدى شمر وشيوخها الجرباء، إذ أخذت جمعية العهد التي كتبت قد تشكلت في عام ١٩١٣م في اسطنبول برئاسة عزيز علي المصري، وعدد من الضباط العراقيين، ونادت بضرورة تحقيق حكم ذاتي للبلاد العربية، ثم تم تجميدها من قبل أعضائها عام ١٩١٤م بعد أن لاحتها السلطات التركية، وقد تم إعادة الحياة أليها في عام ١٩١٨م بعد دخول القوات العربية إلى دمشق، فتمكنت جمعيتا العهد العراقية والسورية، وأعيد فتح فرع جمعية العهد في الموصل، وأخذت في توجيه المواطنين نحو الوقوف في وجه الاحتلال البريطاني، وتحقيق الاستقلال التام للعراق، وضرورة التعاون مع الأتراك لأجل تحقيق هذا الهدف على قدم المساواة.^(٩٤)

لقد شكل العدد الكبير من الضباط العراقيين الذين كانوا مع الجيش العربي، وأصبحوا في إدارة حكومة الأمير فيصل بن الحسين أمثال مولود مخلص، علي جودت الأيوبي، تحسين قدري، جميل المنفعي، محمد رؤوف الشهباني وغيرهم نواة هذه الجمعية التي قادت العراق وشمر نحو المواجهة المسلحة مع المستعمرين البريطانيين، وتمثلت أهدافها في:

(٩٤). د. إبراهيم خليل أحمد، الاحتلال البريطاني ولمقاومة الموصلية، موسوعة الموصل الحضارية (الموصل: ١٩٩٢م)، ج ٥، ص ٢٧-٢٩، عبد الرزاق الحسني، تاريخ الأحزاب السياسية العراقية (بيروت: ١٩٨٠م) ص ٩-١٠.

- ١- تحقيق الاستقلال الكامل للعراق وان يحكمه أحد أبناء الشريف حسين.
 - ٢- على كل عراقي أن يدافع عن قضية بلده، ويعزز الحماس ومفهوم الاستقلال بين أبناء وطنه، وان يحتثم إذا دعت الحاجة للنهوض ضد أي معتصب، وان يدعو مختلف القبائل لجعلهم يفهمون معنى الاستقلال.
 - ٣- يجب على كل عراقي أن يساهم في نصرت جمعية العهد.
 - ٤- تجنيد الضباط العراقيين في سوريا نحو أهداف الجمعية.
 - ٥- التوصل إلى اتفاق مع الأتراك، ويجب التعاون معهم لإنقاذ العراق. (٩٥)
- قامت الجمعية خلال عام ١٩١٩م بتوجيه العديد من المنشورات إلى القبائل العربية والجرجرية في إقليم الجزيرة، لأجل التعاون معها ضد الاحتلال البريطاني، وكان شيوخ شمر في مقدمة المتعاونين معها، بالرغم من أن أحدا منهم لم ينضم انضماماً فعلياً إلى صفوف أعضائها، ولكن تعاونهم كان كبيراً، وأدى إلى اتساع نشاط الجمعية السياسي والعسكري ضد الاحتلال البريطاني.
- كان الشيخ عجيل الياور قد رحل مع بعض من أولاد عمومته إلى دير الزور في آذار من عام ١٩١٩م، بعد المواجهة التي حدثت بينه وبين العقيد لجمان، وأخذ الشيخ عجيل الذي حصل على لقب الياور (المرافق) من قبل السلطات التركية في بغداد عام ١٩١٢م، عندما أصبح عمه الشيخ الحميدي الشيخ الرسمي لشمر أمام السلطات العثمانية، وكان الشيخ عجيل مرافقاً لعمه فحصل له الشيخ الحميدي على وظيفة رسمية (الياور) أي المرافق الشخصي للشيخ الحميدي^(٩٦)، قد تعاون مع الشيخ مشعل الفارس في نصرت جمعية العهد، وانضم إليه في تعاونه هذا كل من الشيوخ بنيان الشلال، وحاجم العاصي، ووطبان ومثعمان أبناء الشيخ فيصل بن فرحان باشا^(٩٧).

(٩٥). قزنجي، مرجع سابق، ص ١٣٠.

(٩٦). مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، وفيه أن الشيخ العاصي هو الذي لقب لشيخ عجيل بلقب الياور نتيجة لكثرة ما كان يقوم به الشيخ عجيل من مرجعات في حاجات عمه لشيخ الحميدي وخدمته له، ص ٢٣.

(٩٧). الشنغري، مرجع سابق، ص ١٠٢.

كان الشيخ فيصل بن فرحان باشا قد اتجه في هذا العام ١٩١٩م نحو منطقة الجوف من شمال غرب شبه الجزيرة العربية، لنصرت الأمير سعود بن عبد العزيز الرشيد، الذي كان محاصراً من قبل الرولة وشيخهم نواف الشعلان، وكان الأمير سعود قد أرسل رسائل ضمنها أشعاراً للشاعر العوني عن لسانه، إلى آل محمد الجربا وشمر التي تحت رايتهم، بيد الأمير محمد الطلال لأجل نصرته على الشعلان وفك الحصار عنه (٩٨)

ومن هذه الأبيات التي قالها العوني:

راكب فوق حر بذعره ظلة مثل طير كفلخ من كف كضابة
ما حلا فزة والخرج زامن له والمبارك على منته تنني به
من سكاكا ترحل واترك النلة وانز الخوف ملجوسك تهنأ به
سر لشمر وخير لابتني كلة لابتني بالملقا حي من لابة (٩٩)

فجاءته شمر مليبةً لندائه تحت قيادة الشيخ فيصل، ومعه فهران صديد والأمير عجمي السعدون شيخ المنتفك، ومعهم الأمير محمد الطلال، فضلاً عن مجي ضاري بن طواله مع من معه من شمر لنصرة الأمير سعود، على الرغم من حدوث خلاف بين الاثنين، وجفاء من قبل الأمير سعود الرشيد على ضاري بن طواله، واستطاعت شمر التي آتت مع قوات الأمير سعود من فك الحصار وقتل نواف الشعلان في هذه المعركة، ثم عادت شمر التي آتت مع الشيخ فيصل إلى أرض العراق، في حين عاد الشيخ فيصل مع فئة قليلة من أنبأه، وفي الطريق تعرضت له ومن معه من شمر الرولة وجرح الشيخ فيصل الفرحان جروحاً بليغة، وضمن الرولة أنهم قتلوه، فأخذوا يرددون:

(٩٨). حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة العربية (الرياض: ١٩٨٢م) ص ١٣٠-١٣١.

(٩٩). من التراث الشعري الشمر.

نبحنا فيصل بنو ولف شـيخن لكم طلعـه جـديـد
يا طير حر بالهدات اكفوا وخالوه العبيد^(١٠٠)



الأمير سعود أبو خشم



الشيخ نوري الشعلان

و شاء الله عز وجل أن لا يموت الشيخ فيصل، بل عولج وشفى أبو
زيد كما يطلق عليه الشمامسة من قبل بيت من بيوت عبدة من شمر، بعد أن
وجدوه جريحا وعاد إلى أهله وإلى مضارب شمر في العراق. ^(١٠١)



عجمي السعدون شيخ المنتفك



ضاري بن طوالة

(١٠٠). من التراث الشعري لشمري.

(١٠١). لكد للباحث هذا الخبر عدد من أولاد وأحفاد الشيخ فيصل الفرخان.

في هذه الأثناء كان الشيخ عجيل يتبادل الرسائل مع جمعية العهد في الموصل، ووضع عدداً من رجاله وهم دهام العبود ونياب الجفل، وآخرون كمسؤولين عن إيصال الرسائل بين مقر الجمعية في دير الزور ومقرها في الموصل. (١٠٢)

وصل إلينا نص إحدى الرسائل التي أرسلها الشيخ عجيل إلياور إلى مسئول الجمعية في الموصل، محمد رؤوف الغلامي مؤرخة في ٢٧ تموز عام ١٩١٩م وهذا نصها:

إلى حضرة المنصور معتمد هيئة جمعية العهد في الموصل وإخوانه المحترمين:

من بعد إهداء السلام عليكم نبدي بحمده تعالى أن اليوم بموجب حماية الدين والوطن اجتهدكم صار زايد فوق العادة ونحن أيضاً كذلك. وعلى موجب مراجعتنا للجمعية الموجودة في سوريا لازم تجرى بيننا وبينكم المخابرة كل حين ولازم جميع الحوادث التي تجري في الموصل وأطرافها تخبروننا بها مفصلاً وانتم إذا صار لكم أمر مهم بالخارج خبرونا حتى نجتهد في قضائه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣٧ تموز ١٩١٩م

الشيخ عجيل إلياور (١٠٣)

يؤكد نص الرسالة على ضرورة إبقاء الاتصال بين الجمعية في الموصل وقبائل شمر، متمثلة بشخص الشيخ عجيل، لكي تحقق الجمعية أهدافها على أكمل وجه، وإن شمر متمثلة بشخص الشيخ عجيل إلياور تحت راية الجمعية، وتعمل على إنجاح أهدافها بما توفر لديها من إمكانيات.

قام الضباط العراقيون في سوريا خلال هذا العام أي ١٩١٩م بتشكيل ما عرف بالهيئة الوطنية لإدارة الحركات الوطنية في العراق، والتي أصبحت الواجهة السياسية لجمعية العهد العراقية، ووضعوا لهم أهدافاً محددة تمثلت في

(١٠٢). سليم طه التكريتي، صفحات مجهولة من ثورة العشرين، مجلة أفاق عربية

(بغداد، ١٩٨٢م) لعدد ١٠، ص ٢٠.

(١٠٣). التلعفري مرجع سابق ص ١١٥.

دعم كل التحركات والانتفاضات التي يقوم بها الشعب العراقي، والعمل بكل الوسائل المتاحة أمام أعضاء الهيئة لأجل تخليص العراق وتحريره من أيدي المستعمرين البريطانيين^(١٠٤)، وأصبحت دير الزور مركزا لتجميع المعدات والمؤن، والمستودع الخلفي للثوار، لأجل تحقيق أهدافهم ضد القوات البريطانية^(١٠٥).



الشيخ عجيل الياور

(١٠٤). د. احمد أمين الزبيدي، مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية (بغداد:

١٩٨٩م) ص ٤٨-٤٩، الفكريني، مرجع سابق، ص ٢٠.

(١٠٥). العمر، مرجع سابق، ص ٦٣.

شمر وثورة العشرين

تعد ثورة العشرين التي حدثت بالعراق خلال عام ١٩٢٠م واحدة من أكبر الثورات الوطنية الأصلية التي شهدتها العراق في تاريخه الحديث، لقد أصطدم الشعب العراقي في هذه الثورة بقوة السلاح مع الجيش البريطاني المحتل، والحق به الهزائم المنكرة، وأرغم المستعمرين الإنكليز على الاعتراف بحق الشعب العراقي في التحرر والاستقلال. (١٠٦)

إن هذه الثورة التي شملت كل الأراضي التابعة لجمهورية العراق الحالية في نهاية شهر حزيران من عام ١٩٢٠م، كانت مقدمتها الأولى الصدامات العسكرية المسلحة التي حدثت في ولاية الموصل وشملت المناطق الكردية وإقليم تواجد شمر.

وتعد هذه الانتفاضة الجماهيرية العربية ضد المحتلين الإنكليز امتداداً لما قامت به شمر وشيوخها الجربا من مواجهات مسلحة مع المحتلين وأعوانهم خلال العام ١٩١٩م من سني الاحتلال، والنشاط السياسي الذي قاموا به من المساعدة القوية لثورة الشريف حسين في الحجاز، من خلال شخص الشيخ فيصل بن فرحان باشا الذي كان في بغداد ممثلاً للديوان الهاشمي في الحجاز على قبائل شمر، ومسلحاً قوياً له في الثورة ضد الاحتلال العثماني للعراق وسوريا.

منذ إطلالة عام ١٩٢٠م كان الضباط العراقيون في الشام ودير الزور وعلى رأسهم مولود مخلص، وجميل المدفعي قائد قوة المدفعية للجيش الحجازي، وعلي جودت الأيوبي وأديب البغداددي وآخرين. قد وضعوا الخطط للمواجهة العسكرية المسلحة مع المستعمرين الإنكليز لأجل تحرير العراق، وذلك من خلال إحداث انتفاضة جماهيرية مسلحة في عموم الوطن، ولكن الضباط العراقيين كانوا متيقنين من انه ليس من السهل إحراز نصر عسكري حاسم على القوات البريطانية المحتلة، ولصعوبة الاتصال والوصول

(١٠٦). انكريتي، مرجع سابق ص ١٨.

إلى عموم القبائل العربية في العراق، فقد أقر الضباط العراقيون بأن تقوم حرب عصابات متفرقة ضد المستعمرين الإنكليز، لكي يمكن إقناع الدول الأوربية للتدخل والعمل على منح العراق والعرب الاستقلال الكامل.^(١٠٧)

أخذ مولود مخلص باشا الذي أصبح حاكماً على دير الزور منذ كانون الأول عام ١٩١٩م على عاتقه بتهيئة أرضية الثورة في إقليم الجزيرة الفراتية، فضلاً عن أنه أرسل برسائل إلى شيوخ العشائر في الجنوب والوسط من أرض العراق، يحثهم فيها على تهيئة أنفسهم للقيام بثورة مسلحة ضد الاستعمار البريطاني.^(١٠٨)

أخذ مولود مخلص يجهز القوات العربية من أبناء القبائل للقيام بمناوشات مسلحة ضد القوات البريطانية، كما واخذ على عاتقه تكوين علاقات قوية بين الشيخ عجيل الياور والسلطات العربية في دمشق، وخاصة مع كبار الضباط العراقيين في سوريا. وحدثت أول مناوشات عسكرية مسلحة بين القوات البريطانية وبين شمر خلال العام ١٩٢٠م في آذار من هذا العام، عندما هاجمت فرقة من شمر تابعة للشيخ عجيل الياور القوات البريطانية قرب الشرقاط، وأوقعت بها بعض الخسائر.^(١٠٩)



مولود مخلص باشا

(١٠٧). قزنجي، مرجع سابق ص ١٢٢.

(١٠٨). نفسه، ص ١٨-١٩.

(١٠٩). قزنجي، مرجع سابق، ص ١٠٣.

أستمر النشاط السياسي والعسكري لجمعية العهد في الموصل، والهيئة الوطنية لتحرير العراق في دير الزور طوال الأشهر الثلاثة من آذار إلى حزيران من عام ١٩٢٠م، لأجل تهيئة الأرضية اللازمة لتحرك القوات العربية من دير الزور لتحرير العراق عبر الجزيرة الفراتية، عبر مساندة فعالة من قبائل شمر وشيوخها الجربا والقبائل العربية الأخرى في المنطقة.

كانت العملية البطولية التي قام بها فهد البطيخ رئيس شمر طوكة ورفاقه في عين الدبس على القطار الإنكليزي المسلح، في ٢٠ من أيار وتدميرهم له، وقتل أعداد كبيرة من الإنكليز، والسيطرة على الكثير من المعدات والتجهيزات العسكرية^(١١٠) بمثابة فاتحة خير بالنسبة للجهود التي كان يقوم بها الضباط العراقيون في دير الزور للتحرك وتحرير العراق من المستعمرين الإنكليز، وفي الوقت ذاته كثفت جمعية العهد في الموصل من إرسال الرسائل والمنشورات التي تحرض على الثورة ومساندة جهود رجالها في دير الزور، ومن هذه الرسائل ما أرسل للشيخ العاصي بن فرحان باشا بمثابة الممثل الأكبر لشيخ شمر من آل محمد الجربا، وجاء فيها: ^(١١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الموصل ٦ رمضان ١٣٣٨ (الموافق ٢٥ مايس ١٩٢٠)

السلام عليكم ورحمة الله

كنا قد كتبنا إليكم قبل هذا كتابا بينا لكم فيه ان إخواننا في دير الزور قد رفعوا راية الجهاد وعاهدوا أنفسهم على بذل كل غالٍ ورخيص في سبيل تخليص العراق من الأجانب وإنقاذه من الذل والهوان. وها أنهم الآن قد تقدموا نحونا ووصلت بعض طلوعهم المظفرة أطراف الشرقاط وجهات سنجار.

ولما كنا قد هيأنا أنفسنا لمعاونة إخواننا المجاهدين والاشترك معهم في ثورتهم عند تقريبهم منا رأينا من الواجب إخباركم بحقيقة الحال وان نطلب من غيرتكم الدينية وشيبتكم العربية ان تجيبوا داعي الحق وتلبوا

(١١٠). النكريتي، مرجع سابق، ص ١٩.

(١١١). الفلغري، مرجع سابق، ص ١٦٥.

نداء الوطن فتتضموا إلى حركتهم وتتفروا معهم خفافا وثقالا إلى ساحة
المجد والشرف فتخلدوا لكم أسما وتحصلوا على رضا الله وغفرانه.

أيها الشيخ الغيور والبطل المقدام:

إن في بلادنا طوائف من غير طائفة المسلمين عاشوا فيها بأمان
واطمئنان منذ آلاف السنين، فالتواجب الديني والوطني والشيمة العربية
تقضي علينا جميعا أن لا نكدر صفوها ولا نمس أحدا منها بسوء ولا
نتعرض إلى أموالها، وعلينا أن نصون كرامتها ونحفظ لها حقوقها ونحمي
جوارها، ومن تصدى إلى عكس ذلك فقد خرج على تعاليم الإسلام وخالف
قواعد دينه الحنيف.

انهضوا على بركة الله وبرهنوا للملأ بأنكم خير خلف لخير سلف ولا
تتركوا هذه الفرصة التي ستخلد لكم اشرف الأعمال دونما الاستفادة منها،
اخذ الله بأيديكم ونصرنا وإياكم على الأعداء الغاصبين والسلام عليكم
ورحمة الله.

ختم الجمعية

وقد رد الشيخ العاصي بالموافقة التامة على ما طلب منه، وسوف
نرى موقفه فيما بعد عند قدوم الجيش العربي لتحرير تلعفر والموصل، كما
أرسلت جمعية العهد في الموصل برسالة أخرى إلى الشيخ حميدي بن فرحان
باشا، الذي كان لا زال يعد الشيخ الرسمي أمام الحكومة التركية، وقد رد
الشيخ الحميدي على هذه الرسالة بما يأتي: (١١٢)

إلى جمعية العهد المحترمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن بعد السلام عليكم لقد وصلنا من طرفكم خطان تحتوي على تحشيد
عشائنا على الجهاد ونحن مهتمون في هذه الحرب ومنتظرون الهجوم

(١١٢). نفسه، ص ١٣٧.

على العدو في ساعة وإن شاء الله نكون في أول الحرب وننكل بالعدو بقوة الله تعالى وعونه وحملته.

ومن طرف النصارى فنحن لا نتعرض بهم ولا لنا لزوما بالتعدي عليهم ومع ذلك سنوصي عشائرننا كما قلتم بخصوص عدم التعرض على النصارى أبدا.

والله يزيد بنصره من يشاء وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ونحن متوكلون على الله في كل الأمور.

ومن خصوص المكاتيب والأخبار التي من طرفكم دائما تخبروننا بها ودائما تكونون على حذر والتتبه. ومن جهتنا إن شاء الله قريبا نتوجه إلى طرفكم وأيضا انتم لاتبقون في فكر نحن كثير مهتمين من خصوص الجهاد في سبيل الله ونحن تكون في أول العسكر محاربين مجاهدين والسلام عليكم ورحمة الله وبمقام سائمين وموفقين آمين.

الحميدي

وثمة ملاحظة هامة يمكن أن تسجل على هذه النماذج من الرسائل وهي: أن جمعية العهد كانت تؤكد على ضرورة احترام الطوائف الدينية من نصارى ويهود ويزيدية، لأن المستعمرين الإنكليز بثوا بين الناس أنهم جاءوا لينقذوا هذه الطوائف من الظلم الواقع عليها من قبل المسلمين عربا أو أتراك، كما أن قسما قليلا من أفراد هذه الطوائف تعاونت بشكل أو بآخر مع القوات البريطانية الغالية، مما ولد بعض الحزازات داخل المجتمع العراقي، ولأجل لم الشمل وتقويت الفرصة على المستعمر في تطبيق سياسته المعروفة. بفرق تسد، كانت جمعية العهد تؤكد على وحدة الصف، وضرورة احترام ومعاملة هذه الطوائف على قدم المساواة مع باقي أبناء المجتمع العراقي، وأكدت هذا في رسائلها إلى الجريا شيوخ شمر كي يقوموا هم كذلك بدورهم بتوعية قبائلهم بعدم التعرض إلى أي من الطوائف الدينية داخل المجتمع العراقي، حفاظا على وحدة الصف، وتقويت الفرصة على المستعمر من أن يحقق له مكاسب اجتماعية بضم بعض الطوائف إلى جانبه إذ ما تعرضت إلى التعدي من قبل الثوار، أو رجال القبائل التي ستأتي معهم.

لقد أسفرت الجهود الدبلوماسية والعسكرية التي قامت بها جمعية العهد في الموصل، والضباط العراقيين في دير الزور بقيادة مولود مخلص وجميل المدفعي، وعبد الحميد الحبوني، وعلي جودت الأيوبي، وإخوانهم الآخرين، الذين أحسوا بواجبهم الوطني والقومي تجاه وطنهم العراق وأمتهم العربية، وجدوا لتخليصه من السيطرة الاستعمارية البريطانية بما توفر لديهم من إمكانيات، وبمساعدة شجاعة من قبل العشائر العربية الأصيلة القاطنة أرض الجزيرة الفراتية، متمثلة بشمر وشيوخها الجربا والجبور والعكيدات وطبي والجرجرية، مع أهلي تلعفر وعشائرها وغيرهم، الأثر الواضح والجلي للعيان في تفجير ملحمة تلعفر التي لو قدر لها النجاح والديمومة العسكرية، من حيث تقدم القوات نحو الموصل، لتحرر العراق أو أجزاء منه من السيطرة الاستعمارية البريطانية.

على الرغم من ما قد آلت إليه هذه الملحمة البطولية، فإنها كانت الشرارة التي أطلقت الانتفاضة العراقية المعروفة بثورة العشرين في ٣٠ من حزيران من عام ١٩٢٠م، وامتدادا لما سبقها من مواجهات عسكرية قامت بها شمر وغيرها من القبائل العربية، والكردية في العراق ضد المستعمرين الإنكليز.



معركة تحرير تلعفر

كانت حركة الضباط العراقيين في دير الزور تعد العدة في العشرة الأواخر من شهر أيار من عام ١٩٢٠م لشن الهجوم نحو الموصل، وتحريرها مع إقليم الجزيرة من أيدي الاستعمار البريطاني، لتكون القاعدة التي ينطلق منها نحو تحرير كامل أرض العراق، فقام الضباط العراقيون وفي مقدمتهم مولود مخلص ورفاقه: جميل المدفعي، عبد الحميد الدبوني، علي جودت الأيوبي، محمود نديم السنوي، سليم الجراح وآخرون من الضباط العراقيين، بتجهيز هذه الحملة العسكرية التي تكونت من أربع سرايا، تم نقل قواتها ضمن القوافل التجارية والسيارات العابرة من أرض الجزيرة باتجاه سنجار وتلعفر بتكتم كبير، ولم تستطع السلطات البريطانية أن تحدد وجهة هؤلاء الجنود، وقد تولى علي جودت الأيوبي إرسال السلاح والرجال من الشلم بعد أن أعلم الأمير فيصل بن الحسين بنية الضباط العراقيين، وحاول إقناع الأمير بان يكون الأمير زيد بن علي على رأس الحملة، ولكن الأمير فيصل أمتنع كي لا يثير شكوك البريطانيين والفرنسيين، في حين انه غرض نظره عن السلاح الذي حمله الضباط إلى دير الزور لتجهيز الحملة.^(١١٣)

لقد سبق تحرك القوات بان قام كل من عبد الحميد الدبوني وسليم الجراح بالاتصال بلقبائل الموالية للثورة، وفي المقدمة شمر التي وقفت مع شيوخها الجربا موقف المناصر والمؤيد للثورة بكل إمكانياتها، فوصل الدبوني والجراح إلى مخيم الشيخ العاصي الذي كان نازلاً قرب نصيبين من الأراضي التركية، عند قرية جل أغا. وأعلماه بتحريك الحملة التي أيدها بكل قوة، وأوعز إلى ابنه حاجم وإخوانه بالاشتراك فيها، وأوكل قيادة فرسان شمر

(١١٣). الزبيدي، مرجع سابق، ص ١٧١-١٧٢.

إلى الشيخ عجيل الياور، وأعتذر الشيخ العاصي عن الاشتراك الفعلي بالحملة لكبر سنه.^(١١٤)

بعد يوم من وصول الدبوني والجراح وصل جميل المدفعي مع قواته يوم ٢٩ مايس من عام ١٩٢٠م إلى مضارب الشيخ العاصي، وبقي مع قواته ضيفا عند شمر، لتتحرك في اليوم التالي الحملة باتجاه تلعفر، متجنباً المرور من سنجار مع بقاء عدد من فرسان شمر في موضع المراقب لتحركات حمو شيرو حاكم سنجار الموالي للاستعمار البريطاني^(١١٥)، وفي أثناء الحوار الذي دار داخل مضارب العاصي حول الحملة، وسبب توجيهها نحو الموصل، وفي خضم النقاش حول ضرورة اشتراك كل أبناء شمر في هذه الحملة الوطنية تحدث الشيخ عجيل الياور أمام الحاضرين قائلاً:

ان هؤلاء الضباط الذين أتوا يستجدونكم لكل واحد منهم عائلة وله أولاد في العراق، وهم مصرون على ان يمشوا إلى الإنكليز غير خائفين ولا وجلين وكل واحد منهم قد فدا بحياته لأجل تخليص الديار من العدو، وأنا لأرى من شيمة العرب ان نتردد في معاونتهم، بل الشيمة تدعو إلى إسعافهم وانجادهم والمحاربة في صفوفهم لتخليص البلاد، فانا وعشيرتي سترونا من الغد معهم فمن يود الاشتراك معنا فليشترك، ومن لا يريد ويتأخر فهو حر.^(١١٦)

ألهمت هذه الكلمات الحماس في قلوب الحاضرين، وأعلن الحاضرون في مضيف العاصي من الجربا شيوخ شمر ورجلها الاشتراك مع قوات جميل صدقي آل خليل الموصل، المعروف بالمدفعي^(١١٧) لتحرير العراق. فسارت الحملة العسكرية باتجاه تلعفر بقيادة جميل المدفعي وعدد من الضباط العراقيين مع شيوخ ورؤساء العشائر، وكان ممن شارك فيها من آل محمد

(١١٤). تلغري، مرجع سابق، ص ١٦٨-١٦٩، مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ٨٤.

(١١٥). تلغري، مرجع سابق، ص ١٧٠-١٧١، Williamson, Op. cit, p110.

(١١٦). تلغري، مرجع سابق، ص ١٧١.

(١١٧). عبد الرزاق الصلي، تاريخ العراق السياسي الحديث (بغداد: ١٩٨٠م) ج ١، ص ١٧٨.

شيوخ شمر عجيل اليلور، مثل الفارس، حاجم العاصي، عبادة العاصي، وتركبي وجدعان الجار الله وآخرون من إخوانهم، حروش العبد العزيز، محمد المطلك، وطبان ومشعان الفيصل، بنيان الشلال، وآخرين من رجال آل محمد، فضلا عن الشيخ مسلط الملحم شيخ الجبور، وشيخ طلي، وسليمان أحمد سليمان من الجرجرية، وعشائر الجحيش، فضلا عن أعداد كبيرة من شمر مع وجهاء وعشائر تلعفر والقبائل الأخرى.

توقفت الحملة عند خنزيرة على طريق تلعفر يوم ٢ حزيران الموافق ١٣ من شهر رمضان بانتظار وصول الرسائل ومكاتبات التأييد من أهلي تلعفر، الذين كانوا متحمسين للثورة، ومناصرين لها، ثم توجهت القوة العربية نحو قرية قهك، وعقد هناك اجتماع مع قيادات تلعفر من الأغوات، ثم توجه قسم من القوة نحو تلعفر، واستطاع المهاجمون من أهلي تلعفر والقوات العربية بقيادة عبد الحميد الدبوني من دخول المدينة، والقضاء على حاميتها الإنكليزية المكونة من الضابط باولو وعدد من الجنود، وسيطر المجاهدون بما فيهم شمر وشيوخها على مدينة تلعفر، ورفع العلم الشريفي العربي على قلعتها، وتم تحريرها من الاستعمار البريطاني يوم ٤ حزيران من عام ١٩٢٠م الموافق ١٤ من رمضان عام ١٣٣٨ هـ.^(١١٨)

حاولت المدرعتان اللتان كلتاهما قرب تلعفر وإحدى الطلّات الإنكليزية إنقاذ الموقف ولكن دون جدوى، واستطاع الثوار أن يخرجوها من أرض المعركة هاربة، إلا إحدى المدرعات التي غاصت في الطين، فأحاطت بها شمر من كل جانب مع باقي العشائر، وقفز أحد الفرسان وهو فراج المنيعي من الصايح وقتح باب المدرعة، فطعن من قبل قائد المدرعة، ولكنه أفرغ سلاحه بداخلها، ثم صعد الشيخ بنيان الشلال إليه وأنقذه، وعلى اثر هذه العملية البطولية قتل طاقم المدرعة الإنكليز كلهم، وقلم الشمامرة بمطاردة من استطاع الفرار من الجنود البريطانيين وتم القضاء عليهم إلا من استطاع

(١١٨). علي جودت الأيوبي، ذكريات علي جودت (بيروت: ١٩٦٧م) ص ٩٨-١٠١.

الفرار، وكانت القيادة البريطانية قد أوصت جنودها أن يقولوا (نحن مسلمان) إذا ما تعرضوا لهجوم القبائل العربية، كي يسلّموا على أنفسهم من القتل. (١١٩)

بقي جميل المدفعي مع القوة العربية في مدينة تلعفر، وأخذ من المدرسة القديمة فيها مقرًا لقيادته، ثم أخذ بالكتابة إلى جمعية العهد في الموصل كي تهيب نفسها للقيام بالثورة، كما قام الشيخ عجيل الياور بالكتابة إلى بعض رؤساء العشائر في الشرجاط، يحرضهم على القيام بالثورة والالتحاق بالقوة الشريفة الموجودة في تلعفر. (١٢٠)



جميل المدفعي

تقرر أن يكون دخول الموصل وتحريرها من الأنكليز يوم الثامن من حزيران، وتحركت القوة الشريفة بقيادة جميل المدفعي وشيوخ شمر والعشائر الأخرى باتجاه الموصل في يوم ٦ على ٧ حزيران، في الوقت الذي أرسل فيه الشيخ عجيل الياور أبن عمه الشيخ بنيان الشلال وبعض من شيوخ الجربا ومنهم الشيخ وطبان الفيصل وراكبان العبد العزيز، مع عدد من الجنود ورجال شمر، تحت قيادة الضابط فائق حسين السليماني وبموافقة جميل المدفعي نحو القيارة، لقطع طرق المواصلات البريطانية، ومنع الإمدادات والتعزيزات من الوصول إلى حامية الموصل الإنكليزية، وقد

(١١٩). مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ٥٩.

(١٢٠). فتلغري، مرجع سابق، ص ٢٦٤-٢٦٥.

انطلقت هذه القوة يوم ٦ حزيران باتجاه القيارة عند منطقة تلؤل ناصر، واستطاعت أن تدخل في المعركة مع إحدى القوافل البريطانية، وشتت شملها، وغنمت العديد من قطع السلاح والبغل، وعادت بها إلى الثوار الذين كانوا قد تحركوا نحو الموصل، ولقيتهم في أبي كدور على طريق الموصل تلعفر. (١٢١)



الشيخ شعلان بن بيان الشلال

بعد تحرير تلعفر من قبل الثوار قام الإنكليز بجمع قواتهم في الموصل، وأرسل نحو ١٠٠٠ جندي وضابط، مع عدد من قطع المدفعية، وبمساندة قوية من سلاح الطيران نحو تلعفر، وتحصنت هذه القوات في جيلة السحاجي غربي الموصل، وحدثت المواجهة بين الثوار والقوات البريطانية التي كانت تحت قيادة الضابط البريطاني تومسن يوم ٨ حزيران في قرية أبي كدور، وكاد النصر أن يكون لطيف الثوار لولا المدافع البريطانية وقنابل الطائرات التي لم يتعود عليها فرسان الصحراء من البدو، مما دعا قسم كبير منهم إلى ترك ساحة المعركة التي استمرت لأكثر من ساعة، ثبت فيها الشيخ عجيل الياور مع أولاد عمومته من شيوخ شمر، وجميل المدفعي مع عدد من ضباطه ورجالاته العشائر، ثم تم الانسحاب نحو قرية الشيخ إبراهيم، ومنها إلى السويدية باتجاه نصيبين بالنسبة لشمر وشيوخها، وإلى دير الزور أتجه

(١٢١). نفسه، ص ٢٦٧-٢٦٩، مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ٨٥،

Williamson, Op. cit, p ١١٠.

جميل المدفعي ومن معه من القوات التي أتت من الشام لأجل تحرير العراق. (١٢٢)

على الرغم من فشل هذه الثورة إلا أنها أوقدت النار التي أشعلت ثورة العشرين في ٣٠ من حزيران عام ١٩٢٠م في وسط وجنوب العراق، وكبدت معركة تلعفر الإنكليز أكثر من ٥٠ قتيلاً بين ضابط وجندي (١٢٣)، أثبتت فيها قبائل شمر وشيوخها الجربا مع القبائل العربية و سكان تلعفر وما جاورها الموقف الواضح، والحمس الوطني النبيل تجاه العراق وتحريره من الاستعمار البريطاني، وعدم الخضوع والسكينة لهذا المستعمر.

انفسحب قسم من قبائل شمر وشيوخها نحو أراضي نصيبين في الجانب التركي، في حين بقي قسم منها داخل أرض الجزيرة الفراتية في مواجهة القوات البريطانية، التي أعادت احتلالها لتلعفر ولكامل الأرض العراقية التي كان الثوار قد حرروها في ثورتهم.



رقصة الحرب تؤديها قبائل شمر

(١٢٢). تلعفر، مرجع سابق، ص ٢٨٦-٢٩٦، مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ٨٥.

ص ٨٥، جودت، مرجع سابق، ص ١٠٢-١٠٣.

(١٢٣). محمد يونس السيد وهب، أهمية تلعفر في ثورة العراق الكبرى عام ١٩٢٠ (الموصل: ١٩٦٧م) ص ٤٨.

أوضاع شمر حتى قيام الملكية في العراق عام ١٩٢١م

عند اندلاع ثورة العشرين في الوسط والجنوب في ٣٠ من حزيران من عام ١٩٢٠م، لم يكن أمام القوات الاستعمارية البريطانية سوى مواجهة الثوار، والحد من هذه الثورة التي عمت أغلب أجزاء العراق، واخذ الإنكليز يفكرون جدياً بتغيير السياسة الإدارية التي أتبعوها في إدارة هذا البلد. من خلال الحكم المباشر والسيطرة المباشرة على مقدراته، فحاول الإنكليز على أثر هذه الانتفاضة الشعبية التي كلفتهم الكثير أن يعرضوا على العراقيين سياسة جديدة في فرض الانتداب عليهم، وتكوين حكومة ملكية فيه، يختار رجالها من العراقيين ويساعدهم موظفون إنكليز، ولأجل تحقيق ذلك كان على الحكومة البريطانية أن تؤمن خط الصحراء، وتسيطر سيطرة ولو غير مباشرة على إقليم الجزيرة الفراتية، من خلال دعم شيخ قوي من آل محمد، وتقوية شمر التي معه، لأجل أن تكون القوة التي بواسطتها يؤمن البريطانيون جانب القبائل البدوية، ولا تتكرر الثورة العربية التي حررت تلغفر ثاقية.

بعد فشل الثورة الشريفة وحملة تلغفر لم يبق في أرض العراق من شيوخ آل محمد سوى الشيخ فيصل بن فرحان باشا الذي كان مستقراً في الفرحانية، ويمثل الديوان الهاشمي في العراق، وقد التجأ إليه الضابط البريطاني بيرري الحاكم السياسي على سامراء مع قواته من الشبابة، ورمى بنفسه دخيلاً في داره بالفرحانية، بعد أن هوجم من قبل أهالي سامراء وما حولها، فقبل الشيخ فيصل حمليته، وبقي عنده إلى أن انتهت الثورة وهذات الأحوال،^(١٢٤) والشيخ دهم بن الهادي الذي كان منفصلاً مع من معه من شمر عن باقي عشائرها، ولم يشارك في معركة تلغفر، لذا حاول الإنكليز استمالة الشيخ دهم الذي كان قد تم تعيينه بشكل رسمي شيخاً رسمياً على شمر في نيسان من عام ١٩٢٠م، فوافق الشيخ دهم على البقاء في منصبه هذا كي

(١٢٤). انكريتي، مرجع سابق، ص ٢١.

يكون في مأمن من القوات البريطانية التي أذاقتها شمر الأمرين، ولإحفاظ على قوة شمر على أرض الجزيرة الفراتية، لاسيما وان قسماً كبيراً منها قد



الضابط بيري الحاكم السياسي لسامراء والى يساره

الشيخ فيصل الفرخان

غادر مراعي سنجار نحو نصيبين مع شيوخهم الذين شاركوا في معركة تلعفر، من آل محمد الجربا، وحدثت اتصالات رسمية بين البريطانيين والشيخ دهام، طلب منه الإنكليز أن يكون قوة خاصة تحت أمرته يدفع رواتبها الإنكليز، فبعث بأسماء ٥٠ من رجال شمر، سجل أسماءهم لدى الحاكم السياسي البريطاني على الموصل، فزودوا بخمسين بندقية، ورواتب من قبل القوات البريطانية، وأصبح الشيخ دهام بن الهادي المسئول المباشر عن حماية طرق المواصلات بين الموصل وبغداد، والموصل وحلب ضمن حدود العراق.

وافق الشيخ دهام على التعامل مع الإنكليز كي يحافظ على مكانة شمر، ويؤمن لها المؤن اللازمة خاصة الحبوب، إذ أن موسم عام ١٩٢٠م لم يكن جيداً، وأحتاج من بقي من شمر إلى التزود بالحبوب من الموصل، فكان الشيخ دهام يزود من يذهب من شمر إلى الموصل بتصاريح الدخول إلى هذه

المدينة وشراء الحبوب اللازمة والعودة ثقية، في الوقت نفسه الذي كان الشيخ دهام يتحين الفرصة المناسبة ليتخلص من قبضة السلطات الاستعمارية البريطانية^(١٢٥)، وجاء شهر آب من عام ١٩٢٠م لينتهي هذا التعاون بين الشيخ دهام والإنكليز، إذ أن الشيخ دهام كان قد سمح لمجاميع من قبيلة عبدة الشمرية (فرقة من العفاريث والدغيرات) بالمجيء إلى أراضي غرب الموصل، والنزول قرب تلة خميرة الواقعة على بعد ٢٠ كيلومتر إلى الجنوب الشرقي من تلعفر، بين قريتي المحلبية والشيخ إبراهيم يقودها محمد الظفيري من العفاريث وحواس الهتمي من الدغيرات، وعند ما وصل الخبر إلى السلطات البريطانية، أرسلوا إلى الشيخ دهام الهادي كي يحضر محمد الظفيري، ولكنه تمنع عن ذلك، وحاول أن لا يتدخل في هذا الموضوع، مما اضطر نائب الحاكم السياسي على تلعفر أن يرسل ثلاث سرايا مع بطارية مدفعية ميدانية إلى تلة خميرة، لأجل إلقاء القبض على محمد الظفيري، وإذا ما رفض الاستسلام فإن هذه القوة كفيفة بضرب هذه الفرقة من شمر، وإرغامها على الانسحاب نحو الشمال.

وصلت القوة البريطانية يوم ١١ آب قرب قريتي المحلبية والشيخ إبراهيم، ووجهت المناقع نحو خيام عبدة في تلة خميرة، في حين كان محمد الظفيري ومن معه على استعداد لمواجهة هذه القوة البريطانية، وقد خبروا القتل معها خاصة أثناء اشتراكهم في عملية تحرير تلعفر.

سار نائب الحاكم السياسي لتلعفر الكابتن فلاكسيان نحو تلة خميرة ومعه سرية من الخيالة يوم ١١ آب من عام ١٩٢٠ م، وحاول إلقاء القبض على محمد الظفيري ولكن رجال شمر من عبدة كفوا له بالمرصاد، فحدث اشتباك بين الطرفين لم يستمر إلا نحو ساعة انهزم الإنكليز على أثره، بعد أن صرع قائداهم فلاكسيان برصاص الشمامرة مع ٧ من القوة الإنكليزية، وانسحب محمد الظفيري وحواس الهتمي مع من معهم من عبده نحو أرض الجزيرة مبتعدين عن مرمى الطائرات البريطانية، وانتهت هذه المعركة

(١٢٥). تلعفر، مرجع سابق، ص ٢٦١-٢٦٢.

بهزيمة ساحقة للمحتلين الإنكليز، ونصر حاسم لشمر ورجالها من عبدة الذين عاونهم رجال البو دوله في قريتي المحلية والشيخ إبراهيم^(١٢٦)، ونتيجة لهذه المعركة انسحب الشيخ دهم بن الهادي عن الإنكليز^(١٢٧) بعد أن حقق أهدافه وأفضل مخطط الإنكليز في النيل من وحدة شمر وقوتها.



تلة خميرة

كان شهر آب من عام ١٩٢٠م نذير شؤم على القوات الاستعمارية البريطانية، إذ وبعد يوم واحد من معركة خميرة، وفي يوم ١٢ آب قتل الكولونيل المجرم لجمان، الذي قال عنه أحد الكتاب بأنه: " كان يتلذذ عند ركوب الطائرة أو سيارته المصفحة بإطلاق النار على أفراد العشائر"^(١٢٨)، قتل هذا الضابط المهم في الاستخبارات البريطانية، والحاكم السياسي العام للرمادي في خان النقطة، على الطريق بين بعقوبة وبغداد، بيد سليمان وأبيه ضاري المحمود رئيس قبيلة زوبع الشمرية النازلة أرض الفلوجة، نتيجة مشادة كلامية حدثت بين لجمان وضاري المحمود^(١٢٩)، وبعد مقتل لجمان أعلنت زوبع الثورة على القوات البريطانية، واستطاعت إسقاط إحدى الطائرات الإنكليزية وأسرت طياريهما، ثم دخلت في معارك شرسة مع الإنكليز، بعد أن كان الشيخ ضاري المحمود و٧ من رجاله وأبنائه قد غادر

(١٢٦). فتلعفري، مرجع سابق، ص ٢٦٣.

(١٢٧). Williamson, Op. cit, p ١١١-١١٢.

(١٢٨). العمر، مرجع سابق، ص ٧٢-٧٣.

(١٢٩). نفسه، ص ٢٧.

إلى ماردين، وألتحق بشيوخ شمر آل محمد الجربا الذين كانوا قد رحلوا إلى هناك من قبل. (١٣٠)



العقيد لجمان



ضاري المحمود

كما دخلت شمر الزور تحت زعامة الشيخ مشل الفارس في عام ١٩٢٠ م في صراع مرير مع الفرنسيين والأتراك، حيث أجبر الشيخ مشل على الذهاب مع الوفود التي زارت الجنرال غورو في بيروت، فاعتبر الأتراك أن هذه الزيارة بمثابة عداء واضح لهم، مع العلم إن الشيخ مشل الفارس في زيارته هذه رفض التعاون مع الفرنسيين، فثار بذلك عداء فرنسا تجاهه، وقد هاجمه الأتراك في قريته وأحرقوا داره، في الوقت الذي جهز الفرنسيون أبناء إبراهيم باشا الملي بمدفعين وعدد من الرشاشات، ووجهوهم لمحاربة الأتراك والقبائل المتعاونة معهم، وبضمنها شمر بقسميها، فقام أولاد إبراهيم باشا الملي بعدة هجمات على القرى في منطقة رأس العين وما حولها، وهاجموا منازل شمر في المنطقة الشمالية الغربية للجزيرة، انتقاماً من الشيخ مشل الفارس، وإذكاءً لأحقادهم السابقة تجاه شمر، وكان الشيخ الدويش وأولاد عموته من أحفاد الشيخ عبد الرحمن الصفوك، مع أعمامه من أولاد فرحان باشا النازليين في هذه الأرض، قد جاءهم تحذير الشيخ مشل باشا الفارس بأن يرحلوا من وجه أولاد إبراهيم باشا، ولكن أثناء إعداد بيوتهم للرحيل ظهر أولاد إبراهيم باشا على التلة المقابلة لمنازل شمر الذين كانوا مع الشيخ الدويش ومن معه من أهله وأعمامه، وأخذ الملي يرمون بيوت شمر بالمدافع التي كانت معهم، وتساقطت القبائر قرب البيوت، ولكن شاء القدر أن

(١٣٠). نفسه، ص ٨-١٠.

تهطل أمطار غزيرة في تلك الأثناء، فتساقطت القنابل في الأوحال ولم تنفجر، وهجم الشمامرة على قوات المليّة وظهرت هنا شجاعة الجريان، إذ هجم الشيخ الدويش مع ابن عمه الشيخ احمد الغربي و أقربائه على أحد المدافع واستطاعوا أن يسيطروا عليه، وبضمنهم الشيخ مشعان الفيصل الذي أبدى شجاعة فائقة في الرماية، والشيخ ظاهر الحميدي الباشا، والخرصة من شمر، في حين هجمت القوات التي مع الشيخ علي الشيوخ واستطاعت أن تأخذ المدفع الثاني، وهزم أبناء إبراهيم باشا شر هزيمة، ولكي لا يتعرض الشمامرة إلى هجوم ثان من قبل القوات الفرنسية: قام الشيخ مثل الفارس بتسليم المدفعين اللذين أستحوذ عليهما الشمامرة إلى الفرنسيين، لقد اقترن اسم الشيخ الدويش بهذا المدفع (الطوب) وعرفت هذه المعركة عند البدو بمعركة



الشيخ مشعان الفيصل



الشيخ وطبان الفيصل

لأطواب، و قيل فيها العديد من القصائد والهوسات: (١٣١)

وين الدويش آل على القوم يومي الطوب جابه والفشك يرزم لزام
وفي الشيخ الدويش قيل أيضا:

جاء الدويش وسريره ثقل نيب ولد المحزم فوق هالك السبوقي
أودع عليهم عرصه لها لواهب اليما نهجن وضرب المقاول احقوقي

(١٣١). زكريا، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٢٥، وقد كد للباحث هذه الأحداث الدوشان من آل محمد الجريا.

كان لمعركة خميرة ومقتل لجمان على يد رجال زوبع امتداد حي وطبيعي لثورة العشرين، التي كفت لازالت مشتعة في وسط وجنوب العراق واستمرت لأكثر من ٦ اشهر، إن هذه الثورة العراقية الكبرى وإن لم تحقق أهدافها كاملة بطرد الاستعمار البريطاني من العراق، ولم تحقق للشعب العراقي حريته واستقلاله، فإن شدتها وعنفوان الشعب وبطولته قد أدهشت الإنكليز وأرقتهم، وأقمت الجهات الاستعمارية في بريطانيا باستحالة حكم العراق بالحديد والنار، وبوجوب تبديل هذه السياسة الرسمية والمشاريع الاستعمارية القديمة، والبحث عن علاج جديد لهذه القضية الصعبة، ألا وهي العراق. (١٣٢)

استمر الوضع غير المستقر للعراق ولشمر بالذات حتى ١٢ من آذار عام ١٩٢١م عندما عقد مؤتمر القاهرة، الذي أقر فيه تنصيب الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق، وإنهاء الحكم المباشر للعراق، ووضع تحت سلطة الانتداب البريطاني. (١٣٣)

أثر هذا المؤتمر صدر عفو علم عن المشاركين في ثورة العشرين في ٣٠ أيار من عام ١٩٢١م، مستثنياً بعض الثوار، ومنهم ضاري المحمود رئيس زوبع من شمر، ومن اشترك معه في قتل العقيد لجمان (١٣٤)، وفي أثر هذا العفو عاد الشيخ دهام الهادي إلى العراق في حزيران من عام ١٩٢١م وسلم البنادق التي كان قد أخذها من الإنكليز، وعادت معه بعض من قبائل شمر (١٣٥)، ثم عاد الشيخ عجيل اليلور بعد أن أرسل برسالة إلى المقدم تحسين قدري رئيس تشريفات الأمير فيصل الأول، مستفسراً فيها عن قدوم الأمير فيصل إلى العراق، وهل يستطيع العودة خاصة وإن حكماً وطنياً بدأ يتشكل في العراق، فقام المقدم تحسين قدري بإيلاغ الأمير فيصل برسالة الشيخ عجيل، فرحب بها كثيراً، خاصة بعد أن كان الشيخ فيصل الفرحان الذي بقي

(١٣٢). الحسني، تاريخ العراق، ج ١، ص ١٨٠.

(١٣٣). الفلغري، مرجع سابق، ص ٢٩٩.

(١٣٤). العمر، مرجع سابق، ص ٢٢.

(١٣٥) Williamson, Op. cit, p ١١٢-١١٣.

في بغداد قد توسط للشيخ عجيل الياور ابن أخيه والذي كان قد تربى في بيته لدى الأمير، فأقترح الأمير فيصل أن يذهب تحسين قدري بنفسه مع حامل رسالة الشيخ عجيل هادي الزبيدي ويحضره إلى بغداد، فقام تحسين قدري بأخذ موافقة السلطات البريطانية على عودة الشيخ عجيل الياور الذي كان مطلوباً لديها، رغم العفو الذي صدر عن ثوار ثورة العشرين، وجاءت هذه الموافقة من مستشار الداخلية البريطاني ما نصه: (١٣٦)

ان حامل كتابي هذا هو المقدم تحسين قدري مرسل من قبل الأمير فيصل لجلب الشيخ عجيل الياور فعلى كافة السلطات الحكومية ان تقدم له كل ما يحتاجه من معونة.

التوقيع كورنالس



كورنالس



المقدم تحسين قدري

توجه المقدم تحسين قدري مع هادي الزبيدي إلى الشرجات ومنها إلى قرية نجمة التي هي للشيخ عجيل الياور، ونزلا ضيفين عند الشيخ حاجم العاصي الذي كان فيها كي يحافظ على ممتلكات الشيخ عجيل وشمر، فباتا عنده ليلة ثم أعطاهما ركائب أوصلتهم إلى ماردين، فالتقيا بالشيخ عجيل، وعادا إلى بغداد في منتصف آب من عام ١٩٢١م، بعد أن مرا على الفرحاتية، واصطحب الشيخ عجيل عمه الشيخ فيصل الفرحان إلى بغداد، فكان اللقاء الأول بين الشيخ عجيل الياور والأمير فيصل بن الحسين في دار المستشارية البريطانية (السراي) سابقاً، الذي كان قد أعد لإقامة الأمير فيصل

(١٣٦). مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ١١١.

فيه، وقد حضر اللقاء أحد رجال الإدارة البريطانية في العراق (كوروناليس)، ودار حوار بين الأمير فيصل والشيخ عجيل، تحدث فيه الأمير فيصل عن وضع سوريا وتخطي السوريين عنه رغم تنبيهه لهم عن حال سوريا، وما ستؤول إليه تحت الانتداب الفرنسي، فرد الشيخ عجيل على كلام الأمير فيصل بعد أن تكرر كثيراً بحديثه بأن قال:

لك الحق بأن تعتب على السوريين ولك الحق بأن تزعل عليهم ولكن حسب ظني بأن اللوم والزرع يقع بالدرجة الأولى على حلفائك الانكليز الذين خدعوك وتركوك وحدك وجهاً لوجه أمام دولة عظيمة مثل فرنسا، وفرنسا دولة قوية إذا ما قيست بدولة مثل دولة سوريا الحديثة والانكليز الذين تحالفت معهم وهم كما يقال عنهم أعظم وأشرف دولة أوربية حيث كنت مجبراً على التحالف مع دولة مهمة إذ لا بد لكل رجل يريد تحرير بلاده أن يعتمد على دولة أخرى لها مكانتها بين الدول، وانت لو كنت تحالفت مع أية دولة أخرى غير بريطانيا وأعطيها طارف أصبعك لرحبت بك ووقفت إلى جانبك بكل قوتها وما خدعتك كما فعلت بريطانيا التي اعطيتها كل يدك، وان أردت الحق فلا توجه لوماً ولا عتاباً على السوريين بل وجه كل ما يفتلك إلى هؤلاء الحلفاء مشيراً بإصبعه إلى كوروناليس.

لقد سر الأمير فيصل بهذا القول، خاصة وان المجلس يحضره أحد صانعي السياسة البريطانية في العراق، وبقي الشيخ عجيل الياور ملازماً للأمير فيصل حتى يوم تتويج الأمير ملكاً على العراق^(١٣٧)، الذي وافق يوم ١٨ ذي الحجة من عام ١٣٣٩ هـ / ٢٣ آب ١٩٢١ م، الساعة ٦ صباحاً في ساحة برج الساعة من سراي بغداد^(١٣٨)، وقد حضر حفل التتويج هذا كل من الشيخ عجيل الياور والشيخ فيصل بن فرحان باشا، اللذان كانا نازلين في دار السيد عبد الرحمن النقيب منذ قدومهما إلى بغداد، والشيخ دهم الهادي الذي كان نازلاً في دار توفيق السويدي^(١٣٩).

(١٣٧). مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ١٠٩-١٢١.

(١٣٨). لصني، تاريخ لعراق لسياسي، ج ١، ص ١٨٠.

(١٣٩). وهب، مرجع سابق، ص ٩٩.



جلالة الملك فيصل الأول ملك العراق ١٩٢١-١٩٣٢م

أخذ نجم الشيخ عجيل الياور يأخذ مكانه بشكل واضح في هذه الفترة بين أهله شمر ورجال الأمير فيصل الأول في بغداد، خلال تلك الفترة من تاريخ العراق المعاصر، وقد وصفه فهد بن صليبيخ من شعراء نجد بقصيدة شعرية رائعة جاء فيها:

قوى الذي تدري به قومن بعديين الضاري يالي علم صيته بعدي
وسلام للي له على الحق مجلين وكيف انت يا علة خطات العنيد
وجيناك يا فرز المناعير عاتين من عقب ما وصلت لحبال الوريدي
قلت اقروضوني لا تضسروا علي شي ابي انهجن يـم جزل الحميدي
ناهي اشيوخ الي علينا قديمين قبل سعود وقبل نور الرشيدي
من دور مطلق واول وشم هـلحين هم الذي يهدون زين النشيدي

ومشاهد الجربان يخزي الشياطين
 ابي الوجيه الي على السر والين
 اهل البيوت الي اتعيش المساكين
 يا ما اغتنى من واحد ما معه شين
 وخذى عليهم مبهم الراي ننتين
 عجبل دولا ب البواشي والسلاطين
 واليوت حكام البنادر امطيعين
 شبهت ما يسبح اسباع الغلامين
 واسطى من حكمن مضى من اسماعيل
 واسأل اكابر السن الي بهم دين
 الهرج يكفي عند كثير النياشين
 البيت قبلي قابله ابن حثلين
 يا عل عجوزن جابتك بالمقامين
 يا سامعين كلمتي قولوا امين
 ومن شافهم يرجع يعمرن جديدي
 ينجلي الخبيث وينكتب يوم عيدي
 الوا شلخت والسعر جيل وزهيدي
 من مال مدلهين الضهيد الهيدي
 روزه ثقييل وكوباسه شديدي
 مفراض ماص الي يقص الحديدي
 يدرون حلقيلن حبيب بن نكيدي
 للزير والا الخالد ابن الوايدي
 والفهم من الحجيج هرجن وكودي
 ان هرجننا صحن صحيح وكودي
 ما قل دل وزيدته بالمفديدي
 دافع عن الصابور عند الفريدي
 بي جنة الفردوس يوم الويدي
 يسمع مني محي اعظام الهيدي^(١٤٠)

ليقر في عام ١٩٢٢م الملك فيصل الأول للشيخ عجيل الياور
 بالمشيخة الرسمية على قبائل شمر في العراق، وغادر الشيخ دهام بن الهادي
 في نفس العام إلى الأراضي السورية، وقد عمل كل منهما بحسب موقعه
 لأجل خدمة شمر وإعلاء مكانتها، والمحافظة على وحدتها وقيمها بكل تفان
 وإخلاص حتى توفاهما الله وحفظهما برحمته الواسعة..

انتهى

(١٤٠). من التراث الشعري الشمرى.

جريدة

المصادر والمراجع

المخطوطات

١. اللواء الركن المتقاعد عدنان احمد آل عبد الجليل، آل عبد الجليل أمراء الحلة والحج، نسخة خطية لدى الباحث من عائلة آل عبد الجليل.
٢. د عبد الجبار الجومرد، مذكرات للدكتور عبد الجبار الجومرد، النسخة لدى ولده ا. د جزيل عبد الجبار الجومرد.
٣. خلف راوي الجميلي ومحمد عجاج جرجيس، كتاب شمر الجريا، نسخة خطية لدى الشيخ خالد احمد صفوك الفيصلي، اطلع عليها الباحث.
٤. سليمان الدخيل، القول السديد في أخبار الرشيد، بغداد، المركز الوطني للمخطوطات، بغداد، برقم ١٣٤٤.
٥. الشيخ عبد العزيز الراكان، كراسة تحوي على مجموعة من أشعار شمر نسخة مصورة لدى الباحث.
٦. السيد جمال الراوي، بحث عن انساب بعض البيوتات العراقية، مخطوط قدم إلى وزارة الثقافة والأعلام العراقية بتاريخ ١٧/٨/١٩٩٧م، عند الباحث نسخة مصورة منه.
٧. عباس العزاوي، المجموعة الكبرى، بغداد، المركز الوطني للمخطوطات، بغداد، برقم ١٠٦٥٧.
٨. مؤلف مجهول، فصل من كتاب عن تاريخ شمر يختص بحياة الشيخ عجيل الياور، نسخة مصورة لدى الباحث.
٩. ابن مقبل، العقود الدرية، المركز الوطني للمخطوطات، بغداد، برقم ١١٠٥٦.

الأنطروحات الجامعية

١. صالح بن علي الحببي، موقف الدولة العثمانية من قيام الدولة السعودية الأولى ١٧٩٨-١٨١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، الموصل، ١٩٩٦م.
٢. عماد عبد السلام رؤوف، الحياة الاجتماعية في العراق إبان عهد المماليك ١٧٤٩-١٨٣١م، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة، ١٩٧٦م.
٣. جبار يحيى عجيل، التاريخ السياسي لإمارة حائل ١٨٣٥ - ١٩٢١م، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٨٧م.
٤. محمد احمد محمود، أحوال العشائر العراقية وعلاقتها بالحكومة العثمانية، ١٨٧٢-١٩١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٨٠م.

المراجع العربية والمعرية

١. القرآن الكريم.
٢. ابو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين (بيروت: ١٩٧٥م).
٣. ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب (القاهرة: ١٩٨٢م).
٤. ماكس فون اوبنهايم، البدو، ترجمة ميشيل كيلو وآخرون (لندن: ٢٠٠٤م).
٥. رحلتي من البحر المتوسط إلى الخليج، ترجمة عدنان كبيبو (لندن: ٢٠٠٤).
٦. أوليفيه، رحلة أوليفيه إلى العراق، ترجمة الدكتور يوسف حبي (بغداد: ١٩٨٨م).
٧. محمد ابن صالح البرادعي، الدرر السنية في الأنساب الحسينية والحسينية (مكة المكرمة: ١٩٥٦م).
٨. عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال خمسة قرون (مكة المكرمة: ١٩٧٨م).
٩. محمد بن حمد البسام، الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر (بغداد: ١٩٨٩م).
١٠. عثمان ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد (الرياض: ١٩٨٠م).
١١. محمد بن عبد الله بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (بيروت: ١٩٦٨م).
١٢. أن بلنت، الطريق إلى نجد، ترجمة محمد غالب (الرياض: ١٩٦٧م).
١٣. جاكولين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلنجي (بيروت: دون تاريخ).
١٤. مس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط (بغداد: ١٩٧١م).
١٥. قحطان عبوش التلعفري، ثورة تلعفر (بغداد: ١٩٦٩م).
١٦. إسماعيل حقي جارشلي، أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمة د خليل علي مراد (البصرة: ١٩٨٥م).

١٧. حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة العربية (الرياض: ١٩٧٧م).
١٨. معجم قبائل المملكة العربية السعودية (الرياض: ١٩٨٤م).
١٩. محمد بن جبير، رحلة ابن جبير (بيروت: ١٩٨٥م).
٢٠. علي جودت، مذكرات علي جودت (بيروت: ١٩٦٧م).
٢١. منير الحجيلاني، البلاد العربية السعودية (بيروت: دون تاريخ).
٢٢. خلف حديد، انساب قبائل العرب (الكويت: دون تاريخ).
٢٣. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الأحزاب السياسية في العراق (بيروت: ١٩٨٠م).
٢٤. تاريخ العراق السياسي الحديث، (بغداد: ١٩٨٩م).
٢٥. عباس بن علي المكي الحسيني، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس (القسطنطينية: ١٨٧٦م).
٢٦. فواد حمزة، قلب جزيرة العرب (الرياض: ١٩٦٨م).
٢٧. ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: ١٩٦٥م).
٢٨. هشال عبد العزيز الخريصي، قبيلة شمر، متابعة وتحليل (لندن: ١٩٩٨م).
٢٩. عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون (بيروت: ٢٠٠٠م).
٣٠. احمد بن علي الداودي الحسني، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب (بيروت: دون تاريخ).
٣١. السيد أحمد بن السيد زيني حلالن، أمراء البلد الحرام (بيروت: دون تاريخ).
٣٢. صديق الدملوجي، مدحت باشا (بغداد: دون تاريخ).
٣٣. جاسم محمود ذويب، قبيلة شمر (بغداد: ١٩٩٢م).
٣٤. عبد الجبار الراوي، البادية (بغداد: ١٩٤٧م).
٣٥. مذكرات عبد الجبار الراوي (بغداد: ١٩٩٢م).
٣٦. ضاري بن فهد الرشيد، نبذة تاريخية عن نجد وإمارة آل رشيد (الرياض: ١٩٦١م).

٣٧. يعقوب عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت (الكويت: ١٩٧١م).
٣٨. إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين (القاهرة: ١٩٢٥م).
٣٩. د. عماد عبد السلام رؤوف، إدارة العراق في العهد العثماني (بغداد: ١٩٩٢م).
٤٠. الموصل في العهد العثماني (الموصل: ١٩٧٥).
٤١. أمين الريحاني، نجد وملحقاته (بيروت: ١٩٨١م).
٤٢. د. أحمد أمين الزبيدي، مولود مخلص باشا (بغداد: ١٩٨٩م).
٤٣. الزبيدي، تاج العروس (بيروت: ١٩٧٨م).
٤٤. وصفي زكريا، عشائر الشام (دمشق: ١٩٤٥م).
٤٥. زمباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة د زكي محمد حسن (بيروت: ١٩٨٠م).
٤٦. حمود الساعدي، الخزاعل (بغداد: ١٩٧٤م).
٤٧. الشيخ يونس السامرائي، القبائل العراقية (بغداد: ١٩٨٩م).
٤٨. انور عبد الحميد السباهي، حياة المرحوم دهم الهادي (بيروت: ١٩٧٧م).
٤٩. ، شمر وأمرائها (بيروت: ١٩٩٥م).
٥٠. محمد احمد السديري، أبطال من الصحراء (الرياض: ١٩٧٨م).
٥١. يعقوب سركيس، مباحث عراقية، القسم الأول (بغداد: ١٩٤٨م).
٥٢. ، القسم الثاني (بغداد: ١٩٥٨م).
٥٣. د عبد الحميد السعدون، إمارة المتفق (عمان: ١٩٩٨م).
٥٤. د. محمد عصفور سلمان، العراق في عهد متحت باشا (بغداد: ٢٠٠٧م).
٥٥. حيدر الشهابي، تاريخ احمد باشا الجزائر (بيروت: ١٩٥٥م).
٥٦. منتشا شيفتلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي (بغداد: ١٩٧٨م).
٥٧. خليل بن ابيك الصفدي، الوافي بالوفيات (بيروت: ٢٠٠٠م).
٥٨. احمد الصوفي، الممالك في العراق (الموصل: ١٩٥٢م).

٥٩. د عبد الجليل الطاهر، العشائر والسياسة (بغداد: ١٩٥٨م).
٦٠. أبو عبد الرحمن الظاهري، آل الجرباء في التاريخ والأدب (القاهرة: ١٩٨٣م).
٦١. ثامر عبد الحسن العامري، موسوعة العشائر العراقية (بغداد: ١٩٩٤م).
٦٢. د عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى (القاهرة: ١٩٦٩م).
٦٣. من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي (قطر: ١٩٨٢م).
٦٤. أزهر العبيدي، إمارة العبيد الحميرية (الموصل: ١٩٩٤م).
٦٥. عبد الله الصالح العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد (الرياض: ١٩٩١م).
٦٦. فهد العلي العريفي، لمحات عن منطقة حائل (الرياض: ١٩٨٠م).
٦٧. عباس العزاوي، العراق بين احتلالين (بغداد: ١٩٥٩م).
٦٨. ، عشائر العراق (بغداد: ١٩٣٩م).
٦٩. عبد الملك بن الحسن العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (القاهرة: ١٩٦١م).
٧٠. احمد عبد الغفور العطار، صقر الجزيرة (مكة المكرمة: ١٩٤٤م).
٧١. د عبد الجبار العمر، مقتل الكولونيل لجمان (بغداد: ١٩٨٦م).
٧٢. ممتاز محمد عمر اغا، اعلام موصليون (الموصل: ٢٠١١م).
٧٣. ابن عتبه، عمدة الطالب (النجف: ١٩٧٠م).
٧٤. إبراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد (الرياض: ١٩٦٦م).
٧٥. سليمان فائق، تاريخ بغداد (بغداد: ١٩٦٢م).
٧٦. جمس ويلي فريزر، رحلة فريزر إلى العراق، ترجمة جعفر خياط (بغداد: ١٩٦٤م).
٧٧. عبد الله فيليبي، تاريخ نجد (بيروت: دون تاريخ).

٧٨. محمد بن عثمان القاضي، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين (الرياض: ١٩٨٠م).
٧٩. فؤاد قرانجي، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥-١٩٢٠ (بغداد: ١٩٨٩م).
٨٠. سمير قطب، انساب قبائل العرب (بيروت: ١٩٨٤م).
٨١. احمد بن علي القلقشندي، قلائد الجمال في التعريف بقبائل عرب الزمان (بيروت: ١٩٨٢م).
٨٢. نهاية الإرب في معرفة انساب العرب (بيروت: ١٩٨٠م).
٨٣. رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء (بغداد: دون تاريخ).
٨٤. السيد محمد حسن الكلدار، مدينة الحسين (ع) (كربلاء: ١٩٧٢م).
٨٥. نوري كوبي، الطريق إلى نينوى (بغداد: ١٩٩٨م).
٨٦. كارتون كون، القافلة، قصة الشرق الأوسط، ترجمة برهان التيجاني (بيروت: دون تاريخ).
٨٧. د. عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية (بيروت: ١٩٧٤م).
٨٨. لوريمر، دليل الخليج (قطر: ١٩٧١م).
٨٩. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط (بغداد: ١٩٨٥م).
٩٠. تاريخ العراق الحديث، ترجمة سليم طه التكريتي (بغداد: ١٩٨٨م).
٩١. مؤلف مجهول، لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (القاهرة: ١٩٦٧م).
٩٢. عبد اللطيف الشيخ علي المحاميد، من شجر الأنساب (الحسكة: ١٩٩٨م).
٩٣. أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني (بغداد: ١٩٨٧م).
٩٤. خاشع المعاصيدي، بعض من انساب العرب (بغداد: ١٩٨٦م).

٩٥. عبد الرحمن بن زيد المغيرة، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب (قطر: دون تاريخ).
٩٦. ابن منظور، لسان العرب (بيروت: ١٩٧٨م).
٩٧. احمد بن منقور، تاريخ ابن منقور (الرياض: ١٩٧٠م).
٩٨. موسيل، الفرات الأوسط، ترجمة د صالح احمد العلي (بغداد: ١٩٩٠م).
٩٩. مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة احمد الشنتناوي وآخرون (القاهرة: ١٩٣٣م).
١٠٠. د عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا (القاهرة: ١٩٦٨م).
١٠١. داود باشا والي بغداد (القاهرة: ١٩٦٧م).
١٠٢. مصر والعراق دراسة في تاريخ العلاقات بينهما (القاهرة: ١٩٦٨م).
١٠٣. الحسن بن احمد الهمداني، صفة جزيرة العرب (بغداد: ١٩٨٩م).
١٠٤. عثمان بن سند الوائلي، مطالع السعود في طيب أخبار الوزير داود (بغداد: ١٩٩١م).
١٠٥. جمس ريموند ولستيد، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة سليم طه التكريتي (بغداد: ١٩٨٤م).
١٠٦. محمد يونس السيد وهب، أهمية تلغفر في ثورة العراق الكبرى (الموصل: ١٩٦٧م).
١٠٧. حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين (القاهرة: دون تاريخ).
١٠٨. د. محمد عجاج جرجيس، التكوين التاريخي لبلدة الشرقاط (الموصل: ٢٠١٠م).
١٠٩. محمد علي بك إبراهيم باشا، أمير أمراء كردستان إبراهيم باشا الملي، دراسة وتحقيق د. عبدالفتاح علي البوتاني وعلي صالح الميراني (اربيل: ٢٠٠٩م).

١١٠. د. محمد بن سليمان الخضير، تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج (لندن: ٢٠٠١م).

البحوث والدراسات

١. د إبراهيم خليل أحمد، موقع العراق في محاولات محمد علي في تكوين دولة عربية موحدة، بحث نشر ضمن وثائق ندوة العلاقات العراقية المصرية، جامعة الزقازيق، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٠م.
٢. الاحتلال البريطاني والمقاومة الموصلية، موسوعة الموصل الحضارية (الموصل: ١٩٩٢م) ج ٥.
٣. محمد بن إدريس، المجمع بين الغاير والحاضر، مجلة الدارة، الرياض، عدد ١، ١٩٨٢م.
٤. أن بلنت، الحج إلى نجد، ترجمة محمد منعم غالب، مجلة العرب، الرياض، ١٩٨٢م، العدد ١٤.
٥. سليم طه التكريتي، صفحات مطويه عن ثورة العشرين، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٢م، العدد ١٠.
٦. منهل الجميل، ثورة عام ١٨٣٢م في بغداد، مجلة المورد، بغداد، مجلد ٧، عدد ٢، ١٩٨١م.
٧. بطرس حداد، رحلة تايلر الى بغداد، مجلة المورد، بغداد، مجلد ٨، عدد ١، ١٩٨٢م.
٨. رحلة ليجان الى العراق، مجلة المورد، بغداد، مجلد ١٢، عدد ٣، ١٩٨٣م.
٩. د. جابر خليل، تكريت في المصادر الاثرية، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ١٩٨٨م، العدد ٣٤.
١٠. د. عبد الله صالح لعثيمين، نجد منذ القرن العاشر حتى عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة الدارة، الرياض، عدد ٤، ١٩٧٥م.
١١. د جاسم محمد حسن العدول، الموصل في العهد الحميدي، موسوعة الموصل الحضارية (الموصل: ١٩٩٢م) ج ٤.

١٢. الموصل في العهد الإتحادي، موسوعة
الموصل الحضارية (الموصل: ١٩٩٢م) ج ٤.
١٣. د. عبد الجبار العمر، ذيل مطالع السعود، مجلة آفاق عربية (بغداد:
١٩٨١م) عدد ٦-٧.
١٤. د زهير علي النحاس، بادية الجزيرة العراقية موطنًا للبادوة العربية
النجدية، المجمع العلمي العراقي، بغداد، كانون الثاني، ٢٠٠٠م.
١٥. د. عبد العزيز سليمان نوار، آل محمد بيت الرئاسة على قبائل شمر
خلال القرن التاسع عشر المجلة التاريخية المصرية (القاهرة: ١٩٦٩م)
مجلد ١٥.
١٦. العراق ومصر في القرن التاسع عشر، مجلة
الهلال، القاهرة، آب، ١٩٦٠م.
١٧. ثورة عام ١٨٣٢م في العراق، مجلة الهلال،
القاهرة، شباط، ١٩٦٥م.

الجرائد والمجلات

١. جريدة الاتحاد، بغداد، ١٩٨٩م، عدد ١١٢.
٢. جريدة الزوراء البغدادية، ١٨٧٠-١٩١٧م، أعداد عدة حصل الباحث على ملخصات لأحداثها من أ. د جاسم محمد حسن العدول.
٣. مجلة الشراع، بيروت، ١٩٨٤م، العدد ٤.
٤. مجلة الصناديد، بيروت، ١٩٩٨م، عدد ١، ١٩٩٩م، عدد ٥.
٥. مجلة لغة العرب، للأب انتاس ماري الكرمل، مجلد ٢.

المراجع الأجنبية

- 1- Tc Basbakamlik, Musal kerkukileitgli arshiv blgeleri 1523-1919 (Ankara: 1993).
- 2- Lady Anne Blunt, Edouin Tribes of The Euphrates, Vol 1-2 (London: 1878).
- 3- Henry Austen Layard, Nieveeh and its remains (London: 1948).
- 4- Max Von Oppenheim, Die Beduinen, Vol 1 (Leipzig: 1939).
- 5- Yom Mittelmeer zum Golf, Vol-1-2 (Berlien: 1900).
- 6- Hormuzd Rassam, Asshur and the Land of Nimrod (New Yourk: 1897).
- 7- John Willamson, The shammar jarba Tribe of al-jazirah 1800-1958 (usa;1974).

الفهرست

الصفحة	الموضوع
١١-٩	مقدمة الطبعة الثانية.
١٧-١٣	مقدمة الطبعة الأولى.
٢٣-١٨	ضوء على ما كتب.
	الفصل الأول
	الجنود
٢٥	مدخل.
٣٢-٢٦	جنود نسب الجربا.
٣٤-٣٣	في ارض الحجاز.
٤٠-٣٥	تراث الأجداد.
٤٦-٤١	الشريف محمد الجربا وتكوين شمر الحلبي.
٥٠-٤٧	ارض نجد وجبل شمر.
٥٢-٥١	اشراف مكة وجبل شمر.
٥٥-٥٣	الشيخ سالم وبناء وحدة شمر.
٥٥	الشيخ سيف.
٥٦	الشيخ سيح.
٥٦	الشيخ مشعل.
٦٠-٥٧	الشيخ مائع.
٦٠	الشيخ جعيري.
٦١-٦٠	الشيخ عبد المحسن.
٦١	الشيخ مجرن.
٦٢-٦١	الشيخ حميدي الأمسح.

الفصل الثاني

الشيخ مطلق الجربا

- ٦٦-٦٥ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد والاصطدام مع شمر.
٧٤-٦٧ الشيخ مطلق الجربا.
٨٣-٧٥ الشيخ مطلق والصراع مع آل سعود.
٩٣-٨٤ في بادية السماوة ورحيل الشيخ مطلق.

الفصل الثالث

الشيخ فارس الجربا

- ٩٦-٩٥ الشيخ فارس الجربا.
١٠٠-٩٧ استمرار الصراع مع الوهابية ١٧٩٨-١٨٠١م.
١٠٣-١٠١ إقليم الجزيرة الفراتية.
١٠٨-١٠٤ الاستقرار في أرض الجزيرة الفراتية.
١١٥-١٠٩ الشيخ فارس والعثمانيون ١٨٠٣-١٨١٨م.
١٢٧-١١٦ مقتل الشيخ بنية ورحيل الشيخ فارس.
١٣٢-١٢٨ شمر وتقسيماتها.
١٣٤-١٣٣ شمر طوكة.

الفصل الرابع

سلطان البر الشيخ صفوك الجربا

- ١٣٧-١٣٥ شمر بعد وفاة الشيخ فارس.
١٤٣-١٣٨ الشيخ صفوك على زعامة شمر.
١٤٩-١٤٤ موقف شمر من الغزو الإيراني القاجاري للعراق.
١٥٢-١٥٠ الصراع بين شمر وعزة في الجزيرة ١٨٢٢-١٨٢٥م.
١٥٨-١٥٣ أوضاع شمر ١٨٢٥-١٨٣٠م.
١٦٣-١٥٩ دور الشيخ صفوك في إسقاط ممالك العراق.
١٧٩-١٦٤ التوجه العربي الوحدوي للشيخ صفوك الجربا.
١٨٣-١٨٠ الشيخ صفوك ونشأة إمارة آل رشيد الشمرية في حائل.

الصفحة	الموضوع
١٨٨-١٨٤	نفي الشيخ صفوك إلى اسطنبول.
١٩٣-١٨٩	الصدام العثماني المصري وعودة الشيخ صفوك.
١٩٩-١٩٤	السلطات العثمانية وشمس ١٨٤٠-١٨٤٥ م.
٢١١-٢٠٠	العثمانيون ومقتل الشيخ صفوك.
	الفصل الخامس
	الشيخ الباشا
٢١٧-٢١٣	الشيخ فرحان باشا.
٢٢٥-٢١٨	شمس والعثمانيون ١٨٤٨-١٨٦٠ م.
٢٢٩-٢٢٦	العلاقات العثمانية الشمرية ١٨٦٠-١٨٦٨ م.
٢٣٢-٢٣٠	الشيخ عبد الكريم الجربا.
٢٤٣-٢٣٣	من مؤثر الشيخ عبد الكريم الجربا.
٢٥٣-٢٤٤	الانتفاضة ونهلية الفارس.
٢٥٧-٢٥٤	شمس والاستقرار الريفي الأول.
٢٧١-٢٥٨	أوضاع شمس على أرض الجزيرة الفراتية ١٨٧٥-١٨٩٠ م.
	الفصل السادس
	عصر الأبناء
٢٨٥-٢٧٥	الواقع الحيثي لشمس ١٨٩٠-١٩٠١ م.
٢٩٦-٢٨٧	شمس قبيل الحرب العالمية الأولى ١٩٠١-١٩١٤ م.
٣٠٢-٢٩٧	شمس خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ م.
٣٠٧-٣٠٣	شمس والقضية الأرمنية.
٣٢٢-٣٠٨	موقف شمس من الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٨-١٩٢٠ م.
٣٢٨-٣٢٣	شمس وثورة العشرين.
٣٣٤-٣٢٩	معركة تحرير تلعفر.
٣٤٥-٣٣٥	أوضاع شمس حتى قيام الملكية في العراق ١٩٢١ م.

الصفحة	الموضوع
٣٦٠-٣٤٧	جريدة المصادر والمراجع.
٣٦٤-٣٦١	الفهرست.

1890. The author in this chapter investigates and examines the nature of the relationship between Shammar and the Ottomans , this relationships took different faces throughout this period , changing from good to bad and vice versa in accordance to the ambition and tribal tactics of Shaykh Farhan and the local interests of the Ottomans authorities. The chapter also includes the story of the uprising of Shaykh Abdul karim , Farhans brother , against Madhat Pash , 1868 - 1871 , which ended with the surrender of Abdul Karim and his execution by the Wali.

Another important development concerning Shammar happened in this period was the settlement of some tribes of Shammar in Al - Shurqat. This period also witnessed the first rupture in the Shaykhship of Shammar , that was between Farhan and Faris.

The sixth chapter explores the internal relations among the tribes of Shammar through the period 1890 - 1914. It also portrays the relationship between Shammar and the neighboring Arab tribes in the province , and the role the Ottoman played to create conflicts between them.

This chapter also deals with the attitude of Shamar towards circumstances resulted from the First World War in the region and Shamar's opposition to the British occupation of Iraq after the war. and then the role played in the revolution of 1920 by Shamar.

At the end of this preface , the author would like to thank all those gentlemen who helped in away or another to make this work possible , the author alone is responsible for all mistakes happened to find there way into the text.

he directed his tribesmen to launch attacks against the Wahabi forces which used to raid the province , to achieve that Shammar collaborated with the Ottoman authority in Baghdad at that time. Shaykh Mutlag met his death in one of these combats.

The third chapter is devoted the Shaykhship of Faris Al - Jarba , who first continued Mutlag's policy in collaborating with the Ottoman authority in Iraq against the Wahabis before departing northwards towards the province of Al - Jazira Al - Furatiyya where he succeeded in subjugating the other Arabian tribes in the area to his authority to become , with his people , the dominant Arabian power in Al - Jazira.

Chapter four is concerned with the Shayskhship of Sfug , which lasted well over three decades , from 1819 - 1847. During this period Sfug , leading Shammar , helped , in association with the Ottomans , to halt two Persian invasions against Baghdad , and assisted the Ottomans to put the Mamluki regime in Baghdad to an end , in 1831. Also in this period Sfug associated himself to the army of Muhammad Ali pasha of Egypt led by his son Ibrahim pasha who invaded Syria and fought against the Ottomans , Sfug , by doing that , aimed at establishing an Arabian entity , for the first time , under his domination in Al - Jazira by the aid of Ibrahim pasha in return for his assistance. Sfug failed , captured by the Ottomans in 1834 , and imprisoned in Istanbul. He was released later having accepted change in policy , only to be assassinated after words on the hand of an Ottoman officer.

The fifth chapter deals with the period of the Shaykhship of Farhan pasha which lasted from 1847 -

Preface

The present work is the fruit of ten years labour. In which the author presents an extensive study of the largest tribal groupings in the province of Al - Jazira (Iraq - Syria) , that is Shammar Al - Jarba and its heads (Shaykhas) Al - Muhammad.

The author has been guided in his research work by previous works and researches as well as so many interviews with scholars , Shaykhs , educated people , tribes men , Bedouins.. . etc. The materials collected from these sources were sifted and critically studied and investigated , and after a thorough examination the results have been compiled to make up the text presented her , reference to all these sources are found in an extensive bibliography which can be found appended to the text.

The book consists of an introduction and six chapters. The first chapter naturally deals with the origins. First the genealogy of Al - Muhammad , Shaykhs of Shammar, is traced in details , then , the chapter includes a lengthy investigation about the original homeland of the Shaykhs of Shammar in Najd , and the beginnings of tribal clustering or grouping which is to become Shammar Al - Jarba in the province of Najd in Arabia.

In the second chapter the author dwells on the subject of the nature of the relationship between Shammar Al - Jarba and the Wahabi movement in Najd , then the struggle that took place between Al - Saud and Shaykh Mutlag Al - Jabra and the consequent departure of Mutlaag and his people , Shammar Al - Jarba , to find a shelter in the southern desert of Iraq (Badiyat Al - Iraq) , from there

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد
 ﴿ﷺ﴾ وعلى آله وصحبه وبعد: فإن التاريخ هو
 البودقة التي يعصر فيها مجمل النشاط الحياتي
 للبشرية، وما دونه إثناء شمر من تاريخ حياتي في
 نجد أو على أرض الجزيرة الفراتية، هو جزء لا
 يتجزأ من تاريخ العراق وسورية الحالية، كما أن
 التاريخ يكتبه رجال صنعوه بأنفسهم في معترك الحياة التي تتجاذب
 مصائر أناسها عبر زمن مضى، وترك بصماته على واقع الحياة الذي
 نعيش فيه اليوم، من خلال التجارب الإنسانية التي سطرها أولئك الذين
 صنعوا مجدا لهم ولأمتهم في زمن قصير نسبيا للحياة التي عاشوها،
 أخذين نحن بروح تلك التجربة الحياتية، ومحاولين أن نمسح من خلال
 خدمة العراق وشعبه الأبي تجربة حياتية تعكس تلك الروحانية الطيبة
 التي زرعها فينا الأجداد قبل الآباء، من الإيثار وتكران الذات، والتضاني في
 تقديم الممكن للآخر دونما ملل أو تقصير، لتعكس بذلك طيبة شعب
 العراق ووحدة مثله، وتداخل أطيافه في نسيج واحد اسمه العراق الموحد
 ومن الله العون والتوفيق.

الشيخ

خالد احمد صفوك فيصل

الجبيا